

جامعة وهران 2

المدرسة الدكتورالية في الأنثروبولوجيا

كلية العلوم الاجتماعية

رسالة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الأنثروبولوجيا

الرابط الاجتماعي الحضري

دراسة سوسيوأنثروبولوجية للعلاقات الاجتماعية بين الجيران
في حي الهضاب بأرزو (ولاية وهران)

تحت إشراف: أ.د حجيح الجنيد

من إعداد الطالبة: سوامية نورية

لجنة المناقشة

أ.د العايدي عبد الكريم	أستاذ	رئيسا	جامعة وهران 2
أ.د حجيح الجنيد	أستاذ	مقررا	جامعة وهران 2
أ.د حمداوي محمد	أستاذ	مناقشا	جامعة مستغانم
أ.د مزوار بلخضر	أستاذ	مناقشا	جامعة تلمسان
د. مهدي العربي	أستاذ محاضر قسم "أ"	مناقشا	جامعة وهران 2
د. جيلاني كوبيبي معاشو	أستاذ محاضر قسم "أ"	مناقشا	جامعة معسكر

السنة الجامعية: 2014-2015

ملخص الدراسة

Résumé de l'étude

A partir d'une approche socio-anthropologique, cette recherche s'interroge sur la question du lien social dans un espace urbain à l'épreuve des transformations qui affectent la société locale se focalisant sur le vécu quotidien et les pratiques sociales des voisins mais aussi leurs représentations. et pour reconstruire la réalité sociale du vécu quotidien et des pratiques sociales que déploient les acteurs en question cette étude tente d'enquêter et d'explorer des modèles de relationnel entre voisins à l'intérieur et à l'extérieur de leur maison. qui apparaissent dans les relations de confrontation et de répondre à toutes les formes d'interaction et de conflit, et d'autres.

Et pour découvrir les éléments cachés du phénomène nous nous sommes appuyés sur l'approche qualitative et sur des techniques: l'observation et l'entretien semi directive.

الكلمات المفتاحية

شكر و تقدير

نشكر المولى عز وجل ونحمده حمدا كثيرا، حمدا يليق بجلاله وعظمته، على توفيقه لنا لإنجاز هذه الأطروحة. وصلّ اللهم على خاتم الرسل، صلاة تفضي لنا بها الحاجات، وترفعنا بها أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات، في الحياة وبعد الممات.

ومن حق النعمة الذكر، وأقل جزاء للمعروفه الشكر...

فبعد شكر المولى عز وجل ، أدینُ بعظيم الفضل والشكر والعرفان في إنجاز هذا البحث وإخراجه بالصورة المرجوة إلى المشرف على الرسالة : الأستاذ الجنيّد حبيج الذي منّني الكثير من وقته، وجهده، وتوجيهاته، وإرشاداته، وآرائه القيمة سائلة المولى التقدير أن يجزيه عنّي خير الجزاء وبثيبه الأجر إن شاء الله .

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير لأعضاء اللجنة المناقشة الذين تجشّموا عناء قراءة المذكرة رغم مشاغلهم الكثيرة، جزاهم الله كل خير.

يبدّر بي أن أتقدم ببالح الامتنان، وجزيل العرفان إلى كل من ساعدني على إتمام هذا العمل، وأخص بالذكر الوالدة الفاضلة التي كانت لي سندا طيلة مشواري الدراسي، كما أشكر جزيل الشكر الأخت، الصديقة والزميلة الدكتورّة بودالية تواتية على عونها المستمر لنا. حفظهم الله جميعا من كل سوء.

أشكرهم جميعاً وأتمنى من الله عز وجل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم .

- 1 - مقدمة عامة
- 17 - منهجية البحث

الفصل الأول: الرابط الاجتماعي والحضرية: مفاهيم ونظريات

- 27 - تمهيد
- 28 I. الرابط الاجتماعي والحضرية: مقارنة مفاهيمية
- 28 1. مفهوم الرابط الاجتماعي
- 32 2. التحضر والحضرية
- 35 II. الرابط الاجتماعي والحضرية: مقاربات نظرية
- 35 1. نظرية ابن خلدون
- 35 1.1. ابن خلدون وتصوره للحضرية
- 38 2.1. ابن خلدون ومفهوم العصبية
- 41 2. كارل ماركس والتحليل المادي
- 43 3. تونيز، دوركايم وكولي: الثنائيات المتضادة للرابط الاجتماعية
- 43 1.3. فرديناند تونيز بين الجماعية والمجتمعية
- 46 2.3. اميل دوركايم: التضامن الآلي والتضامن العضوي
- 50 3.3. تشارلز كولي: الروابط الأولية والروابط الثانوية
- 52 4. النظريات الحضرية
- 52 1.4. النظرية الايكولوجية
- 54 2.4. النظرية النفسية الاجتماعية
- 59 3.4. نظرية الثقافة الحضرية

62	III. الرابطة الاجتماعية في الجزائر: دراسات ومقاربات
65	1. عدي الهواري وأزمة الروابط الاجتماعية
66	2. مصطفى بوتفنوشت: الروابط الاجتماعية في مرحلة انتقالية
67	3. رشيد حمدوش: مقارنة جديدة لفهم الرابطة الاجتماعية في الجزائر
69	- خلاصة

الفصل الثاني: المدينة والحى مجال الدراسة: مقارنة وصفية

71	- تمهيد
72	I. المدينة كمفهوم نظري
72	1. مفهوم المدينة
80	2. تصنيف المدن
82	II. مدينة أرزيو: مقارنة وصفية
82	1. الخصائص الجغرافية والتاريخية لمدينة أرزيو
82	1.1. التسمية
83	2.1. الموقع والمناخ
85	3.1. النشأة والتطور العمراني
85	1.3.1. أرزيو قبل 1830
86	2.3.1. أرزيو ما بين 1830 و1962
87	3.3.1. أرزيو بعد 1962
89	2. الخصائص الديمغرافية لمدينة أرزيو
89	1.2. التطور السكاني للمدينة
91	2.2. المجموعات السكانية الاجتماعية
92	3. التجهيزات بمدينة أرزيو
92	1.3. التجهيزات التجارية
93	2.3. التجهيزات غير التجارية

94	.III حي الهضاب مجتمع محلي
95	1. مفهوم المجتمع المحلي
97	2. خصائص حي الهضاب
100	3. التجهيزات داخل حي الهضاب
100	1.3. التجهيزات التجارية
100	1.1.3. المحلات العمومية
101	2.1.3. المحلات الخاصة
104	2.3. التجهيزات غير التجارية
107	- خلاصة

الفصل الثالث: علاقات الجيرة وتمثلاتها داخل حي الهضاب

109	- تمهيد
110	I. مفهوم علاقات الجيرة
110	1. الجيرة في القراءات النظرية
114	2. الجيرة في الدين الإسلامي
120	3. الجيرة في الأمثال الشعبية
123	II. التمثلات الاجتماعية للجيرة
124	1. حول مفهوم التمثلات الاجتماعية
128	2. الخصائص السوسيوثقافية وبلورة التمثلات الاجتماعية
129	1.2. الأصل الجغرافي ومسارات السكن
134	2.2. المستوى التعليمي
135	3.2. الوضعية السوسيو مهنية
136	4.2. التركيبة الأسرية
140	3. تمثلات الجار لجاره
147	- خلاصة

الفصل الرابع: الممارسات الاجتماعية للجيرة

149	- تمهيد
150	I. التفاعل الاجتماعي بين الجيران
152	1. تبادل الحوار
154	2. تبادل الزيارات
158	3. تبادل المساعدات
160	4. تبادل الهدايا، الأطعمة والأطباق
163	II. علاقات الصداقة بين الجيران وسيرورة تكوينها
163	1. مفهوم الصداقة
165	2. سيرورة تكون علاقات الصداقة بين الجيران
165	1.2. المرحلة الأولى
167	2.2. المرحلة الثانية
170	3.2. المرحلة الثالثة: الصداقة الفعلية
177	3. تصنيف الجيران
178	III. نحو إنتاج نموذج علائقي جديد
179	1. التلفاز كوسيلة إعلامية، ترفيهية تواصلية
180	2. الانترنت كوسيلة للاتصال
183	- خلاصة

الفصل الخامس: التضامن والصراع بين الجيران

185	- تمهيد
186	I. التضامن بين الجيران
188	1. عوامل تعزيز التضامن الاجتماعي
188	1.1. التنشئة الاجتماعية والتضامن الاجتماعي
191	2.1. الشعور بالانتماء للمجتمع المحلي وخلق التضامن الاجتماعي

197	2. أشكال التضامن بين الجيران
197	1.2. التضامن في المناسبات المفرحة
199	2.2. التضامن في المناسبات المحزنة
201	3.2. التضامن في المناسبات الدينية
203	4.2. أشكال أخرى للتضامن الجوّاري
206	II. الصراع بين الجيران
209	1. مصادر الصراع ووضعيّاته
210	1.1. مصادر الصراع بشكل عام
213	2.1. مصادر الصراع خاص بالسكنات العمودية
217	2. عوامل ومناسبات حل الصراع
219	- خلاصة

الفصل السادس: الفضاءات الاجتماعية: أماكن التقاء الجيران

221	- تمهيد
222	I. مفهوم الفضاء الاجتماعي
224	II. الفضاء السكني فضاء اجتماعي
224	1. مفهوم الفضاء السكني
228	2. خصائص الفضاءات السكنية
228	1.2. نوعية وحالة الفضاءات السكنية
230	2.2. تنظيم الفضاء السكني
233	3.2. مستوى تجهيز الفضاء السكني
236	3. دور الفضاء المجاور في تكوين العلاقات بين الجيران

238	.III الفضاءات العمومية مجالات للمعايشة الاجتماعية
242	1. الفضاءات الاجتماعية الرجالية
246	2. المسجد وخلق الروابط الاجتماعية
251	3. الحديقة العمومية مجال للتعرف والالتقاء
254	4. مدرسة الأطفال فضاء للالتقاء بين الجيران
255	- خلاصة
256	- خاتمة عامة
263	- قائمة المراجع
285	- الملاحق

مقدمة عامة

تعتبر الحياة الحضرية من أهم المجالات التي تستقطب الباحثين في السوسيوولوجية والأنثروبولوجية خاصة فيما يتعلق بمسألة الرابط أو الرابطة وتشكيل العلاقات الاجتماعية. ولقد حظيت الخصائص البنائية لشبكة العلاقات الاجتماعية في المدينة باهتمام الأنثروبولوجيين باعتبارها "تشغل على جوانب الحياة الاجتماعية للفرد التي توضح مدى تكامله مع البيئة الحضرية"¹، فإذا كان المجال الحضري يعبر عن العلاقات الاجتماعية الحضرية ويجسد ثقافة الإنسان على الأرض في شكل بنايات أي اتخاذ الوجه المادي، فإنها عندما تتشكل تكون بيئة تساهم في صنع ثقافة الإنسان، ومنه لا يمكن عزل المدينة عن محيطها الاجتماعي، وذلك لأنّ المدينة هي نتاج مجموعة من الظواهر الطبيعية والبشرية تتأثر بسكانها وتؤثر بدورها فيهم بسبب سعيها إلى تكييف حياتهم ومتطلبات وجودهم بها فتولد لديهم الممارسات والتصورات التي "تشكل هوياتهم الفردية واجتماعية"²

والذي لا شك فيه أن المدينة مثلت الوعاء المتميز لمختلف المجتمعات والحضارات عبر التاريخ، وفي كل مرة تستجيب المدينة لظروف تاريخية يرتسم فيها التصور النوعي الخاص بالمجال المؤسس والمجال المعاش، وعليه توسعت علاقة الإنسان بالبيئة من خلال تعزيز رابطة الانتماء إليها بالتفاعل معها، فقد حرص "الإنسان السيطرة على البيئة وتهيئتها لمعيشته، فتصبح بيئة ثقافية تؤثر فيه"³، وهكذا يشكل الأفراد مدينتهم، ثم تشكلهم هي بدورها.

ودفع هذا الاندماج إلى إحداث تغيرات جذرية في الحياة الاجتماعية، مما سيؤثر بصورة واضحة على طبيعة العلاقات الاجتماعية. وعلى سبيل المثال كانت الجزائر من بين الدول التي شهدت تحولات نظامية على مختلف المستويات، وذلك كنتيجة حتمية لآثار التحضر والتصنيع والتحديث، والتي خلقت بدورها التباين الذي تمتاز به المدينة وعدم تجانس تركيبها سواء من الناحية الاجتماعية، أو الثقافية أو الاقتصادية، وكل هذا من جراء عامل الهجرة الريفية خاصة. وعليه تصبح المدينة "مجال تمتزج فيه التصورات المتنوعة والمتضاربة وكدا

¹ الغامري محمد حسن، الأنثروبولوجية الحضرية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1983، ص. 28.

² RAULIN A., Anthropologie urbaine, Ed Armand colin, paris, 2001, P. 150.

³ فوزي عبد الرحمان وعلي الكاوي، دراسات في الأنثروبولوجية الثقافية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1999، ص. 44.

المفارقات، وكمجال تتلاقى فيه وتتواجد أشكال لأنظمة فكرية وتفكيرية أشمل وأوسع (...). أين تتداخل فيه الاستراتيجيات الاجتماعية المختلفة للأفراد"¹.

وعلى وجه الخصوص تعتبر مدينة أرزيو إحدى المدن الجزائرية التي عرفت تحولات عديدة ناتجة عن التحضر والتصنيع، وتحولت عام 1964م إلى قطب صناعي هام، وأصبحت بذلك وجهة الكثيرين للهجرة إليها من مناطق متعددة، هذا التدفق السكاني خلق ظواهر عديدة، فبعدما كان المجتمع تقليديا في تركيبته، بدأ يتحول شيء فشيء لمجتمع أكبر، من خلال تشييد أحياء سكنية تعرف ب"الأحياء الحضرية الجديدة"، من بينها حي الأمير عبد القادر المعروف محليا بحي الهضاب الذي أنشأ عام 1977م، ويعرف هذا الحي تميزا فيزيولوجيا ومورفولوجيا واضحا، لأنه يملك من المميزات ما يمكن تسميته بالتنوع أو المزيج الاجتماعي، لاختلاط الانتماءات الجغرافية وحتى الخصائص السوسيو مهنية للسكان، ما يجعلنا نتساءل عن كيفية تكوين الروابط الاجتماعية بينهم وما مدى تعايشهم مع بعضهم البعض داخل هذا المجتمع المحلي هذا من جهة. ومن جهة أخرى، وباعتبار أن كل فرد يكتسب عادات في معيشته وحياته، وممارسات وأنماط علائقية خلقها المجال الذي ينتمي إليه ويعيش فيه، خصصنا في دراسة الرابط الاجتماعي بين سكان حي الهضاب مجالا يبحث في الجانب التاريخي والفيزيقي لمدينة أرزيو، بغية معرفة مدى تأثيرها على شكل المدينة ونموها وتطورها وانعكاساتها على الحياة الاجتماعية، مع ذكر الخصائص المورفولوجية والفيزيكية لحي الهضاب مجال الدراسة، ومن دون شك ستساعد على معاينة الحياة اليومية للسكان بحي الهضاب باعتبارها مقياس الدراسة.

ومن أجل بناء هذا البحث كان من الضروري تغطيته من بعض النظريات والمفاهيم محاولين التمييز فيما بينها ووضح الحدود. ومما لا شك فيه يتوقف نجاح هذا البحث على درجة السؤال المحوري الذي يعتبر في الأساس المنهل الذي سيتشعب به الباحث لتحديد مسار

¹ حمدوش رشيد، مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر: امتدادية أم قطعية؟ (دراسة ميدانية لمدينة الجزائر نموذجاً)، دار هومة، الجزائر، 2009، ص. ص. 69-70.

وتوجهات هذه الدراسة، والخطوة جريئة التي يتبعها الباحث للاستمرار هو تحديد "سؤال الانطلاق" كونه يشكل الخيط الرابط بين الباحث وموضوع بحثه، وعليه تأسس أصل الموضوع على السؤال التالي: كيف تتشكل الروابط الاجتماعية بين الجيران في حي الهضاب بمدينة أرزيو؟

وتماشيا مع تحديد السؤال يضطر الباحث الذي يسعى إلى إحداث رؤية جديدة في الدراسات السوسولوجية والانثروبولوجية إلى بناء قاعدة يعتمد عليها في التحليل تكون له بمثابة موجه معرفي اتجاه ما يصبو إليه في بحثه، وتتمثل هذه القاعدة في النظريات المعرفية السابقة له، لأنها ضرورة ملحة في الدراسات العلمية تملئها عليه الحاجة إلى التبصير، مما يسهل للباحث تحديد التوجه المنتظر منه. والاعتماد عليها لا يعني بطبيعة الحال التوقف عندها وإنما الاستمرار على ما وصلت إليه تلك النظريات، وذلك بعد الترجيح والتقريب والتحصيص والتدقيق والمقارنة، ومن جهة أخرى يعتبر رفضها رفضا للدراسة المنطقية "فإلغاء النظرية هو إلغاء للعلاقات الديناميكية بين الظواهر"¹، وعلى ذلك وجب التطرق إلى أهم المقاربات النظرية التي اهتمت بالروابط الاجتماعية ومسألة التفاعل الاجتماعي، باعتبارها من الضروريات المنهجية التي تهتم بأهم الأبحاث والدراسات السابقة حول الظاهرة المدروسة، وهذا لا يعني الانحراف ورائها والتسليم بأفكارها وإنما محاولة صياغة الموضوع بطابع جديد يستجيب لمضامين الفصول.

ولتحقيق المساعي النظرية لهذا البحث نبدأ بمدرسة شيكاغو²؛ هذه الأخيرة التي تركز على المفاهيم الايكولوجية للروابط الاجتماعية، فهي ترى أن الحياة الحضرية أصبحت تتميز باللامعيارية والعزلة، وقد اختفت معها الجيرة وبدا المجتمع الحضري عبارة عن تكديس مساكن أفرادها لا يعرف بعضهم بعضا. وعلى سبيل الدلالة يؤكد بارك R. Park أن

¹ CRESSWELL. R- GODELIER.M., Outils d'enquête et d'analyse anthropologiques, Maspero, Paris, 1976, P. 19.

² Cf. GRAFMEYER Y.- JOSEPH.I (présentation), L'Ecole de Chicago (Naissance de l'écologie urbaine), Aubier, Paris, 1998.

الحضرية تؤدي بالضرورة إلى اختفاء الجماعات الأولية بما فيها جماعة الجيرة، فجماعات الجوار فقدت في البيئة الحضرية ما كان لها من مغزى في الأشكال البسيطة والتقليدية للمجتمع. وفي الاتجاه نفسه يرى ويرث L. Wirth أنه من بين نتائج الحضرية عزل الجماعات فيعيش الأفراد مرتبطين ارتباطا سطحيا، مؤقتا تحكمه المصلحة المتبادلة، فالحضرية تفقد الطابع الأولي للعلاقات، لأنها كطريقة في الحياة وفرت تنوعا هائلا من علاقات الزمالة والرفقة، وتنوعا مماثلا من الثقافات الفرعية، بمعنى أن الحضري ينتمي إلى أكثر من وحدة اجتماعية، ولا يشعر بالانتماء الشديد أو الولاء لأي منها، ولذلك فسكان الحضر غير متجانسين ولا متشابهين تربطهم حاجاتهم الدائمة، لأنهم بحاجة إلى خدمة بعضهم بعضا دون أن تكون بينهم صلة مباشرة، وبمعنى أدق لا تحكمهم علاقات أولية. والظاهر أن الحياة الحضرية من هذه الزاوية تزكي روح الفردية، وتؤكد أهمية المصلحة بوصفها الأساس في قيام العلاقات الاجتماعية.

كما أكدت نظرية الثقافة الحضرية من جهتها تأثير الحضرية على الحياة الاجتماعية، وإن كانت لا تؤدي إلى ضعف الجماعات الأولية بما فيها الجيرة بل إنها قد تدعم هذه العلاقات بظهور الكثير من الجماعات الاجتماعية ذات الثقافات الفرعية المختلفة.

وعلى صعيد آخر، تعتبر المقاربة الوظيفية من المقاربات النظرية التي ترى أن العلاقات الجوارية مختلفة حتى لو كان المجتمع مطابقا تماما، لأن هذه العلاقات في ديناميكية تتغير باستمرار، ولن يتم هذا التغيير طفرة واحدة بل تدريجيا "داخل سيوروات اجتماعية وثقافية"¹.

ومما يجمل ذكره أن المقاربة الوظيفية تعتبر المجتمع ذلك الكل المتألف من الأجزاء، كل جزء منها يؤدي دوره، وبالتالي يقوم هنا التساند الوظيفي بين الأجزاء، ويساهم في تبيان الروابط والعلاقات بين ظاهرتين أو أكثر. وتمتد هذه المقاربة إلى قطاعات واسعة متأصلة في

¹ BONETTI M., Habiter : Le bricolage imaginaire de l'espace, Descellée de Brouwer, Paris, 1994, P. 4.

حياة الناس كالعقائد والمراسيم، الزواج، العزاء والقيم والأنساق، والأنماط باعتبارها أنظمة شاملة توضح مكونات عامة للوصول للأجزاء الصغيرة (بدراسة الفعل الاجتماعي). كما أنها تستخدم مفهوم التوازن، التضامن، تقسيم العمل، الصراع والتنافس، وتهتم بسلوك الأفراد من خلال وسائل الضبط الاجتماعي. وقد أكد دوركايم I. Durkheim أهمية التحليل الوظيفي للظاهرة الاجتماعية.

ويؤكد أنصار التفاعلية الرمزية بأن الواقعة الاجتماعية ليست معطى، بل هي سيرورة تتشكل ضمن إطار الحالات العينية الملموسة، فمن خلال دينامية التفاعل بين الأفراد وفي إطار التبادلات والمعنى الذي يعطيه الأفراد لأفعالهم يمكن فهم جوهر الحياة الاجتماعية. وتعد بذلك نظرية التفاعلية الرمزية شكلا أو وجها من أوجه سوسيولوجيا الفهم، وتؤكد على أن المعارف التي نكوّنها في حياتنا اليومية معارف مطابقة للفعل وملازمة له من الأفضل حصرها وفهمها، والعالم لا يوجد إلا من خلال التأويلات التي يقوم بها الأفراد، فالفرد يعي جيدا ما يقوم به، وعليه تعتبره التفاعلية فاعلا، كما تهتم بالشروط الاجتماعية المحيطة التي تؤطر الفعل الاجتماعي، فكل فعل يتم انجازه يأخذ بعين الاعتبار ردود فعل الآخرين، وكل رابطة أو علاقة اجتماعية تتطلب عملية التأثير والتأثر، ولقد نظر جورج هربرت ميد G. H. Mead للفعل الاجتماعي على أنه "ليس مجرد بناء من المثير والاستجابة أو رد الفعل تجاه ذلك المثير، بل على أنه كل دينامي يتسم بالاستمرار والتغير طبقا للمواقف التي يحدث فيها ذلك الفعل"¹.

وتركز التفاعلية الرمزية "على الطبيعة الرمزية للحياة الاجتماعية، أي أنّ الدلالات الاجتماعية لأفعال الأفراد ينبغي اعتبارها نابعة من الأفعال المتبادلة التأثير بين الأفراد (Les activités inter agissantes des acteurs) "²، بمعنى أنّ الرموز والدلالات

¹ حافظ الأسود السيد، الأنثروبولوجيا الرمزية، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2002، ص. 63.

² المالكي عبد الرحمن، سوسيولوجيا الحضرة في المغرب (دراسة في العلاقة بين الأطر الايكولوجية والأنساق الثقافية بفاس)، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في علم الاجتماع، الجزء الأول، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المملكة المغربية، 2005، ص. 82.

والقيم المشتركة هي التي توجه أفعال الأفراد، وفي الوقت نفسه تمكن من التنبؤ بأفعال الآخرين وفهم سلوكهم، والفاعل الاجتماعي قادر على تأويل وفهم العالم المحيط به.

وعليه حتى نبي هذا الاتجاه الفكري من الناحية المنهجية ينبغي على عالم الاجتماع الذي يريد فهم وتحليل دلالات ومعاني الأفعال الاجتماعية "أن يسعى للنفاد لهذه الدلالات والمعاني وذلك لا يمكن إلا إذا شارك بنفسه كفاعل في العالم الاجتماعي الذي اختار دراسته"¹.

ومن المفيد التذكير بأن سوسيولوجية العلاقات والاعتماد المتبادل التي دفع إليها نوربرت إلياس N. Elias خير معين في هذه الدراسة، والتي تركز على "دراسة الوقائع الاجتماعية من زاوية الارتباطات فيما بينها"²، ويضيف إلياس N. Elias أن الاجتماعي "لا ينمو ويتطور بحسب انفجارات فجائية تُغيّر الواقع الاجتماعي بسرعة، إنما بحسب تحويرات صغيرة كامنة وغير مدركة"³ في حياة الناس.

وعلى الصعيد الموضوعي للدراسة، تم الاستعانة بمجموعة من الدراسات الميدانية التي تسير في نفس الاتجاه المخصص للدراسة، بداية نذكر دراسة شمبار دولو P.H. Chombart de lauwe⁴، الذي تطرق إلى طبيعة علاقات الجوار في إحدى المدن الفرنسية، حيث حاول معرفة مختلف النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية اليومية للسكان، وتوصل إلى أن الحياة اليومية في الحي الشعبي تختلف تماما عن الحياة في الحي الراقي، ففي هذا الأخير الجار يتجاهل جيرانه ويعيش عزلة تامة، عكس ما يوجد في الحي العمالي، وبالنسبة إليهم الشقق هي عبارة عن "مجموعة اجتماعية متماسكة تسمح بفرص الالتقاء بينهم"⁵.

¹ نفس المرجع، ص. 82.

² بويج نيقولا، "تمدن الطبائع الشرقية. الكياسة في القاهرة المعاصرة"، ترجمة إيمان فرج، متون عصرية في العلوم الاجتماعية: نوربرت إيلياس - التمدن بين الاجتماع والتاريخ -، العدد 2، المطبعة الذهبية، القاهرة، 2001، ص. 77.

³ ELIAS N., La dynamique de l'occident, Ed Calmann- Levy, 1975, p.234

⁴ Cf. CHOMBART DE LAUWE P.H., Des hommes et des villes, Payot, Paris, 1965.

⁵ Ibid, P. 29

وإعتبر ريمون لودريت R. Ledrut¹ الجيرة في دراسته وحدة جماعية متماسكة، تتكون انطلاقاً من علاقات اجتماعية، فهي روابط مباشرة تظهر من خلال درجة التعاون والتضامن بين أفرادها، يعتبر ذات الباحث التقارب الجغرافي بمثابة "مؤشر قاطع لتكوين علاقات صداقة بين الجيران"²، وبهذا تتحدد العلاقات بمدة السكن، وعليه صنف الجيران إلى ثلاث مستويات؛ الأول جيران لا تربطهم علاقات صداقة ولا علاقات تبادل مع الجيران، الثاني جيران يقدمون خدمات لجيرانهم دون الدخول معهم في علاقة وطيدة، أما المستوى الثالث فيتمثل في جيران لهم علاقات صداقة وعلاقات تبادل بارزة مع جيرانهم، وتوصل إلى أن المستوى الأول يمثل 10% من عينة دراسته، المستوى الثاني بنسبة 53% أما المستوى الثالث فتقدر نسبته بـ 34% حسب دراسته الميدانية³

وفي كتاب آخر⁴ دراسات حول الجيرة، الكتاب هو نتيجة لبرنامج البحوث الجماعية: تقارير عن المعاشرة واستخدامات السكنية في المناطق المشتركة أطلقت في عام 1998. يناقش الباحثون في هذه الدراسات طبيعة التبادلات التي تحفز وتنعش العلاقات الاجتماعية بين الجيران (الهويات والممارسات والتمثيلات) بين الفضائين العام والخاص. وعن علاقة الفضاء بالتفاعلات التي تحدث يومياً يقول كل من قورسي C. De Gourcy وبينسون D. Pinson: "إن المساحات الوسيطة تشكل المسرح الرئيسي للتعرف على الآخر، ألا وهو الجار"⁵، ركزت هذه الدراسات أيضاً على تسليط الضوء على الاختلافات بين الثقافات في "العيش" في إطار العلاقات العامة، وأنه مستحيل تجنب الجار، فقد توصلت دراسة كل من C. Lévy-Vroelant و B. Dussart و J. P. Frey إلى رصد "89% من السكان المبحوثين على علاقة جيدة مع جيران العمارة؛ منها 51% من السكان أكدوا على أنهم منذ

¹ Cf. LEDRUT R., L'espace social de la ville. Ed Anthropos. Paris, 1968.

² Ibid, P. 71

³ Ibid, P. P. 183- 184

⁴ Cf. HAUMONT B. - MOREL A., La société des voisins (Partage un habitat collectif), Edition de la Maison des Sciences de l'homme, Paris, 2005.

⁵ Ibid, P. 173

سكنهم كونوا علاقات صداقة مع الجيران. 43% قدموا خدمات للجيران في شهر سابق للدراسة. 41% قاموا بزيارة الجيران في نفس فترة البحث¹

ونوه عبد المالك صياد² أن الجيران داخل المدن وفي الأحياء الحضرية لم تعد تربطهم علاقات كما كانت في السابق، فقد حلت محلها علاقات سطحية وباردة مختارة، يعتبرها صياد طريقة للحياة في فضاء جديد ويسميتها "نموذج المخالطة الحالي"، هذه العلاقات الثانوية تقوم على العقل، فهو الذي يختار بنائها حسب "الوضعية السوسيواقتصادية للسكان إضافة لانتماءاتهم الاجتماعية والثقافية"³.

وطرح لعربي اشبودن في دراسته الميدانية⁴ التي قام بها على عينة مكونة من 550 مبحوث موزعة على ستة مناطق بالجزائر مدى اختلاف علاقات الجيرة في الوسط الريفي الذي يتميز بعلاقات التبادل، التي تعد واجبا موروثا، بينما في المجتمع الحضري يكون الضبط الاجتماعي أقل ما يعمل على حرية الأفراد في تكوين أو عدم تكوين علاقات الجيرة. ويؤكد في ذات الوقت على أن علاقات الجوار تدهورت عما كانت عليه سابقا، يرجع هذا التدهور إلى عدة أسباب، وهي: كثرة الأطفال بالدرجة الأولى وعدم تناسب نوعية، شكل وحجم المسكن مع احتياجاتهم، ثم الضجيج كسبب ثاني ويليهما المستوى الاجتماعي للأسر.

وتوصل عبد القادر القصير⁵ إلى أن الصفات التقليدية التي كانت تميز الأسرة العربية الحضرية قد تغيرت بشكل كبير بفعل التغيرات الناتجة أساسا عن التحضر والتصنيع والتحديث، وبالرغم من ذلك علاقات الجوار مازالت قائمة، وهي تتفاوت من حيث الدرجة

¹ Ibid, P. 89.

² Cf. SAYAD A., « Les effets naturels du relogement », In Revue des sciences sociales. Panorama, N°4 -5, Octobre- Novembre 1980, ONRS. Alger

³ HADJIDJ D., « Urbanification » et appropriation de l'espace, Thèse de doctorat d'état de sociologie, Tome II, Université d'Oran, 2001, P. 40.

⁴ Cf. ICHEBOUDENE L., Alger, système urbain, histoire, changement social et développement. Thèse de doctorat d'état, Tome 3, 1994.

⁵ أنظر: القصير عبد القادر، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية (دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري)، دار النهضة العربية، بيروت، 1999.

حسب المستوى الاقتصادي، والثقافي للأسر، فهي تضعف قليلا لدى الأسر المنتمية إلى الفئتين العليا والوسطى التي تسكن الأحياء الحضرية الحديثة الراقية، وتقوى لدى الأسر المنتمية إلى الفئات العمالية التي تقطن الأحياء الشعبية والمتخلفة.

كما خلص طلعت ابراهيم لطفي¹ إلى أن علاقات الجوار تدعم وتزداد احتمالاتها داخل المناطق الشعبية بالنسبة لغيرها من المناطق الموجودة داخل المجتمع الحضري، وأن هناك خصائص تعزز وتدعم علاقات الجيرة، تتمثل في: طول مدة الإقامة، وجود الأطفال، تقدم الأفراد في السن، اشتراك الأفراد في مواجهة بعض الاحتياجات، التجاور المكاني لجماعات أولية غير جماعات الجيرة، قلت فرص تكوين العلاقات الأولية بعيدا عن التجاور المكاني.

ومن خلال المعاينة الميدانية التي قام بها جمال معتوق على عينة مقدره ب 15مبحوث قاطن بحي الموز الجديد بمدينة البليدة توصل إلى أن "الروابط الاجتماعية الجوارية قد تغيرت عما كانت عليه في الماضي حيث أصبح الجار مصدر مشاكل لجاره"²، مؤكدا أن التغير الاجتماعي أنتج "ضعف الروابط الاجتماعية وزوال العديد من العادات والقيم التي كان الفرد الجزائري يتميز بها"³.

وتوصل مروفل مختار⁴ في دراسته لحي شعبي قائم أساسا على علاقات القرابة، إلى أن روابط الجوار اطلعت بدور تنظيمي للمجال الاجتماعي، وأن الفعل الجوارى امتد إلى مساحات اجتماعية واسعة، فهو تارة -أي الجوار- يتعايش مع

¹ طلعت ابراهيم لطفي، "أثر الحضرية في جماعات الجيرة"، من: دراسات في علم الاجتماع الحضري، ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1995، ص. ص. 155-156.

² معتوق جمال، "قراءة نقدية في الروابط الاجتماعية: حالة المجتمع الجزائري"، من: الروابط الاجتماعية في المجتمع الجزائري، فعاليات الملتقى الوطني الرابع لقسم علم الاجتماع، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008، ص. 260.

³ نفس المرجع، ص. 257.

⁴ أنظر: مروفل مختار، الرابط الاجتماعي الحضري: الأسس والمعايير -مقاربة سوسيو-اثنوغرافية بحى الأمير خالد (الخروبة) وهران، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، بجامعة وهران، 2004.

منطق القرابة وتارة أخرى يتفاوض معه، ليحاول الافتكاك من رابطة الدم في تسيير السلوك العام.

وخلص العربي مهدي¹ إلى أن الأفراد والجماعات التي تنتشر في المدن الجزائرية لا تزال لحد الآن تبحث عن حياة جماعية، وإنّ الروابط العائلية والجوارية التي تطورت في الأحياء الشعبية غير قادرة على صنع مجتمع سياسي كونها غير مستقرة. وأكد أنّ الروابط الاجتماعية وطبيعة التضامن الموجود في مجتمع بحته يتجه في اتجاه مختلف عن المؤسسات القانونية والسياسية التي وضعت من قبل الجماعة التي هيمنت على سلطتها. فبالرغم من أن هذه الدراسة ذات طابع سياسي أكثر إلا أنّها أضافت مزيداً من التوضيحات في الكثير من المواضيع.

ورأى رشيد حمدوش في دراسته الميدانية² أن "الفردانية تجعل من الكائن الفرد كائناً ضعيفاً ووحيداً لكن في نفس الوقت تجعل منه ذلك الكائن المتواجد في المدينة، وبالتالي ذو علاقات وارتباطات عديدة مقارنة بذلك الفرد الذي يعيش وسط مجموعته المحلية المحدودة والضيقة وبالتالي حاجته إلى غيره وحاجة الغير له تقوي تلك الروابط التضامنية وتعززها. فعوض الرباط الضيق الذي كان يتمتع به الفرد في مجموعته المحلية (الأولى) يصبح هذا الفرد المتواجد في المدينة أي في مجال بيئة أوسع يتمتع بروابط عديدة ومكثفة وبنسوجات أكبر عدداً كما أن الحياة الخاصة سرعان ما تتحول إلى مسألة عامة وعمومية"³

¹ أنظر: مهدي العربي، التضامن والمجتمع: اقتراب تحليلي لأشكال التضامن بمحي الضاية الشعبي لمدينة وهران، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علم الاجتماع بجامعة وهران، 2008.

² أنظر: حمدوش رشيد، مرجع سابق.

³ نفس المرجع، ص. 40.

وفي إطار مشروع CNEPRU¹ توصل كل من الباحثين حجيج الجنيد ومصطفى عمشاني ومصطفى غماري إلى أن المدينة تعيش غيابا في العلاقات الاجتماعية الدائمة بين أفرادها، فهي كما عبر عليها الباحث غماري تعيش أزمة هوية عميقة، إذ أن السكان أصبحوا ولاعتبارات عدة يعيشون حالة من الفردانية، فأكد عمشاني - من خلال دراسته الميدانية لحيي الصباح والياسمين بوهران- أن قلة التواصل واللامبالاة بين العائلات والأفراد كانت السمة الواضحة في هذه الأحياء، فلا يتصل الجيران ببعضهم إلا فيما هو ضروري من الأمور، فتتسم العلاقات بالضعف والقلة مع وجود حنين دائم إلى أصدقاء الحي القديم، وطرح حجيج في مقاربتة الميدانية لحيي خميسستي (برنامج LSP) واسطو (برنامج AADL)، مدى بعد التقارب المجالي في تأسيس تقارب اجتماعي، مؤكدا أن التساكن لا يعني بالضرورة مفهوم التعايش، بل إن قرب المجال قد يؤدي إلى تباعد اجتماعي، وعليه رأى أن هذه المساكن أصبحت مرآة فقط تنعدم فيها الروح الاجتماعية، معلنا أن غياب العلاقات الاجتماعية هي نتيجة عن صعوبة تملك الفضاء السكني، كما أعلن ذات الباحث أن في "التجمع السكني لحيي اسطو، الأسر تسكن، لكن لا تتعايش مع بعضها البعض. السكن الجماعي يترك جوا كثيبا على الحي، أو يفرز عزلة قاسية"²، وخلص غماري في دراسته عن الشباب وبناء الرابطة الاجتماعية في نتائج أولية إلى أن هناك علاقة وثيقة بين الفضاء السكني الجماعي وتمثلات السكان المرتبطة بالحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية ونمط العيش بصفة عامة، كما أن الرابط الاجتماعي يتحدد لدى الشباب بطبيعة الهوية الثقافية والتنشئة الاجتماعية التي يمر بها هؤلاء الشباب.

¹ Cf. Projet de recherche CNEPRU N° 01820080049, Djounid HADJIDJ (chef de projet) Villes et liens sociaux –Les grands ensembles à Oran entre adaptabilité et sociabilité, Université d'Oran, Faculté des sciences sociales, Département de sociologie, 2011

² HADJIDJ D., « Les grands ensembles à Oran. Anomie de la vie juvénile ou l'exclusion programmée », In: Hervé Cellier et Abla Rouag- Djenidi (Sous la direction), Algerie France (Jeunesse, ville et marginalité), L'Harmattan, Paris, 2008, P. 108

لقد أسدت الدراسات السابقة خدمة طيبة لمشكلة النقص في تحليل بعض الظواهر، بالرغم من صعوبة الربط فيما بينها وتفسيرها لفهم مجتمع بحثنا اليوم، لأنها أنجزت في فترات مختلفة وفي دراسة حالات خاصة بعينها، ومجتمعات مختلفة عن مجتمع بحثنا.

ولأنّ المعرفة السوسيولوجية "تنطلق من دراسة أفعال وممارسات الأفراد ودراسة علاقتهم بالواقع المحيط بهم ومحاولة فهم المعنى أو المعاني التي يعطونها لهذا الواقع"¹، أكد بورديو P. Bourdieu في كتابه *Le métier de sociologue*² على أن الباحث إلى جانب كونه مطلعاً على معالم الفكر السوسيولوجي من زاوية الكشف عن ظروف إنتاجها المحددة بالمكان والزمان وخصوصية المجتمع ضمنه، فضلاً على أنه يهيأ معرفة ميدانية مجزئة ومتناسقة حول أهم المعطيات الثقافية الاجتماعية التي يفرزها الواقع الاجتماعي، ومن ثم تحديد أهم الإجراءات المنهجية التي تضمن تجاوز جملة العقبات الاستمولوجية وذلك لتحقيق النجاح الفكري.

ومن منطلق الفهم كما يقول بورديو P. Bourdieu "ليس لنا الرثاء ولا الضحك ولا الكراهية بل الفهم"³، تحاول هذه الدراسة التقصي واستكشاف النماذج العلائقية بين الجيران داخل حي حضري، المتمثل في حي الهضاب بأرزويو، وذلك بالتوغل في خبايا الحياة اليومية للسكان من خلال تصوراتهم وتمثلاتهم وتصرفاتهم داخل مسكنهم وخارجه. والتي تظهر في علاقات المواجهة والالتقاء وكل أشكال التفاعل والصراع وغيرها. ونحاول طرح كيفية تشكل الروابط الاجتماعية وتبلور آليات التفاعل والتواصل، وكذلك الاختلاف والصراع في أبعاده المتنوعة. وحتى نفهم هذه العملية التواصلية التفاعلية لا بد من ملاحظة ومعايشة مستمرة لمجتمع البحث، فالحياة اليومية للجيران هي "المختبر" الذي يكشف عن مختلف الحقائق المتصلة بالواقع الحياتي لسكان حي الهضاب، والتي سيتم تحليلها لبناء موضوع جديد.

¹ COULON A., *L'école de Chicago*, Q.S. Je ?, 1^{er} édition, Puf, Paris, 1992, P. 17.

² Cf. BOURDIEU P., *Le métier de sociologue*, Ecole pratique des hautes études, Mouton and Bordas, Paris, 1968.

³ BOURDIEU P., *La misère du monde*, Seuil, Paris, 1993, P. 7.

ومن هذا المنطلق، يثير البحث عدة تساؤلات حول العناصر الواجب أخذها بعين الاعتبار من أجل استكماله، تتمثل في مسألة تشكيل الروابط الاجتماعية داخل المدينة، وكيف تنشأ علاقات الجيرة في حي "الهضاب"، وعن النماذج العلائقية بين الجيران والأساس الذي تقوم عليه، وما هو شكل الاتصال القائم بينهم، وهل هذه العلاقات والروابط الاجتماعية داخل الحي تتجه أكثر إلى الفردانية أو إلى التضامن الجمعي؟ كما نتساءل عن العوامل التي تدعم علاقات الجيرة؟ وعن أماكن الاتصال والالتقاء بين الجيران.

وسيتم البحث عن صور التضامن والتآزر بين الأسر دون أن نهمل كل أنواع الصراع والتنازع الذي قد ينشأ من هذه العلاقة، فكيف ومتى يتشكل التضامن الاجتماعي؟ وكيف يحصل الصراع الاجتماعي بين الجيران؟

وباعتبار الفرضيات نقطة انطلاق الباحث، حيث يضع من خلالها تصوراتهِ للظاهرة المدروسة، فهي تحدد العلاقة بين المفاهيم ومتغيرات الدراسة، وتشكل دليلاً موجهاً للبحث¹، تعد فرضيات هذه الدراسة حصيلة لجملة القراءات النظرية الأولية، والاستنتاجات الميدانية الاستكشافية التي تم الوقوف عليها أثناء زيارة مجال البحث، ومنه تم حصر فرضيات الدراسة على النحو التالي:

- إن الاختلافات في النماذج العلائقية بين الجيران داخل الوسط الحضري يكون حسب تصور الفرد ومساراته الاجتماعية والتاريخية، فهناك من يجذب تكوين علاقات وهناك من لا يرغب في تكوينها.

- إن اللاتجانس الاجتماعي يضعف العلاقات فتزيد السطحية في التعامل، وتبرز النفعية التي تؤدي إلى الصراع الاجتماعي.

¹ Cf. BEAUD S. - WEBER F., Guide de l'enquête de terrain, La découverte, Paris, 1997.

تلك هي أهم الأسئلة والفرضيات التي تم تشكيلها حيال هذه الدراسة، وسيتم الوقوف على هذه التساؤلات من خلال بعض النماذج؛ حيث تم حصر مجال البحث المكاني في مجالين سكنيين، الأول هو جزء من تجمع 1500 مسكن، عبارة عن مساكن عمودية جماعية (Z.H.U.N)، يحوي على سبع عمارات بأربعة إلى خمسة طوابق (62 مسكن)، تم اختياره بحكم أن جيران العمارة الواحدة يتقاسمون نفس المكان (باب خارجي واحد مشترك، نفس السلام...) ما يفرض عليهم الالتقاء باستمرار كما يفرض نوع من القواعد لا بد من التقيد بها. أما المجال الثاني فهو عبارة عن مساكن فردية (التحصيلات) des lotissements، يتكون من ستة وأربعين (46) مسكن، اختيارها كان من أجل المقارنة بين النماذج العلائقية التي تتكون بين الجيران داخل كل مجال، للتحقق من الفرضيات المطروحة، وكذا استجابة لأهداف البحث المتمثلة في:

- الوصف الدقيق للظاهرة المدروسة والعناصر التي تحركها.
- الكشف عن كيفية تكوين علاقات الجيرة داخل مجتمع حضري.
- محاولة منا لفتح باب واسع للبحث والنقاش المعمق، والحوار الجاد حول العلاقات الاجتماعية التي تجمع بين الأفراد المكونين لمجتمع محلي، ودراسة واقع وطبيعة العلاقات بينهم من الناحية السوسيوأنثروبولوجية.
- إثراء التراث العلمي وتزويد المكتبة الجامعية بدراسة حقلية عن واقع الرابط الاجتماعي في الوسط الحضري، وسعي هذه الدراسة إلى إضفاء الجديد على مستوى الدراسات الحضرية الإمبريقية والحقلية وإثراء المعرفة العلمية.
- تشخيص واقع أنماط التفاعل في تناسقها وتعارضها وتفاعلها، وكذا عرض مختلف التأثيرات المترتبة عن ذلك.

لقد كان نزوعي إلى موضوع الرابط الاجتماعي بين الجيران نابعا من الحاجة الملحة التي أملتها تحديات البحث السوسيوأنثروبولوجية، وثانيا نابعا من الوازع الشخصي الذي دفعني إلى التوجه نحو مجال التفكير والغوص في الدراسات السوسيوأنثروبولوجية التي تبحث في

أعماق المجتمع، وما أحوجنا إلى مثل هذه الدراسات؛ فالأنثروبولوجيا كما يعتبرها كليمو P. Clement "كالهندسة المعمارية تقوم بوظيفة التعبير عن المجتمع، في تنظيمه الاجتماعي، وكذلك في أنظمتها الرمزية" ¹ وأكد شومبار دولو P. H. Chombart de lauwe من جهته أيضا أهمية المنهج الأنثروبولوجي في الدراسات الحضرية ² الذي يعتمد على البيانات الكيفية التي تجمع عن طريق تقنيات البحث الميداني.

وعينا بأهمية الدراسات السوسيوأنثروبولوجية للمدينة، وانعدام دراسة سوسيوأنثروبولوجية تتناول المدينة الصناعية أريزو، هذه المنطقة التي تتميز بنوع من الخصوصية تعكس بطبيعة الحال تلك العلاقات الجوارية المنفردة، كما أنه حقل خصب للخوض فيه من أجل انجاز البحث. ولقد كانت الظروف مواتية لهذه العملية من خلال الروابط الاجتماعية التي تجمعني بسكان الحي في إطار العمل؛ حيث شاركت في عملية التعداد السكاني للسكن والسكان لعام 2008م، ومن خلال الخرجات الميدانية التي كنا نقوم بها في إطار البحث التمهيدي Pré- enquête للتعداد (في عام 2007م) تكونت لدينا معارف وصدقات على مستوى حي الهضاب (الحي المدروس)، هذا ما اعتبر عامل مساعد لإجراء الدراسة في ظروف مناسبة، وهو الأمر الذي سهل ضمان مشاركة الباحثين وإسهامهم في هذا العمل البحثي.

وكانت الرغبة في الاطلاع على الحياة اليومية للسكان وعلى واقع الروابط الاجتماعية بين الجيران محاولة لإلقاء الضوء على هذا الحي الذي يحمل بداخله مسائل حساسة لا يمكن تجاهلها، وهي غائبة في الدراسات السابقة التي تهتم بدراسة الروابط الاجتماعية داخل المدينة، وقد شكّلت هذه المواضيع اهتماما متزايدا في السنوات الأخيرة، من خلال الملتقيات والبحوث العلمية. ومن هنا كانت الرغبة محكومة باستكمال الفهم العلمي لميكانيزم تشكيل العلاقات وكيفية تفاعل الأفراد المكونين للمجتمع المحلي معين (الحي).

¹ CLEMENT P., « Architecture et anthropologie », In Espaces des autres : Lectures anthropologiques d'architectures, Les éditions de la villette, Paris, 1987, P. 20.

² CHOMBART DE LAUWE P.H, op. cit, P. P. 50-57.

- منهجية البحث

إن كل دراسة تستوجب منهجا يتلاءم مع طبيعة الموضوع المدروس وصولا إلى الأهداف المسطرة، وتعتبر عملية انتقاء الأسس المنهجية لأي بحث عملية بالغة الأهمية، لأنها تمكن الباحث من معرفة وإدراك ما يسعى إليه. وانطلاقا من قول بيكر H. Becker: "من أجل فهم سلوك فرد ما ينبغي علينا أن نعرف أولا كيف يدرك وضعيته (sa situation) والعراقيل التي يعتقد أنه سيواجهها، والبدائل التي يرى أنها مفتوحة أمامه، ولا يمكننا أن نفهم حقل الفرص المتاحة، والثقافات الفرعية (...). والمعايير الاجتماعية وغيرها من التفسيرات الجماعية لكل سلوك إلا إذا اعتبرناها من وجهة نظر الفاعل" ¹، فليس المهم فهم شكل الصورة الحضرية كما يقول لنش K. Lynch بل نوعية هذه الصورة هي الأهم ². إن هذا التصور للبحث يستدعي منهجا خاصا وضرورة الاستعانة بتقنيات خاصة على ضوء الاقتراب الكيفي الذي تبيناه في دراستنا هذه.

ولما كانت طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج المستخدم، فإنه وتبعاً لما تم التطرق إليه فإن المنهج المعتمد في الدراسة هو المنهج الأنثروبولوجي، للكشف عن طرق حياة أفراد مجتمع البحث وعن العلاقات التي تربطهم والروابط التي يشكّلونها، فالغرض منه فهم الواقع الاجتماعي كما هو بكل جزئياته ونحيط بكل أبعاده من خلال عملية الوصف كأول خطوة؛ حيث أن "وصف الظواهر أو وصف الواقع كما هو مهم من أجل الوصول إلى استنتاجات تساهم في فهم هذا الواقع وتطويره" ³

إن الغرض من اعتماد هذا المنهج في الدراسة يكمن في توفير أكبر قدر من المعلومات والبيانات الأساسية التي ترسم صورة عامة للمشكلة أو الظاهرة المدروسة؛ حيث يتطلب هذا المنهج تحديد المجال العام للدراسة والتردد عليه عدة مرات لتحديد المساكن وأشكال التفاعل

¹ Cité In : COULON A., op. cit, P. 76

² Cité In: RAULIN A., op. cit, P. 139

³ بوحوش عمار ومحمد محمود الذنبيات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ط 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001، ص. 141.

بين السكان، الأمر الذي تطلب منا معايشة ميدان البحث من خلال الزيارات العديدة والمستمرة إليه، والتي دامت إلى غاية الانتهاء من كتابة تقرير البحث في شكله النهائي.

وبناء على المنهج المتبع في الدراسة، وفي ضوء متطلبات الدراسة من الناحية الميدانية وأهمية الحصول على البيانات اللازمة، والتي من شأنها أن تساهم في نجاح الدراسة، تم الاعتماد على تقنياتي الملاحظة المباشرة والمقابلة نصف الموجهة.

وتعتمد تقنية الملاحظة بدرجة كبيرة على مدى خبرت الباحث ومهارته، وهي "تستخدم في كل الدراسات العلمية خاصة الوصفية منها، ولا يستطيع الباحث في أي دراسة أكاديمية الاستغناء عنها"¹. وتظهر الملاحظة في "وضعية معينة فهي نظرة حول طبيعة عامة، وفهم ما هو ملاحظ، وليس ما يجب ملاحظته، فالهدف منها جمع المعطيات كما هي"²، وهي عبارة عن معاينة مباشرة لأشكال السلوك التي ندرسها من خلال الحياة اليومية للسكان، مع ملاحظة مختلف التفاعلات الاجتماعية فيما بينهم، فهي "تسمح بالالتقاء مع كل ما يحصل"³

وعلى غرار ذلك تمكن تقنية الملاحظة من فهم مختلف وجهات النظر والقيم والمعاني، التي تنطوي عليها التعبيرات اللفظية وأنماط السلوك، فهي "الأداة الأساسية لا غنى عنها للكشف عن الأفعال التي تكمن وراء أنماط السلوك الظاهر، والمعاني والرموز التي تعبر عن الإدراكات المعرفية عند أعضاء المجتمع"⁴، فتساعد على كشف العناصر الخفية للظاهرة.

تم الاستعانة في هذه الدراسة بالملاحظة المباشرة، والتي يقوم فيها الباحث بملاحظة الجماعة دون إثارة اهتمام الباحثين، ويكون الاتصال بأعضاء الجماعة مباشراً، بغية الإلمام بجميع تفاصيلها عن قرب وأخذ الصورة الصحيحة من خلال الالتصاق بالميدان، وحضور

¹ عثمان حسن عثمان، المنهجية في كتابة البحوث والرسائل الجامعية، منشورات الشهاب، الجزائر، 1998، ص. 32.

² GHIGLIONE R. - MATALON B., Les enquêtes sociologiques (Théories et pratique), Armand Colin, Paris, 1978, P. 11.

³ PIETTE.A., Ethnographie de l'action, Métailié, Paris, 1996, P. 110.

⁴ الغامري محمد حسن، طريقة الدراسة الأنثروبولوجية الميدانية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1989، ص. 47.

العديد من هذه التجمعات. وتبرز أهمية هذه التقنية فيما تتيحه للباحث من فرصة التعرف على السلوك الفعلي للفرد في صورته الطبيعية التلقائية كما هو في الواقع. وعليه اتضحت الرؤية حول طبيعة الحياة الاجتماعية بالحي وطبيعة علاقات بين الجيران، حيث تم من خلالها التعرف على الأماكن التي يلتقون فيها، مع التركيز على ملاحظة الممارسات التي تتم من خلال الاتصال والالتقاء بين الجيران.

اقتضت هذه الدراسة أن يكون الباحث طرفاً في التواصل، من أجل الوصول إلى ما هو مخفي في الظاهرة فكان من الضروري مشاركة المبحوثين حياتهم اليومية، لذا كان لا بد من حضور الإطار المرجعي الخاص بالباحث باستمرار يوجه سلوكه ويتحكم في تصوراته وأسلوب تمثله للآخر والتعامل معه من أجل التحلي بالموضوعية.

أما تقنية المقابلة تعتبر أداة اتصال، فهي تلك المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف معين، يقوم بها الباحث لاستثارة أنواع معينة من المعلومات لاستغلالها والاستفادة منها. وتعد هذه التقنية سيروية تفاعل بين الباحث والمبحوث، وتكمن خصوصيتها في الاستماع للمبحوث مباشرة وإعطاء مساحة أكبر للمبحوث للتحدث والكلام، كما تساهم في إنتاج معطيات خطابية تسمح لفهم التمثيلات والممارسات الخاصة بإنشاء الروابط الاجتماعية. ومن جهة أخرى فهي تساعد على فهم ما هو كامن في الظاهرة، وعلى حد تعبير حجيج فإنّ المقابلة تمكن من "إثارة التعبيرات التلقائية ذات دلالة لما يفكر فيه المبحوث (...). تسمح لنا بالذهاب أكثر إلى عمق الناس، والتي لا يمكن أن تترجمها أرقام إحصائية، ومن جهة أخرى الوصول إلى غنى في تمثيلاتهم وتصوراتهم للعالم وللأشياء"¹، إذ لا يمكن اختزال تمثيلات السكان وقيمهم وممارساتهم في أرقام ونسب وجداول إحصائية، مهما كان صدقها.

¹ HADJIDJ. D, « Enquêter sur son propre terrain ». Terrains vécus. Terrains revécus. In : Anthropo , N° 5-6. Ed GRAEA, France, 2006, P. 29.

والمقابلات كما أكد كل من ديديه دومازيار D. Demazière و كلور دوبار C. Dubar "لا تمنحنا أبدا وقائع وإنما كلمات" ¹ التي تعبر عما يعيشه أو عايشه الفرد انطلاقا من تجربته في الحياة اليومية، فقيمة المقابلة إذن تكمن في "اكتشاف العوالم التي يعيشها الفرد والتي تنقلها لنا المقابلات بالنسبة للأشخاص الذين قبلوا التحدث معنا" ²، هذا الاكتشاف يصلنا لفهم الواقع الاجتماعي كما هو. ومن أجل فهم أكثر للظاهرة المدروسة والعناصر التي تحركها، والكشف عن العناصر الخفية فيها من أجل الوصول إلى معرفة علمية تم توظيف المقابلة نصف الموجهة لأنها بالإضافة إلى ما سبق ذكره عن مميزات المقابلة، تعد سهلة التكيّف مع أوضاع البحث المتجددة والمختلفة، فمن السهل تعديل الأسئلة بما يتناسب وخصائص عينة الدراسة.

حدثت المقابلات داخل الفضاء السكني للأسر المبحوثة بحضور جميع أفرادها، واختلفت في طريقة إجرائها من ساكن لآخر، فلم يكن هناك نموذج موحد لها، حيث لم نقيّد المبحوثين بأسئلة دليل المقابلة والإجابة عليها، بل تركنا لهم كل الحرية في الحديث عما يخصهم، مع التدخل من طرفنا بمرونة لإرجاعهم إلى الموضوع. وكانت أسئلة المقابلة تطرح باللغة العامية، ويتم تسجيل كل ما يدور من حوار مع المبحوثين، مع ملاحظة طريقتهم في الكلام واستعمال الألفاظ. ولم نغفل الأحداث الجانبية وكل ما قد يثير الانتباه؛ إذ أنّ معاينة حركات المبحوثين وتتبع تعابير وجوههم وإيماءاتهم من الأمور التي قد تساعد على اكتشاف بعض الحقائق والأمور الهامة.

وبالنسبة لوقت إجراء المقابلة فقد تم في فترات مختلفة، حسب ما حددته الأسر المبحوثة، وكان في مجمله في فترة الصباح خاصة بين الساعة التاسعة والثانية عشر، وفي الفترة المسائية ابتداء من الثانية إلى السادسة مساء، وكذا في عطل نهاية الأسبوع خاصة. ودامت كل مقابلة من ساعة ونصف إلى ساعتين.

¹ DEMAZIÈRE D. – Dubar C., Analyser les entretiens biographiques, Ed. Nathan, Paris, 1997, P. 7.

² Ibid, P. 7

وبعد انتهاء كل مقابلة ومغادرة مسكن الأسرة المبحوثة، نعيد ونسترجع كل ما مرّ بنا من حديث وحركات وملاحظات، ونعيد تسجيلها منظمة منقحة، مع القيام بتحليلها الأولي، والعمل على تنسيق وبناء المعرفة السوسولوجية المستخرجة منها والتي تراكم مع تقدم البحث والتحقيق، وهذا التصرف "يعتبر بلا شك الطريقة المثلى في مثل هذا النمط من البحث. هذا بالإضافة إلى أن هذه الطريقة هي وحدها الكفيلة بمساعدتنا على تقييم الأسئلة وتحسين سيرورتها، والكفيلة أيضا، وبدون شك، بتسهيل بلوغ مرحلة التشبع في وقت مبكر"¹. ولما كانت المقابلة الأولى لا تشبع الرغبات العلمية، اضطررنا لإعادة الزيارة عدة مرات للتحقق والتزام الموضوعية.

وعليه كانت الملاحظات والمقابلات الميدانية تحدث داخل الفضاء السكني، وتعدته إلى فضاءات عامة أخرى يتواجد فيها الجيران كالمساجد والحدائق العامة وغيرها من الفضاءات. وليس هذا فحسب؛ فمن خلال معايشة الأسر المبحوثة تمكننا من حضور بعض الاحتفالات والتواجد معهم في بعض المناسبات كالجنائز لملاحظة أشكال الاتصال والتواصل وكذا التضامن والصراع الذي ينشأ بينهم. وفيما يخص الفضاءات الرجالية تم الاعتماد على إخباري على اتصال مباشر بنا، والذي أمدنا بمعلومات هامة عن أشكال التواصل ونماذج الحوار داخل هذه الفضاءات التي صعب علي التواجد بها.

وباعتبار أن للعينة دور كبير في نجاح البحث الإمبريقي، من أجل خدمة الأغراض والأهداف التي يرمي اليها البحث إلى تحقيقها، يقوم الباحث باختيار العينة التي يحتاجها موضوع بحثه، فطبيعة الموضوع وأهدافه هي التي تحدد للباحث طبيعة العينة. وعليه تم تركيب عينة متنوعة Varié حسب وضعيات الأسر المختلفة وهذا لتعارض الأوضاع والحالات، وصلت إلى اثنان وثلاثين (32) أسرة مبحوثة نصفها (16 أسرة) تقطن الفضاءات السكنية الفردية

¹ بيرتون دانييل، "المقاربة البيوغرافية: صلاحيتها المنهجية وإمكاناتها"، ترجمة: عبد الرحمن المالكي، إضافات، العدد 13، شتاء 2011، ص. 88.

والنصف الآخر تسكن السكنات العمودية الجماعية¹. وما سهل العمل البحثي استعداد هذه الأسر المبحوثة التعاون معنا، وإمدادنا بكل المعلومات والحقائق عن حياة أفرادها اليومية. وتعد أهم المتغيرات التي تم الاعتماد عليها في اختيار العينة كالتالي:

- الفئات العمرية.

- الأصل الجغرافي (الانتماء الجغرافي)

- الوضع الاقتصادي المادي للأسرة

- المستوى التعليمي

- مدة الإقامة بالحي

- عدد الأطفال

وعليه تم البحث على مراحل وهي:

أولاً: المرحلة الاستطلاعية؛ إذ يمثل البحث الاستكشافي أول خطوة للدراسة العلمية، ويشمل جمع المعلومات النظرية التي لها علاقة بموضوع البحث، وهو ذا أهمية بالغة بحيث يثري الدراسة من حيث المصادر والمراجع؛ فقمنا بزيارة المكتبات الجامعية، وبعض المكتبات المحلية الخاصة.

إلى جانب البحث النظري تم ملاحظة الميدان مباشرة والقيام باستجابات مع بعض السكان في دراسة استطلاعية، قصد تحديد الموضوع وصياغة الإشكالية والفرضيات بأكثر دقة، وحصص التجمعات السكانية التي يتكون منها حي الهضاب مجال الدراسة، مع تحديد المناسبة منها لإجراء الدراسة الميدانية، وكذا من أجل بناء علاقة ثقة مع الأسر المبحوثة، ولصياغة دليل المقابلة بما ويتناسب خصوصية مجتمع البحث، فقد تم الاستغناء عن بعض الأسئلة التي لا تتصل بالموضوع والميدان المدروس، وأدرجت أسئلة أخرى ذات أهمية.

¹ أنظر جداول معطيات المقابلات الميدانية ضمن الملاحق.

ومن خلال الإطلاع وقراءة الكتب والمجلات والوثائق وعدد من الأطروحات والدراسات الجامعية، التي لها علاقة كبيرة بموضوع البحث تم تكوين قاعدة صلبة من المعلومات تكون كمنطلق لاستيعاب مختلف عناصر الموضوع من حيث الترتيب والتنظيم وكيفية المعالجة والتحليل.

ومن ناحية أخرى، لم يتم الاستغناء في هذه المرحلة عن مقابلة العديد من المسؤولين والمدراء ورؤساء الأقسام في البلدية وديوان الترقية والتسيير العقاري والديوان الوطني للإحصائيات، والاتصال بمكتب التخطيط والتهيئة العمرانية ببلدية أرزيو أين تم جمع المعلومات والإحصائيات المتوفرة حول السكان والإسكان، إضافة إلى التزويد ببعض الخرائط والصور وبعض الدراسات الخاصة بمكاتب الدراسات في الهندسة المعمارية.

ثانيا: مرحلة القراءات النظرية والعمل الحقلية للدراسة، إلى جانب قراءات المعمقة حول الموضوع تمثلت هذه المرحلة في مختلف التحقيقات الميدانية داخل الأسر بالاعتماد على تقنية المقابلة نصف الموجهة كتقنية أساسية وتقنية الملاحظة كتقنية مدعمة كما ذكرنا أنفا، إضافة إلى الزيارات العديدة والمتردة للأسر المبحوثة في أماكن التقائهم وتواصلهم. بدأت هذه المرحلة بمجرد الانتهاء من بناء الموضوع.

وثالثا: مرحلة تحليل ومعالجة المعطيات المتحصل عليها، وكتابة التقرير النهائي للبحث، مع الرجوع إلى الميدان كلما تطلب ذلك.

تم تعزيز هذا العمل البحثي بالدراسة الميدانية بغرداية في تربص دام 15 يوما في مارس عام 2009، تحت إشراف مدرسة الدكتوراه بمركز البحوث الأثروبولوجية الاجتماعية والثقافية CRASC التربص الذي ساعد في التعرف على العلاقات التي تجمع السكان الاباضيين بمجالين مختلفين الأول مغلق ثقافيا (قصر بني يزقن) والثاني مختلط وسط مدينة غرداية (centre ville)، كما ساهمت هذه الزيارة من ملاحظة مدى اختلاف العلاقات

الاجتماعية بين الجيران في هذين المجالين المختلفين، فالأول تقليدي خاضع لنظام الجماعة والثاني عرف انفتاحا تتحكم فيه مؤسسات اجتماعية مختلفة.

وبالموازاة، لقد كان التربصين قصيري المدى بمختبر سوسولوجيا التنمية الاجتماعية LASDES بجامعة ظهر المهرز فاس (المملكة المغربية)، الأول كان في مارس 2012 والثاني في مارس 2013 بإشراف الأستاذ عبد الرحمن المالكي (أستاذ السوسولوجية الحضرية)، الذي أفادنا بمعطيات هامة ومراجع تم الاستعانة بها في هذا العمل البحثي، دون أن نستثني في هذا التربص زيارة مكتبة آل سعود بالدار البيضاء (المملكة المغربية)، والتي تحوي مراجع هامة مكنتنا من بعض القراءات الأجنبية (كتب ومقالات).

لكن بالرغم من هذا كنا نتوقف عن البحث في بعض الأحيان لعدة صعوبات تتراوح درجتها حسب الظروف، فكما هو معروف أن كل بحث علمي جاد تعترضه صعوبات وعراقيل، ومن التي واجهتنا أثناء إجراء هذه الدراسة حساسية هذا الموضوع بالدرجة الأولى، وتضارب في أرقام الإحصائيات بين مختلف الهيئات والمصالح المعنية نتيجة عدم إتباع قاعدة سليمة للإحصاء إضافة إلى صعوبة في التواصل مع بعض العائلات. والوضع الأمني للحبي حيث تنتشر فيه بعض السلوكيات اللاأخلاقية كالسرقة والتعدي وتناول المخدرات بسبب البطالة والمشاكل الأسرية للشباب.

وانسجاما مع القراءات النظرية والنتائج الميدانية للحبي، وتمشيا مع أهداف البحث تم وضع خطة للدراسة تتمثل فيما يلي:

- الفصل الأول: تم التطرق فيه إلى مختلف الإشكالات والاتجاهات النظرية التي تناولت تأثير الحضرية والتحضر على الروابط الاجتماعية بين الأفراد. فمن خلال مختلف الدراسات السوسولوجية والانثروبولوجية حاولنا إعطاء حوصلة واستخراج الأبعاد والمحاور ذات علاقة بمجتمع البحث.

- الفصل الثاني خصصناه لمدينة أرزيو وحي الهضاب مجال الدراسة في مقارنة وصفية، تم ذكر خصائص المدينة الجغرافية، التاريخية، الاقتصادية والديمغرافية من أجل فهم السياق العام الذي تشكل منه المدينة من أجل فهم الرابط الاجتماعي الذي قد يجمع أفراد هذا المجتمع بشكل عام. مع تركيزنا على فهم خصوصية مجتمع البحث باعتباره مجتمعاً محلياً.

- الفصل الثالث طرح إشكالية الجيرة في حي الهضاب، بالتركيز على الخصوصيات الجغرافية والاجتماعية للأسر التي استقرت بالحي مجال الدراسة ومعرفة مساراتها التاريخية والاجتماعية، لفهم الأسباب الأساسية وراء التنقل، كما نحاول فهم طبيعة هذه الأسر ونوعية شكلها ونموذجها الذي اتخذته لكي تسير الفضاء الحضري الجديد، بمعنى فهم تصوراتها للفضاء وممارساتها داخله ليصبح أداة تساعد على الاندماج في الحياة الجديدة وبالتالي التواصل والارتباط لفهم كيفية بناء العلاقات الاجتماعية بالحي وعلى ماذا يرتكز.

- الفصل الرابع: تناول الممارسات الاجتماعية للجيرة في حي الهضاب، بالتركيز على التفاعل والتبادل الاجتماعي بين الجيران، وعن سيرورة تكوّن علاقات الصداقة بينهم.

- الفصل الخامس: عمدنا فيه إلى طرح التضامن وعوامل تعزيزه ومناسباته، وكذا الصراع كعملية اجتماعية وعن الأسباب التي قد تخلق التوتر والنفور بين الجيران.

- الفصل السادس: يركز على أماكن الاتصال المعنون بالفضاءات الاجتماعية: أماكن التقاء الجيران، إذ الفضاء السكني لم يعد وحده المجال الاجتماعي الذي يجمع الجيران، ويعمل على تشكيل العلاقات الاجتماعية، بل ظهرت فضاءات أخرى تلعب هذا الدور، ومن بينها المسجد، الحديقة العامة، المدرسة وغيرها، وفرضت علينا الدراسة أيضاً إلى التطرق إلى الفضاءات الرجالية كمجالات هامة للتواصل والالتقاء بين الجيران.

الفصل الأول

الرابط الاجتماعي والحضرية: مفاهيم ونظريات

- تمهيد

.I. الرابط الاجتماعي والحضرية: مقارنة مفاهيمية

1. مفهوم الرابط الاجتماعي

2. التحضر والحضرية

.II. الرابط الاجتماعي والحضرية: مقاربات نظرية

1. نظرية ابن خلدون

2. كارل ماركس والتحليل المادي

3. تونيز، دوركايم وكولي: الثنائيات المتضادة للروابط الاجتماعية

4. النظريات الحضرية

.III. الرابط الاجتماعي في الجزائر: دراسات ومقاربات

1. عدي الهواري وأزمة الروابط الاجتماعية

2. مصطفى بوتفوشة: الروابط الاجتماعية في مرحلة انتقالية

3. رشيد حمدوش: مقارنة جديدة لفهم الرابط الاجتماعي في الجزائر

- خلاصة

- تمهيد

إنّ الحضرية ومسألة الرابط الاجتماعي من المواضيع الهامة التي نالت اهتمام المفكرين والعلماء على اختلاف مشاربهم منذ بداية الفكر الإنساني؛ إذ برزت جهود متواصلة ومستمرة من أجل التمييز بين أشكال تجمعات الإنسانية، ومختلف الروابط والعلاقات التي تنشأ من خلالها، ومنه كان اهتمام علماء الاجتماع والانثروبولوجية حول كل ما يربط الأفراد فيما بينهم عن طريق الآليات وميكانيزمات تجعل المجتمع في حالة تماسك. ولقد ركز هؤلاء بعمق على الأسباب والخصائص، وتحليل مختلف النتائج المترتبة عن التحولات العميقة للمجتمع والحياة الاجتماعية في شموليتها، وفهم العديد من الظواهر والأفعال الاجتماعية، ومختلف الممارسات والسلوكيات الفردية داخل المدينة. ضف إلى ذلك فقد تطورت واختلفت نظم التفكير حول الظاهرة الحضرية لدى المفكرين بمختلف اتجاهاتهم، والمداخل النظرية التي حاولت تفسيرها ورصد أهم خصائص المجتمع في ظل مستجدات وتغيرات التحضر السريع وما يصاحبه من ظواهر اجتماعية واقتصادية وثقافية.

ومما لا غرو فيه، يعد وضوح التراث السوسيولوجي النظري مطلباً ضرورياً يسبق أي بحث إمبريقي، ويساهم في تثمين البحث، وعليه وجب التطرق إلى أهم النظريات التي عاجلت موضوع الحضرية والرابط الاجتماعي، وإلى الدراسات والمقاربات التي تناولت المجتمع الجزائري في ظل التحولات والتغيرات التي عرفها.

I. الرابط الاجتماعي والحضرية: مقارنة مفاهيمية

تعتبر المفاهيم الصبغة التي تضيفي على الدراسة نكهة طيبة في البحث العلمي، فهي ستأخذ حيزا شاسعا من هذا البحث لأنها بطبيعة الحال تمثل الجوهر الأصيل لعنوان الأطروحة، وتتحدد هذه المفاهيم في عنصر الرابط الاجتماعي، والحضرية والتحضر.

1. مفهوم الرابط الاجتماعي

يعد مصطلح الرابط الاجتماعي من المصطلحات المعقدة، وواسعة الدلالة ولهذا فمن الصعوبة بمكان صياغة تعريف واحد جامع وشامل لهذا المصطلح، ومن ثم فقد ظهرت تعريفات عدة تعاطت معه من منظورات مختلفة.

بداية يشتق الرابط لغة من الفعل رَبَطَ رَبْطًا، أي أوثقه وشده، وواظب عليه، وجاء في لسان العرب الرابط بمعنى الرباط، "ربط الشيء ويربطه فهو مربوط، والرباط ما يربط به، والمرابطة ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطا، وربما سميت الخيل أنفسها رباطا، والرباط المواظبة على الأمر، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾¹. وقيل معناه حافظوا، وقيل: واظبوا على مواقيت الصلاة... فيكون الرباط مصدر رابطت أي: لازمت. والرباط ما تشد به القربة والدابة وغيرهما، وقيل: "هو هاهنا اسم لما يربط به الشيء أي: يشد يعني أن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصي، وتكفه عن المحارم. وفي الحديث: أن ربيط بني إسرائيل قال: زين الحكيم الصمت أي: زاهدهم وحكيمهم الذي يربط نفسه عن الدنيا أي: يشدها ويمنعها"². وعليه تتضح سمات الروابط المتمثلة في الشدة، الملازمة، الالتزام والمواظبة.

¹ القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 200

² ابن منظور، لسان العرب، المجلد السابع، دار صادر، بيروت، 1992، ص. 302.

ومن الجانب الاصطلاحي يعتبر هذا المفهوم متداول في الدراسات القديمة بدليل أنه ترجمة لكلمة Le lien وهي "ذات أصل لاتيني Ligamen ومعناه الشيء الذي يبحث على الارتباط والربط"¹. ومن الناحية الشرعية فقد ورد الفعل ربط في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُعَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾²، وفي قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾³. وفي معرض تفسير ابن كثير لهذه الآيات فهي تعني الصبر⁴، مما يعني أن من شروط الربط بالآخرين الصبر حتى يستمر الرباط.

والرابط من ربط "جمع وخلق علاقة. يظهر هذا الترابط في الحالة الظاهرة أو الضمنية (...). تعمل على خلق وحدة متعلقة بالنوع الإنساني"⁵.

وللتعبير عن المفهوم الاصطلاحي للرباط الاجتماعي فإنه ذلك النوع من العلاقات التي تربط الفرد بالجماعة أو المجتمع ككل وتسمح له بالتنشئة الاجتماعية والاندماج في المجتمع، بحيث يستمد منها العناصر المكونة للهوية، فضلا على أن الروابط الاجتماعية تسمح بالحفاظ على التماسك الاجتماعي من خلال تقاسم القيم المشتركة والضبط الاجتماعي أو هو مجموع التفاعلات التي تعمل على ربط الأفراد فيما بينهم⁶.

¹ AKOUN A. - ANSART P., Dictionnaire de sociologie, Le robert, Seuil, Paris, 1999, P. 307.

² القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية 11

³ القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية 14

⁴ أنظر في تفسير الآية 11 من سورة الأنفال: الدمشقي أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن الكريم، تحقيق

سامي بن محمد السلامة، الجزء الرابع، ط 2، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1999، ص. 24.

وفي تفسير الآية 14 من سورة الكهف أنظر: نفس المصدر، الجزء الخامس، ص. 140.

⁵ BOUVIER P., Le lien social, Editions Gallimard, Paris, 2005, P. 26.

⁶ Cf. YEVES CUSST P., Le Lien Social, 1^{ère} édition, Armand Colin, Paris, 2007, PP. 5- 23.

وعليه يرتبط مفهوم الرابط الاجتماعي بمفهوم التفاعل، فكل الروابط الاجتماعية "تجذب الفرد من تفرده sa singularité"¹ تجعله يندمج داخل الجماعة ولا يبقى قامعا في حدود فرديته، وبالتالي تخلق منه فرد اجتماعيا؛ فالروابط الاجتماعية هي "تلك الأشكال من العلاقات التي تربط الفرد بالمجموعات الاجتماعية وبالمجتمع، والتي تسمح له في نفس الوقت بأن يكون اجتماعيا وأن يندمج في المجتمع"²

إنّ عبارة الرابط الاجتماعي "اليوم تستخدم لتعيين كل رغبة للعيش مع بعض، الإرادة في الربط بين الأفراد المختلفين، الطموح في التماسك العميق للمجتمع في وحدته"³، وبالتالي فهو يحمل معان عدة ومختلفة، إذ "يساهم في خلق الحماية للأفراد والإقرار الضروري لوجودهم الاجتماعي"⁴، وهذا ما ذهب إليه جان فرانسوا دورتيه في معجمه؛ حيث اعتبر عبارة الرابط الاجتماعي "عبارة سوسيولوجية عامة وغامضة، وقد تتخذ عدة معاني، وهي:⁵

- الرابط المدني، الذي يمكن تحديده بوصفه مجمل الروابط التي توحد الفرد بالحياة الجماعية، ويرجم ذلك بالمشاركة الانتخابية، والاستثمار في الحياة الاجتماعية، والانخراط في الجمعيات والنقابات والأحزاب السياسية.

- الروابط الاقتصادية التي تربط بواسطة عقد عمل بين المأجورين ومستخدميهم يستند هذا الرابط إلى المصلحة المتبادلة وإلى علاقات الثقة.

- تأمين علاقات التكافل في مجتمعاتنا بواسطة أجهزة التأمين: الضمان الاجتماعي، الخدمات الاجتماعية، التأمين الخاص، يشكل التأمين شكلا من الرابط (التكافل الاجتماعي) الذي يوحد من دون أن يكون هناك أي وجود لتواصل شخصي.

¹ Guillaume P. (Sous la direction), Les solidarités : Le lien dans tous ses états, Maison des Sciences de l'homme d'aquitaine, France, 2001, p15

² AKOUN A. - ANSART P., op. cit, P. 307

³ PAUGMAN S., Le lien social, Puf, Paris, 2008, P. 4.

⁴ Ibid, P. 63.

⁵ دورتيه جان فرانسوا، معجم العلوم الانسانية، ترجمة: جورج كتورة، ط1، كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، 2009، ص. 436.

- الرابط البين شخصي والذي أطلق عليه عالم الاجتماع والفيلسوف الألماني جورج سيمل (الاجتماعية sociabilité) يميلنا ذلك إلى العلاقات الأسرية، والجوار والصدقة وإلى العلاقات الأخرى التي تقوم على التجاور والاتصال المباشر.

وبالنسبة لهذه الدراسة نرجح المفهوم الأخير، باعتبار أن الرابط الاجتماعي يمثل تلك العلاقات الاجتماعية التي تتم وتجمع بين الأفراد عن طريق الاتصال والتلاقي.

وتبعا للمفاهيم السابقة يظهر مدى غنى مفهوم الرابط الاجتماعي وتعقد دلالاته واستعمالاته وكيف أنه يستدعي مفاهيم عديدة لتحديده، وهو يسمح بأن يكون الأفراد والجماعات وحدة اجتماعية يندمجون مع بعضهم البعض يتقاسمون نفس المعايير والقيم، فهو تنظيم وتنسيق للعلاقات الاجتماعية سواء كانت علاقات دينية أو أبوية أو علاقات سياسية، اقتصادية، ثقافية وغيرها. أو أنها ذات طابع دموي تقليدي أو حديث رسمي. على هذا الأساس طرح محمد بوخلوف ثلاث أبعاد للروابط الاجتماعية وهي:¹

- بعد طبيعي لما في البشر من طبيعة الالتحام ويعبر عنه بالروابط الدموية القائمة على النسب والعصبية.

- بعد تقليدي ثقافي مكتسب قائم على الأعراف والمثل والقيم المشتركة ويعبر عنه بالروابط التقليدية. ويضم كافة الروابط التي تنشأ من العلاقات الاجتماعية التي تفرضها الحياة الاجتماعية من جيرة وصدقة وزمالة وغيرها التي تتميز بنوع معين من الالتزام.

- بعد عصري - حديث قائم على التضامن العضوي يتمثل في الروابط الحديثة التي تتميز بالاتساع والعمومية تفرضها طبيعة الحياة العصرية المعقدة.

¹ بوخلوف محمد، "الاجتماعية ومشكلة الثقة"، من: الروابط الاجتماعية في المجتمع الجزائري، مرجع سابق، ص ص. 20-21.

وعلى محك تلك التعريفات، تعتبر الروابط الاجتماعية بالنسبة لنا مجموع الصلات التي تربط وتشد الأواصر، كما تعني مجموع الالتزامات يشعر من خلالها الأفراد بأنهم أعضاء ضمن جماعة واحدة، ينشأ من خلال التفاعل الاجتماعي وينطوي على الاتصال والتلاقي والتقابل الدائم بين الأفراد، وهو مجموعة من التفاعلات التي تعمل على ربط الأفراد فيما بينهم وربط كل فرد بجماعته.

2. التحضر والحضرية

يعد التحضر عملية اجتماعية أو عملية انتقال اجتماعي من حالة التريف إلى حالة التحضر إما التمدين أو التحديث، فهو اقتباس بعض النظم أو الأساليب أو التنظيمات الإدارية الأكثر تطوراً، ومن ثم فإن ظاهرة التحضر ظاهرة اجتماعية تتصل بالتغير الاجتماعي، أو عن طريق هجرة وانتقال أهل الريف والبادية إلى المدن، واعتبر كل من جون ريمي J. Remy و ليليان فوايي L. Voyé التحضر "عملية تحول، بحيث تلعب الصناعة والخدمات المختلفة دوراً في تحول الوسط الحضري إلى نقطة جذب اليد العاملة، الرغبة في تحسين الظروف الحياتية"¹، إلا أن مفهوم التحضر والذي يتميز أيضاً بتعقده لا يمكن أن يتحقق بمجرد إدخال الصناعات الجديدة، أو بمجرد السكن والإقامة في المدن... فالتحضر شيء أكبر من "وجوده الفيزيقي أو الإقامة الفيزيقي في المدينة، بل أنه عملية ديناميكية تتميز بمواقف واتجاهات وأفكار وقيم خاصة، بالإضافة إلى كونه عملية اجتماعية طويلة ومعقدة لا تهدف فقط إلى إلغاء وتعديل أسلوب الحياة الريفية بقدر ما تهدف إلى فرض ونشر أسلوبها الخاص في الحياة الاجتماعية، وهذه العملية المعقدة لا يمكن

¹ REMY J. - VOYE L., La ville : Vers une nouvelle définition ?, L'Harmattan, Paris, 1992, P. 59.

تحقيقها بدون تربية، والإعداد الطويل الذي يساعد الناس على فهم الحياة الحضرية والسلوك والتصرف تبعاً لذلك".¹

على هذا الأساس يعد التحضر عملية معقدة لا يعني فقط السكن في المدينة، بل اكتساب ثقافة المدينة، فهو عبارة عن عملية خاصة بسكان المدينة أو بسكان الريف الذين هاجروا إلى المدينة، الذين تتغير سلوكهم وقيمهم وحتى مظهرهم وطرق معيشتهم، لكي يتكيفوا مع الحياة فيها، فالأسرة النازحة من الريف إلى المدينة على سبيل المثال تجد نفسها في الوسط الحضري، الذي يتطلب منها التكيف بأساليب الحياة الجديدة لكي لا تبقى الوحدة المنعزلة، تصبح بذلك تتقاسم الوظائف مع مختلف المؤسسات الاجتماعية الموجودة في المدينة، وعليه تبدأ معالم التغيير تتضح من خلال تغير القيم والممارسات، فتأثر على "البناءات والعلاقات لتحل محلها بناءات وعلاقات جديدة أكثر تماشياً مع المعطيات والظروف الحضرية الجديدة"². وفق هذا التصور والدينامكية لحركة الاستقرار الحضري تعمل عملية التحضر على التأثير في التركيب الاجتماعي، الثقافي، الاقتصادي والمهني للسكان، مما يجعل الحضرية أسلوباً مميزاً للحياة.

غير أن التحضر وتضخم المراكز الحضرية في المجتمعات الفقيرة والمتخلفة، لا يسير بنفس الوتيرة ونفس النمط الذي عرفته المجتمعات الأوروبية، فقد خلقت أثار التحضر السريع مبادئ لتكوين المجال؛ فعلى سبيل المثال أحدث التحضر في الجزائر "تحولاً كبيراً على المستوى المادي وتغييراً لطبيعة النشاط المهني للأفراد"³، وتعداه ليشمل تغير في القيم

¹ عباس إبراهيم محمد، التصنيع والمدن الجديدة (دراسة أنثروبولوجية لمدينة كيما بأسوان)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2009، ص. 42.

² همراكووا حميد، التحضر وتغير الأدوار الأسرية (دراسة ميدانية بالحلي الشعبي ديار الزيتون بمدينة عزابة ولاية سكيكدة)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008، ص. ب.

³ BOUKHABZA M., Ruptures et transformations sociales en Algérie, Volume 1, OPU, Alger, 1989, P. 220

واتجاهات الأفراد، وتغير على مستوى المثل العادات وطرق التفكير. وإذا كان الاستعمار العامل المسبب لهذا التحول في الصرح الاجتماعي بتأثيره على الريف والمدينة في نفس الوقت¹؛ فإن هذا التحول مازلنا نشاهده اليوم أكثر في المراكز الحضرية، نظرا لكونها تشكل تنظيما اجتماعيا واقتصاديا مميزا. وإجمالا يعتبر التحضر عملية تعبر عن الجانب الدينامي للمجتمع الحضري.

أما الحضرية فهي أسلوب حياة يتميز به سكان المدن، أو طريقة الحياة، أو كما اعتبرها لويس ويرث L. Wirth "الحضرية كنمط معيشي"، بمعنى أن الحضرية تتميز بعدة خصائص تشكل طريقة واضحة ومميزة في الحياة، فالحضرية تعد "أنماط الحياة الاجتماعية التي ترتبط بالسكان المقيمين في المناطق الحضرية، والتي تتضمن تقسيم العمل، والتخصص الدقيق، وانتشار العلاقات الاجتماعية الرسمية والعلاقات القرابية وزيادة الروابط الطوعية والعلمانية وزيادة عملية الصراع الاجتماعي وزيادة الأهمية الاجتماعية لوسائل الاتصال"²، إضافة إلى شيوع العلاقات الثانوية وتفكك النسيج الأخلاقي والمعياري، وظهور الفردية المتنامية، والتي تفرضها الطبيعة الايكولوجية والاجتماعية والثقافية للمدينة.

وإن كانت تحمل الحضرية في طياتها الإشارة إلى انبثاقها من المدينة، إلا أنها في الواقع مجرد طريقة في السلوك فحسب، أي سلوك له طريقته الخاصة وسماته التي تميزه عن غيره وهي ليست تعبيراً مقصوداً على الحياة في المدن، فقد نجد إنساناً متحضراً وسلوكه الكلي حضري في الريف، ونجد آخر يعيش في أكثر المدن تحضراً

¹ أنظر: السويدي محمد، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري (تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 1984، ص. 80.

² الخواجة محمد ياسر، علم الاجتماع الحضري بين الرؤية النظرية والتحليل الواقعي، ط1، دار الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، طنطا، 2008، ص. 20.

وهو مع ذلك لا يزال قرويا في تفكيره وطريقة معيشته بل وفي سلوكه، فالمسألة إذن مسألة سلوك وليس مسألة مظهر.

وستعمق في هذه المفاهيم أكثر من خلال المقاربات النظرية الموالية.

II. الرابط الاجتماعي والحضرية: مقاربات نظرية

تعتبر الحياة الحضرية عموما كيان معقد ومتعدد الأبعاد، لذا اختلفت النظريات التي اهتمت بالحضرية كمجال للبحث، وقد انصب اهتمام الباحثين في علم الاجتماع والأنثروبولوجية الحضرية أكثر في البحث عن السمات والمعايير الاجتماعية التي تنظم العلاقات وتتحكم في الصلات والممارسات الاجتماعية للأعضاء المنتمين إلى هذا التجمع السكاني. ومن بين الباحثين الذين اهتموا بالحياة الحضرية ومسألة الرابط الاجتماعي نذكر: ابن خلدون، كارل ماركس، فرديناند تونيز، اميل دوركايم، تشارلز كولي، إضافة إلى نظريات كالنظرية الايكولوجية، النظرية النفسية الاجتماعية، ونظرية الثقافة الحضرية.

1. نظرية ابن خلدون

لقد شملت نظرية ابن خلدون عنصرين هامين، الأول تصوره للحضرية والثاني تعمقه في مفهوم العصبية.

1.1. ابن خلدون وتصوره للحضرية

يعتبر ابن خلدون من المفكرين المسلمين الأوائل الذين درسوا الظاهرة الحضرية؛ حيث فسر المجتمع الحضري بعدما تطرق إلى مفهوم العمران بمعناه الشامل، والذي جعله موضوعا لعلم جديد وهو "العمران البشري والاجتماع الإنساني"، عرف العمران على أنه: "التساكن والتنازل في المصر أو حلة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش (...)" ومن هذا العمران ما يكون بدويا وهو الذي يكون في الضواحي والجبال وفي

الحلل المنتجة للقفار وأطراف الرمال، ومنه ما يكون حضريا وهو الذي بالأمصار والمدن والمدن للمدر للاعتصام بها والتحصن بجدرانها"¹.

من خلال هذا التعريف يبدو جليا تقسيم ابن خلدون العمران إلى بدوي وآخر حضري، ويقول: "اعلم أنّ اختلاف الأجيال في أحوالهم إنّما هو باختلاف نحلّتهم في المعاش"²، مركزا بهذا على أنّ اختلاف البدو عن الحضرة أساسه اختلافهم في طرائق الحياة والكسب أو النمط المعاش كما يسميه، بمعنى أنّ المجتمع البدوي قائم على ضروريات الحياة، نشاطات السكان بهذا المجتمع تقتصر على الفلاحة تربية المواشي، عكس المجتمع الحضري الذي يمارس فيه الصناعة والتجارة، بمعنى نشاطات تتجاوز الضروريات إلى الكماليات.

كما أرجع هذا المفكر الفروق بين البدو والحضر إلى "الاختلاف في مصادر المهنة والإنتاج أساسا، كما اتخذ من بنود المهنة أساسا وحيدا للتمييز بين الريف والحضر"³، معتبرا المدينة كبنية اجتماعية هي في تطور دائم، فهو يرى أن الإنسان حضري بطبعه، وأن المدينة أو العمران الحضري كما يسميها هي في الواقع أعلى درجات التحضر التي يمكن لشعب ما بلوغها، بمعنى أنه كلما كبر حجم السكان كلما ازدادت رفاهية الأفراد وتجاوز مستواهم المعيشي ورخائهم، وتحولت حاجاتهم من الضروريات إلى الكماليات، تم تحول المجتمع من البداوة إلى الحضارة. والسياق نفسه يركز على الحجم والقوة في إنتاج مدينة، كما يربط المدينة ونشأتها بالريف عبر أبعاد تاريخية واجتماعية واقتصادية، جديرة بالاهتمام والدراسة.

وتوسع ابن خلدون في تأصيل مفاهيم نشأة المدن والشروط الموضوعية لتخطيطها، وبحث في الظواهر الحضرية بدأ بالمعاش إلى الصنائع، فقد ركز في الفصل الرابع على لغة أهل المدن التي تتغير بتغير البيئات والظروف. وتحدد الصورة النسبية لظاهرة الحضرية المبنية على

¹ ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص. 74.

² نفس المصدر، ص. 165.

³ LEDRUT. R., sociologie urbaine, Puf, Paris, 1968, P. 7.

الرؤية الخلدونية عندما يؤكد أن المدينة ضرورة حتمية ناتجة عن الانتقال التدريجي والدائم للبادية، فيقول "ولهذا نجد أن التمدن غاية للبدوي يجري إليها، وينتهي بسعيه إلى مقترحه منها، ومتى حصل على الرياش الذي تحصل له به أحوال الترف وعوائده عاج إلى الدعة وأمكن نفسه قياد المدينة، وهكذا شأن القبائل المتبدية كلهم. والحضري لا يتشوق إلى أحوال البادية إلا لضرورة تدعوه إليها أو لتقصير عن أحوال أهل مدينته"¹. ويؤكد ابن خلدون من جهة أخرى على عودة المجتمع وانتقاله من الحضارة إلى مرحلته الأولى المتمثلة في البداوة، والشكل رقم (01) يشرح تطور العمران عند ابن خلدون.

الشكل رقم 1: تطور العمران عند ابن خلدون



وقد لخص الباحث محمد حمداوي دراسة ابن خلدون واعتبرها "دراسة تاريخية واجتماعية مبتكرة، تبحث في الأسباب والعلل التي جعلت الدولة الاسلامية تتعاقب بصورة دورية من النشأة إلى الازدهار إلى السقوط (...). وأن الدولة موضوع دراسة ابن خلدون، مؤسسة تنشأ من مجتمع قبلي تشكل لحمته الأسر الممتدة والقرايات الدموية"². وهنا تلعب العصبية دورا كبيرا في هذا التطور، إذ أنها تعد أقوى في مجتمع البداوة، وكلما بدأت تضعف يتجه المجتمع إلى حالة الحضارة ثم الفناء، عندما تتلاشى كل قيم التضامن والتعاون وتلاشي الفساد والترف والبذخ.

¹ ابن خلدون عبد الرحمان، مصدر سابق، ص. 167.

² حمداوي محمد، البنيات الأسرية ومتطلبات الوظيفية في منطقة بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرين (قرى العزايل نموذجاً)، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2005، ص. 67.

2.1. ابن خلدون ومفهوم العصبية

يعبر ابن خلدون عن وحدة الجماعة بمفهوم العصبية، والتي ذكرها "أكثر من خمسمائة (500) مرة في مقدمته الشهيرة"¹، وهي تعتبر المحرك الأساسي للروابط الاجتماعية وللديناميكية السوسولوجية بشكل عام، وقد ترجمت العصبية من طرف علماء الاجتماع ب"التضامن الاجتماعي" و"الالتحام القبلي" و"الروح العمومية" و"الذهنية العشائرية" و"القربة بالعصب" والتضامن بالعصب" و"الالتحام الاجتماعي بالعصب"².

وتعني العصبية "رابطة اجتماعية سيكولوجية، شعورية ولا شعورية معا، تربط أفراد جماعة ما قائمة على القربة ربطا مستمرا يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد أو كجماعة"³، وهي "شعور داخلي الذي يشد أفراد القبيلة إلى بعضهم، في حالات المواجهة فتتقارب العواطف، ويتعاون الأفراد لمواجهة الأخطار التي تهددهم، فيتحركون تلقائيا بمشاعر مشتركة، ويستجيبون لدعوة أحدهم في حالة الاعتداء عليه، ويعتبرون ذلك اعتداء على القبيلة كلها، ولهذا تتحرك القبيلة تحت ضغط 'العصبية القبيلة' أو 'العصبية العشائرية' مستجيبة لكل دعوة إلى الدفاع عن ذاتها"⁴

إذن العصبية عند ابن خلدون أن يتحول الأنا إلى نحن ونحن إلى أنا، بمعنى ذوبان ذوات الأفراد في المجتمع ككل. وتعبّر عن التماسك الاجتماعي وروح التضامن؛ فهي حالة ذهنية عاطفية تظهر في العلاقات والسلوكيات التي تتسم بها مجموعة من البشر في حالة البداوة، أي أن العصبية ارتبطت بمجتمع البداوة، وتتولد من القربة وتستند إلى وحدة النسب بالدرجة الأولى، فيقول ابن خلدون: "ولا يصدق دفاعهم وذيادهم، إلا إذا كانوا عصبيين وأهل نسب

¹ MEGHERBI A., *La pensée sociologique d'Ibn Khaldoun*, Ed. ENAL, Alger, 1983, P. 157.

² مغربي عبد الغني، *الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون*، ترجمة: محمد الشري بن دالي حسين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص. 145.

³ الجابري محمد عابد، *فكر ابن خلدون العصبية والدولة (معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي)*، ط6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص. 168.

⁴ التّبهان محمد فاروق، *الفكر الخلدوني من خلال المقدمة*، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان، 1998، ص. 156.

واحد لأنهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم، إذ نعمة كل واحد على نسبه وعصبيته أهم، وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة على ذوي أرحامهم، وأقربائهم موجودة في الطبائع البشرية¹، وهو بذلك يركز على القرابة وصلة الرحم التي يعتبرها روابط طبيعية تهدف إلى إنشاء المحبة مع ذوي القربى وأهل الرحم، فيقول ابن خلدون: "وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل. ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة. فإن القريب يجد في نفسه غضاضة في ظلم قريبه أو العداء عليه، ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك؛ نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا"²، فالعصبية أساسها "القرابة الدموية، المضمونة بأفراد الأسرة الذين يعتصمون بعضهم للبعض الآخر كلما ادعت الحاجة إلى ذلك"³.

ولا يتوقف مفهوم النسب عند ابن خلدون في مفهومه الضيق، بل يشمل الحلف أو الولاء؛ إذ يقول: "من البين أن بعضا من أهل الأنساب يسقط إلى نسب آخر بقرابة إليهم، أو حلف أو ولاء، أو لفرار من قومه بجنابة أصابها، فيدعى بنسب هؤلاء، ويعد منهم في ثمراته من النعرة والقود، وحمل الديات وسائر الأحوال؛ وإذا وجدت ثمرات النسب فكأنه وجد لأنه لا معنى لكونه من هؤلاء أو من هؤلاء إلا جريان أحكامهم وأحوالهم عليه وكأنه التحم بهم. ثم أنه قد يتناسى النسب الأول بطول الزمان، ويذهب أهل العلم به، فيخفى على الأكثر. وما زالت الأنساب تسقط من شعب إلى شعب، ويلتحم قوم بآخرين في الجاهلية والإسلام والعرب والعجم"⁴.

ويضيف في موضع آخر - وجود العصبية في الأمصار وتغلب بعضهم على بعض - : "من البين أن الالتحام والاتصال موجود في طبائع البشر، وإن لم يكونوا

¹ ابن خلدون عبد الرحمان، مصدر سابق، ص. 173.

² نفس المصدر، ص. 174.

³ حمداوي محمد، مرجع سابق، ص. 446.

⁴ ابن خلدون عبد الرحمان، مصدر سابق، ص. 176.

أهل نسب واحد، إلا أنه كما قدمناه أضعف مما يكون بالنسب، وأنه تحصل به العصبية بعضا مما تحصل بالنسب"¹

إذا كانت العصبية بمعناها التقليدي يعني أن يدعو الرجل إلى نصره عصبية، وأقاربه والتحالف معهم على من يعاديهم ظالمين أو مظلومين، وهي وسيلة من وسائل الرجل البدوي للتكيف مع البيئة لحماية كيانه القبلي، وتتميز على أنها موحدة شاملة ذات قوة قهرية تمارس قدرا كبيرا من السيطرة على أفراد القبيلة الواحدة، فهي أيضا لا تشمل أبناء القبيلة الواحدة الذين تربطهم ببعض البعض صلة الرحم والقربانة فحسب بل تعدى مفهومها ذلك واتسع أكثر ليشمل أهل الولاء والنسب.

فالغيرة والولاء للعصبية والنسب والأقربان أساس الروابط الاجتماعية، ومقياس للتضامن والتماسك الاجتماعيين، والفرد بذلك جزء لا يتجزأ من العصبية التي ينتمي إليها، وهو على استعداد دائم يدفعه إلى تجسيد هذا الانتماء عن طريق أفعال وممارسة، وهو بالتالي يفقد شخصيته ويتقمص شخصية جماعته لكن هذا الشعور لا يبدو واضحا ولا يصبح شعورا واعيا أو فاعلا، إلا إذا كان هناك خطر خارجي يتهدد هذه الجماعة.

ومن جهة أخرى يقر ابن خلدون بأن القبيلة المختلفة العصائب أضعف من القبيلة ذات العصبية الواحدة ويؤكد في ذات الوقت على دور الأرض، التي تشكل أساس التضامن الجماعة، تحفظ من خلالها على كيانه واستمرار وجودها.

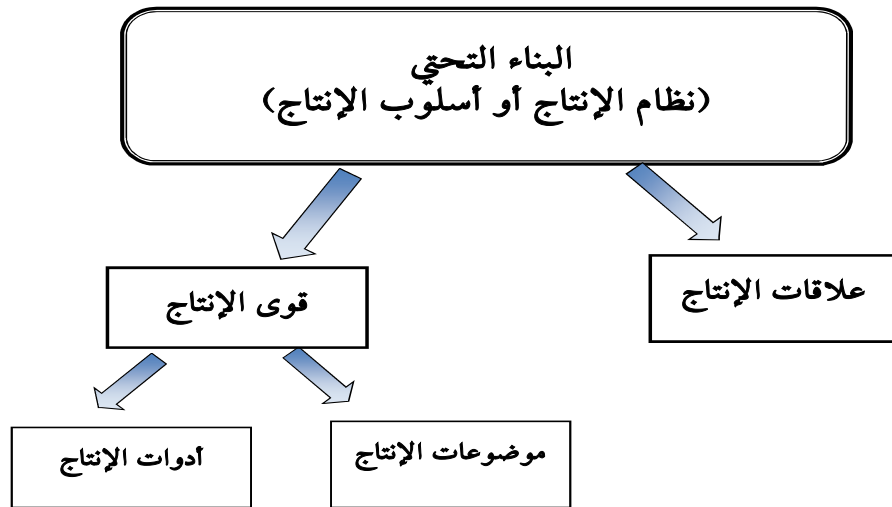
¹ نفس المصدر، ص. 455

2. كارل ماركس والتحليل المادي

يؤكد كارل ماركس K. Marx على أن الحياة الاجتماعية ما هي إلا انعكاس للواقع المادي الموجود، فالأفراد يقيمون علاقات محدودة ومستقلة عن إرادتهم الفردية خلال الإنتاج الاجتماعي الذي يمارسونه، ويشكل مجموع هذه العلاقات الإنتاجية البناء الاقتصادي في المجتمع كأساس حقيقي يقوم عليه بناء فوقى، الذي يتألف من النظم القانونية والسياسية، وأشكال محددة من الوعي الاجتماعي، وهكذا يميز ماركس بين البناء التحتي كنظام للإنتاج يشتمل على تفاعل بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج-تتضمن قوى الإنتاج وسائل الإنتاج (كالأدوات والمباني والآلات)- وموضوعات الإنتاج؛ ويقصد بعلاقات الإنتاج العلاقات التي تنشأ بين المشتغلين بمختلف فروع الإنتاج والعلاقة الخاصة بملكية الأموال ووسائل الإنتاج (أنظر الشكل رقم 02)، وبين البناء الفوقي الذي تشكله المعايير والقيم الثقافية والسياسية وكافة الأفكار والنظريات السائدة فى المجتمع.

وإذا كان أسلوب الإنتاج هو الذي يحدد الطابع العام للعمليات الاجتماعية والسياسية والروحية فى الحياة، فإن وعي الناس ليس هو الذي يحدد وجودهم، بل إن الوجود الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم.

الشكل رقم (02): البناء التحتي للمجتمع حسب تصور كارل ماركس



وعن عملية الإنتاج تلك يقول ماركس: "الأفراد لا ينتجون على الطبيعة فقط، بل أيضا من خلال علاقاتهم ببعضهم (...). من أجل الإنتاج يدخلون الأفراد في علاقات وصلات اجتماعية محددة مع بعضهم البعض، وأنه في تحديد هذه العلاقات والصلات الاجتماعية يتحدد نشاطهم في الطبيعة، الإنتاج"¹ ففي تحليل ماركس للرابط الاجتماعي يستعمل مفهوم علاقات الإنتاج، فكما أشار بوفيه P. Bouvier "العلاقات الاجتماعية تابعة بالضرورة لعلاقات الإنتاج"²، وقد اعتبر ماركس "الإنسان في جوهره كائنا اجتماعيا، وكتب أن المجتمع لا يتكون من أفراد، ولكنه يعبر عن مجموع العلاقات المتداخلة التي يتوقف عليها هؤلاء الأفراد. ولفهم التاريخ البشري يقتضي تحليل هذه العلاقات"³ علاقات بين الطبقات، والتي تتسم بالصراع.

وبذلك رصد لنا خمس مراحل للتاريخ البشري، تتميز كل مرحلة بصراع بين طبقتين أساسيتين، واحدة مالكة لوسائل الإنتاج والثانية غير مالكة لوسائل الإنتاج. يبدأ التاريخ البشري بمرحلة الإنتاج البدائي، ثم تأتي مرحلة العبودية أو الرق، ثم الإقطاع، وبعدها الرأسمالية التي تتكون من البرجوازية والبروليتارية (العمالية)، وباشتعال الصراع وانفجار الثورة تنهزم البرجوازية ويسيطر العمال لتظهر المرحلة الخامسة والأخيرة وهي المرحلة الاشتراكية التي يصبح فيها المجتمع مالكا لوسائل الإنتاج، خاليا من الطبقات المتصارعة، وبحلول هذه المرحلة يفترض ماركس أن الصراع الاجتماعي سوف ينتهي وتنمو وسائل الإنتاج نموا حرا. إذن هذا التاريخ البشري من وجهة نظر هذا المفكر سلسلة من الصراع بين طبقة مالكة لوسائل الإنتاج وأخرى غير مالكة لوسائل الإنتاج.

وفي تناوله للمراحل الخمس التي مرت بها المجتمعات البشرية في تطورها التاريخي، حاول كل من كارل ماركس K. Marx وفريدريك أنجلز F. Engels، من خلال تحليلهما

¹ MARX K., Travail salarié et capital. Ed. Sociales. Paris, 1975, P. 35.

² BOUVIER P., op. cit, P. P. 84 - 85

³ كعباش رايح، الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع، خبر علم الاجتماع الاتصال. جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2007، ص. 153.

المادي التاريخي والمادي الجدلي لتطور أنماط الإنتاج التطرق إلى مسألة العلاقة بين المدينة والبادية، مركزين على مسألة تقسيم العمل كأساس للفصل بينهما¹، فالفوارق بين هذين النمطين من العيش بين البادية والمدينة "أخذ يلوح في سماء الحضارة الإنسانية، مع الانتقال من التوحش إلى الحضارة، ومن التنظيم القبلي إلى الدولة، ومن الجهوية إلى الأمة؛ فوجود الدولة، رهين بوجود الإدارة والشرطة، والضرائب"²

وتتسم العلاقات بين كل من المدينة والبادية بالتصادم والصراع لكون المدينة مكان تركز السكان وإنتاج رأس المال ووسائل الإنتاج، بينما يساعد الريف على التفرقة والعزلة، كما أن الأساس المادي للمدينة يبنى على العمل والتبادل، أما في البادية (الريف) فهو يعتمد على الأرض. ولحل هذا الصراع دعا ماركس بضرورة المحو التدريجي للفوارق، و"القضاء على التعارض القائم بين البادية والمدينة"³، ونادى بضرورة التحضر التام للمجتمع.

3. تونيز، دوركايم وكولي: الثنائيات المتضادة للروابط الاجتماعية

طرح كل من فرديناند تونيز F. Tonnies، واميل دوركايم I. Durkheim وتشارلز كولي C. Cooley نموذجين من الروابط الاجتماعية، تقف كل منها على نقيض للأخرى، وتختلف خصائصها تبعاً للنموذج الاجتماعي الموجودة فيه. وعليه سنحاول في هذا المقام التطرق إلى كل منهم على حدى لفهم تصوراتهم ونظرياتهم الاجتماعية.

1.3. فرديناند تونيز بين الجماعية والمجتمعية

تعتبر أفكار تونيز F. Tonnies تصور لبدايات الأولى لإنشاء علم الاجتماع الحضري بما قدمه فيه من إطار نظري في علم الاجتماع، وكذلك المناقشات التي دارت حول الثنائية الريفية أو الحضرية سواء على مستوى المناطق وعلى مستوى

¹ أنظر الفصل الثاني للرسالة في مفهوم المدينة.

² MARX K. – ENGELS F., L'idiologie allemande, Ed. Sociales, Paris, 1972, Pp. 94- 95.

³ Ibid, P. 95.

العمليات. وترتكز نظريته حول الرابط الاجتماعي على فكرة أساسية مفادها أن العلاقات الاجتماعية مرتبطة بالإرادة الإنسانية، هذه الأخيرة اعتبرها المنبع والركيزة الأساسية لكل العلاقات الاجتماعية، التي تتواجد بفضل إرادة الأفراد، وعلى هذا الأساس تختلف دوافع أو أسباب الارتباط بالآخرين من فرد لفرد، ومن موقف لآخر، فقد يرتبط الأفراد على أساس إرادة طبيعية، وتعد العلاقات القائمة بينهم غاية أو هدفا في ذاتها، أو قد يرتبطون مع بعضهم البعض لتحقيق هدف أو مجموعة من الأهداف، وهنا تكونت العلاقة على أساس إرادة عقلانية رشيدة.

ومن هذا المنطلق ميز في كتابه "الجماعة والمجتمع"¹ بين نمطين من الجماعات، تقوم كل منهما على أساس مختلف من الإرادة لتكوين العلاقات الاجتماعية، ويختص كل منهما بعدد من الخصائص والسمات التي تقف على طرفي نقيض من بعضهما. هذين النمطين هما:

- الجماعة أو الجماعية – Communautaire – (Gemeinschaft)

تقوم هذه الجماعة على الإرادة الطبيعية، تنتج العلاقات فيها من "العاطفة والعادات والمعتقدات العامة والثقافة المشتركة وتتميز بالألفة والثبات ووضوح الأدوار وعدم تصارعها إلى جانب سيطرة الشعور بالجماعية، ويرتبط هذا الشكل بالمجتمعات القرابية ومجتمعات الجوار والقرى والتنظيمات الدينية"²، وفي هذا النوع يعتبر الأفراد أنفسهم أعضاء في نفس الجماعة معتمدين على ما يتشابه بينهم ويشتركون فيه كالعيش في نفس المكان وروابط الدم.... أين يتقسمون نفس الأفكار ويعيشون داخل الجماعة ذاتها، ويسودها الاعتماد والعون والدعم المتبادل إلى جانب الارتباط العاطفي الوثيق، وتسيّره سلطة الدين والعادات والأعراف

¹ Cf. TONNIES F., *Communauté et société*, Puf, Paris, 2010.

² السيد عبد العاطي السيد، *علم الاجتماع الحضري (مدخل نظري)*، در المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984، ص. 31.

والتقاليد، التي تجعل الأفراد يمثلون لها، فالأخلاق والاتفاق، من مميزات الجماعة المحلية.

- المجتمع أو المجتمعية - Sociétaire - (Gesellschaft)

يقوم المجتمع على الإرادة العقلانية، ما تجعل العلاقات الاجتماعية فيها تتميز "بالصفة التعاقدية والروابط غير الشخصية والنفعية بين الأفراد والعقلانية وسيطرة الفردية والمصلحة الخاصة"¹، وهنا تظهر ضرورة تنظيم التكامل بين مصالح أفراد الجماعة يدفعهم لإقامة علاقات من خلال تأسيس عقد يسمح لهم بالتعاون رغم اختلافهم، يخضعون لسيطرة القانون.

وقد لخص مهدي العربي في أطروحته ذلك الاختلاف القائم بين النمطين، ويستشهد بقول تونيز: "المجتمع الذي قام على الإرادة الطبيعية هو مجتمع عضوي ونقيض للمجتمع القائم على الإرادة المفكر فيها. إن المجتمعات العضوية قائمة على الروابط الاجتماعية الحقيقية المتمثلة في روابط العائلة والقرابة. أما المجتمع الجديد المعبر على الإرادة المفكر فيها والعقلانية هو مجتمع آلي تسوده الفردانية والعلاقات الباردة انه متميز بروابط جافة لأنها قائمة على المصلحة المادية والفردية"². فالمجتمعية (Sociétaire) تنشأ عندما ينفصل الأشخاص وتحرر الخدمات في إطار الجماعات المحلية. والجدول الموالي يطرح نقاط الاختلاف بين الروابط "الجماعية" و"المجتمعية".

¹ نفس المرجع، ص. 31.

² مهدي العربي، مرجع سابق، ص. 49-50.

الجدول رقم (01): اختلاف الروابط الاجتماعية من منظور تونيز¹

نقاط الاختلاف	الجماعة Communauté	المجتمع Société
علاقة الفرد بالجماعة	ارتباط، تبعية وخضوع	عدم ارتباط، استقلالية وحرية
ما يجمع ويربط بين الأفراد	العاطفة	المصلحة
ما يوجه حياة الفرد	الدين، القيم الجماعية	العلم والعقلانية
قوة الرابط بين الأفراد	متراپطين بالرغم من الاختلاف	منفصلين بالرغم من كل ارتباط
القيم المهيمنة	روحانية وجدانية	المادية
توجيه العدوان	خارج الجماعة	الكل ضد الكل (داخل المجتمع)
تحديد الرابط	وحدة إقليمية	بدون تحديد كونية
العلاقة في الأمور المادية	تقاسم، تشارك	تبادل حسب معايير متقاربة

والملاحظة الجديرة بالذكر، أن الرؤية التي طرحها تونيز F. Tonnies في الجدول تطرح لنا الثنائية المتضادة للروابط الاجتماعية، والتي تشتمل كل من (عاطفة وعقل) (وجدان مصلحة)... الانتقال والمرور من المجموعة المحلية (الجماعة) إلى المجتمع التعاقدية (المجتمع)، ففي المجموعة الأولى تكون العلاقات والروابط بين الأفراد قوية، تستند على الدين، الأعراف والعادات؛ أما المجتمع التعاقدية فيعمل على إدخال الأفراد في إطار العلاقات والروابط اللاشخصية، ويعتمد على القانون ذا الطابع العلمي العقلاني. وهي بطبيعة الحال تشكل الأساس المعتمد عليه في تحليل هذه الدراسة.

2.3. اميل دوركايم: التضامن الآلي والتضامن العضوي

استخدم اميل دوركايم E. Durkheim مفهوم التضامن الاجتماعي بدلا من مفهوم الرابط الاجتماعي، ففي دراسته حول تقسيم العمل الاجتماعي² وتحليله لمفهوم التضامن

¹ RIGAUX N., Introduction à la sociologie par sept grands auteurs, 2^{ème} éditions revue et augmentée, De Boeck, Bruxelles, 2012, P. 133.

² Cf. DURKHEIM E., De la division du travail social, Puf, Paris, 1978.

الاجتماعي اعتمد على المؤشر المادي والأساسي المتمثل في القانون الذي كان يضبط وينظم الروابط والعلاقات الاجتماعية في المجتمعات؛ حيث يعتبر التضامن "ظاهرة اجتماعية خارجة عن وعي الأفراد"¹

إن تحليل دوركايم للتضامن الاجتماعي هو في الحقيقة التحليل السوسيولوجي للكيفية والطريقة التي ينتقل منها المجتمع البدائي البسيط في عملية التنظيم الاجتماعي، والاقتصادي والسياسي إلى مرحلة جديدة تعرف بالمجتمعات المعقدة، وفي هذا الصدد أشار إلى أن الفرد تحول من اندماجه داخل الجماعة القديمة الخاضعة "للتضامن الآلي إلى فرد ينتمي إلى جماعات عقلانية"² تسود المجتمعات الحضرية الصناعية المتباينة، مبرهنا على أن زيادة درجة التقسيم في العمل وظهور التخصصات المهنية تفرز بالضرورة نوعا جديدا من الروابط الاجتماعية، وبذلك لا يترتب على هذه الزيادة تحللا اجتماعيا أو ضعفا لهذه الروابط، بل إنتاج نموذج جديد سماه التضامن العضوي، وبالتالي الروابط العضوية.

وعلى ضوء ذلك أوجد نوعين من أشكال التضامن ميزا الحياة الاجتماعية، إذ أن الرابط الاجتماعي في نظر دوركايم يصدر من طبيعتين مختلفتين، الأولى يحركها التضامن الآلي والثانية يفرزها التضامن العضوي. ويوضح ذلك بقوله: "في التضامن الآلي نجد مجتمعا يستند إلى وحدة هي بمثابة كل أخلاقي، أما في التضامن العضوي فيضعف هذا الكل الخلقي، ليظهر الكل العضوي المتماسك الأجزاء"³. وفيما يلي تفصيل للنموذجين:

- التضامن الآلي (Solidarité mécanique)

يختص بالمجتمعات المنعزلة والصغيرة التي لا يمارس فيها إلا قدرا ضئيلا من الضبط والسيطرة على البيئة المحلية، وتقوم على التجانس والتشابه والمماثلة في المعتقدات والعادات والطقوس والرموز وغيرها، هذا التضامن هو آليا لأن "المشاركين فيه متطابقين في وجوه

¹ BOUVIER P., op. cit, P. 170

² DURKHEIM E., op. cit, P. 268

³ Ibid, P. 85

عديدة"¹؛ فالوحدة التي يشكلها هذا التضامن عبارة عن تماسك آلي ميكانيكي يستند إلى التجانس والتشابه بين أفرادها.

ويسود هذا النوع من التضامن المجتمعات البسيطة، صغيرة الحجم، قليلة السكان، قائمة على التشابه والتجانس، تتسم بعلاقات اجتماعية قوية و متماسكة كما هو الحال في الجماعات القرابية أو الدينية.

ولقد اعتبر دوركايم آلية التضامن في المجتمعات البسيطة على أنها حركة آلية لا إرادية، تشبه تماما حركة الإنسان البدائي داخل عشيرته من خلال تصرفاته وسلوكه مع أعضاء قبيلته، فالضمير الفردي يستند لما يقره الضمير الجمعي من قواعد منظمة للسلوك الثابت في المجتمع، ولهذا السبب نجد أن الفرد يسلك سلوكا آليا.

بالإضافة إلى ذلك يتميز التضامن الآلي بتفوق الجماعة على الفرد، لأنه المسؤول الوحيد والرئيسي على تقسيم المكانات الاجتماعية والمسؤوليات المتكونة على أساس القيم والمعايير القائمة عليها. فالفرد في هذه المجتمعات لا يستطيع الخروج على ما تعارف عليه قومه من قيم، كما أنه يراعي في سلوكه المحيط بالدرجة الأولى مما يؤدي إلى توطيد العلاقات ضمنه.

- التضامن العضوي (Solidarité organique)

يتميز التضامن العضوي بدرجة عالية من التعقيد والتمايز، وعلى "اختلافات فردية بين الناس نتجت عن تقسيم العمل بينهم"²، فالتخصص وتقسيم العمل هو السمة الأساسية للمجتمع، ونتيجة لذلك تبطل الانقسامية في المجتمعات والفئات الاجتماعية التي سادت النموذج الآلي، كما تقل درجة العزلة والانفصال بين الوحدات.

¹ السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري (الجزء الثاني)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2000، ص. 38.

² نفس المرجع، ص. 38.

وعليه يظهر التضامن العضوي من خلال اعتماد الفرد على الآخرين، ونجده منتشرًا في المجتمعات الحديثة ومعقدة التركيب؛ فالتباين في الواجبات والمسؤوليات مسألة ضرورية لتحقيق التكامل الوظيفي كما يؤكد دوركايم، فكلما ازداد تماسك الأفراد ازدادت حاجات اعتمادهم على بعضهم البعض، الأمر الذي ينجم عنه بالضرورة نوع من التكامل الاجتماعي الذي يتيح للفرد حرية في التعبير والمشاركة، فيصبح أكثر قدرة ومبادرة ويمارس إمكانياته ويحقق ذاتيته ويعبر عن فرديته ويحتاج إلى جهود الآخرين حوله. وعلى سبيل المثال يقوم كل فرد في الحي بواجباته لتقوية التضامن الجوارحي، وبهذا فإن تقسيم العمل في أي وحدة اجتماعية يشمل تنظيمًا اجتماعيًا واقتصاديًا. أما وسائل الضبط في هذا النوع من المجتمعات تتحدد بالشرائع والقوانين، ويكون بذلك المجتمع العضوي مجتمعًا تعاقديًا عقلائيًا وبعيدًا عن العاطفة والانفعال، وتسوده العلاقات الاجتماعية الرسمية وتضمحل فيه الروح الجماعية والعشائرية كما هو الحال في المدينة.

وفي سياق طرح دوركايم، يمكن القول بأن التضامن الآلي بين الأفراد يتضمن تجانس في العادات والمعتقدات، وهذا يتصف بما أسماه بالضمير الجمعي، في حين يتضمن التضامن العضوي مجتمعًا معقد التركيب فيه أدوار مختصة، وثقافات فرعية، تسمح بالتباين والتعددية، وتظهر فيه الفردية، ويتحول الضمير الجمعي إلى ضمير فردي.

وعموماً تعد دراسة دوركايم لصورتَي التضامن وتأثيراتهما على الحياة الاجتماعية، من أهم الأسس التي يعتمد عليها في دراسته والتي من خلالها يبرز أهمية المدينة لشرح انتقال المجتمع من نمط إلى نمط آخر، ومن مجتمع التضامن الآلي إلى مجتمع التضامن العضوي، أي ظهور وتقدم الحضارة.

3.3. تشارلز كولي: الروابط الأولية والروابط الثانوية

طرح شارلز كولي C. Cooley تصنيفه للروابط الاجتماعية انطلاقاً من تصنيفه للجماعات الاجتماعية، والتي يقسمها إلى نوعين: جماعات أولية وأخرى ثانوية¹، وذلك انطلاقاً من نوع الروابط والعلاقات والاتصال والتفاعل بين أفراد الجماعة. وفي هذا الإطار سيتم التعرض إلى مفهومه للجماعتين كالتالي:

- الجماعة الأولية

يسود الجماعة الأولية علاقات الوجه للوجه، فهي "علاقات مباشرة تتمثل في الاتصال المباشر بين عدد محدود من الأفراد"²، هؤلاء الأفراد يكونوا سريعاً يتأثر بضغطها واحتياجاتها، فهي بهذا عامل أساسي وذا فعالية في الضبط الاجتماعي.

وتقوم الجماعة الأولية على أساس الدم والأخوة والصدقة والمعرفة الشخصية، وأفرادها يتشابهون في خصائص وسمات ديمغرافية، وخلفية اجتماعية وثقافية، فضلاً عن الوضع الاقتصادي، ويكون الارتباط يومي بينهم، الذي يعتمد على التعاطف الودي وعمق العلاقة، يسودها التعاون والتضامن، وتذوب شخصية الفرد ضمن هذه الجماعة بحيث يحدث اندماج كلي بين الأعضاء، ويجد الفرد نفسه جزءاً لا يتجزأ من الجماعة، ما يؤدي إلى عمق التماسك الاجتماعي لهذا كان الارتباط أو التماسك الآلي هو سمتها، و"يصل التضامن بين أعضائها إلى حد التفاني"³.

تعتبر هذه الجماعة أولية لأنها ضرورية وحيوية في تكوين الطبيعة الاجتماعية للفرد، وهي "ليست مستقلة استقلالاً كاملاً عن المجتمع الكبير، بل هي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً به وتعد

¹ أنظر: رشوان حسين عبد الحميد، المجتمع: دراسة في علم الاجتماع، ط4، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2005، ص. 99.

² نفس المرجع، ص. 99.

³ الفوال صلاح، علم الاجتماع: المفهوم والموضوع والمنهج، دار الفكر العربي، 1982، ص. 85.

انعكاسا لروحه"¹. فهي تتميز بوجود العلاقات المباشرة بين الأفراد، وهو الأمر الذي يجعلها أكثر حميمية، تكون طويلة البقاء، وخير من يمثل هذه الجماعات العائلة وجماعة الجيرة والمجتمع المحلي.

وعلى هذا الأساس تعتبر العلاقات الأولية العلاقات التي تتسم بروح الجماعة وشدة التماسك بين أعضائها، وهي ظاهرة تفرزها خاصة الحياة الريفية بينما الحياة الحضرية فهي تفرز غالباً نوعاً آخر من العلاقات المسماة بالثانوية.

- الجماعة الثانوية

توجد الجماعة الثانوية عادة في المجتمع الشاسع في مساحته والمعقد في ثقافته، والذي يحوي عدداً كبيراً جداً من السكان، ويتميز بالحراك الجغرافي والمهني لأفراده، مما يجعل التأثير وجهاً لوجه الذي هو موجود في الجماعة السابقة-الجماعة الأولية- يكاد يكون مستحيلاً "فتحل العلاقات غير الشخصية محل العلاقات الشخصية، وتتسم العلاقات بالسطحية والنفعية والجزئية"²، ومع ذلك تتميز بالرسمية والتعاقدية، و"تختفي صور المشاركة الوجدانية بينهم"³. وتكون هذه العلاقات موجهة أساساً لتحقيق هدف ما أو أغراض معينة، يحكمها القانون الوضعي.

ولقد برزت هذه الجماعة الثانوية بصورة واضحة في أغلب المنظمات والنقابات والأحزاب السياسية، والرابطات التجارية وغيرها، وتوجد هذه الجماعة على وجه العموم من أجل تحقيق هدف نوعي ومحدود، كما يمكنها إتاحة الفرص للأفراد لتنمية خبراتهم الاجتماعية والثقافية.

¹ رشوان حسين عبد الحميد، مرجع سابق، ص. 100.

² نفس المرجع، ص. 100.

³ الفوال صلاح، مرجع سابق، ص. 85.

وفي الواقع تتميز العلاقات الثانوية بالعرضية، غير وثيقة الصلة بين أعضائها مؤقتة لا تستمر طويلا بالمقارنة مع العلاقات الأولية وهذا راجع إلى تعقد الحياة في المجتمع الحضري الذي يضم أعدادا هائلة من السكان تسودها هيئات وتنظيمات رسمية.

4. النظريات الحضرية

نلخصها في ثلاث نظريات هامة، وهي النظرية الايكولوجية، والنظرية النفسية الاجتماعية، ونظرية الثقافة الحضرية.

1.4. النظرية الايكولوجية

تسمى النظرية الايكولوجية أو الايكولوجية الحضرية، ويقصد بكلمة الايكولوجية "العلم الذي يدرس الأفراد الذين يعيشون في بيئة واحدة والوقوف على مبلغ نشاطهم وتفاعلهم مع عناصر البيئة"¹

تعرف هذه النظرية أيضا بمدرسة شيكاغو، والتي يعرفها آلان كولان A. Coulon بذكر مميزاتها فيقول: "إن سوسولوجية مدرسة شيكاغو تتميز قبل كل شيء بالبحث الامبريقي... فقبل ظهور وسيادة هذه الأعمال الامبريقية كانت الأبحاث السوسولوجية موجهة صوب التحقيقات الاجتماعية والتي اتصفت بالأخلاقية فكانت أكثر قربا للتحقيقات الصحفية أكثر منها للبحث العلمي (...). مدرسة شيكاغو أيضا تميزت على أنها سوسولوجية حضرية أنجزت الكثير من الدراسات حول المشاكل التي تعاني منها مدينة شيكاغو (...). ومن بين الإسهامات الكبرى لهذه المدرسة تطوير مناهج البحث الكيفية كالعمل مباشرة في الميدان واستعمال الوثائق الشخصية واستغلال مصادر وثائقية مختلفة..."²

ومما لاشك فيه، فقد أحدثت مدرسة شيكاغو تطورا ملحوظا في الدراسات الحضرية كونها اعتمدت على الدراسات الميدانية الحقلية، وإدراج مقاربتها الكيفية النوعية لدراسة الظواهر

¹ الخواجة محمد ياسر، مرجع سابق، ص. 42.

² COULON A., op. cit, P. P. 3-4.

الحضرية. كما أن رواد مدرسة شيكاغو "لم يحددوا مفهوم الرابط الاجتماعي في مؤسسات أو ضمن نسق اجتماعي (...). ولكن يتحدد بكيفية أكثر فعلية من خلال القيم التفاعلية والنمط الثقافي"¹.

تعتمد هذه النظرية في تفسير المدينة والحياة الحضرية على المفاهيم الايكولوجية، تبحث في مدى تأثير الظروف المكانية ومسائل التحضر في نمو المدينة، فأكد روبرت بارك R. Park -الذي يعتبر من الرواد المؤسسين لهذه المدرسة- على عدد من القضايا الهامة والتي تم إجمالها كالتالي:²

- المدينة مكان طبيعي لإقامة الإنسان المتحضر
- المدينة منطقة ثقافية
- المدينة بناء طبيعي يخضع لقوانين خاصة من الصعب تجاوزها.
- المدينة بناء متكامل ما يصدق عليها ينسحب على كل قسم من أقسامها الفرعية.

بمعنى أن المدينة تعد البيئة الطبيعية للطبيعة البشرية تحكمها قوانين خاصة، وتعرف درجة عالية من التنظيم، كما نلمس من خلال التحليل الذي قدمه بارك للمدينة وجود مستويين من التنظيم: الأول مادي والثاني ثقافي اجتماعي، يفترض "أن الظروف النفسية والأخلاقية للحياة في المدينة سوف تعكس نفسها بصورة طبيعية في كيفية استغلال المكان وفي أنماط الحركة الإنسانية والانتقال (...). كما افترض أن الثقافة تتجلى في الأشياء المصنوعة وأن المدينة لها طابع عضوي"³. فالحاجة إلى العقلانية أو الرشد كما يسميها بارك تظهر في كيفية استغلال المكان وفي أنماط الحركة السكانية، مؤكداً اختفاء الجماعات الأولية داخل المدينة، ومعتبرا علاقات الأفراد لا تتعدى في كونها سطحية، تقوم على المصلحة والعلاقات الثانوية،

¹ BOUVIER P., op. cit, P. 197.

² خروف حميد وآخرون، الإشكالات النظرية والواقع (مجتمع المدينة نموذجاً)، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999، ص. 14.

³ غيث محمد عاطف، علم الاجتماع الحضري (مدخل نظري)، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص. 38.

وهي في العادة لا تمتد إلى أبعد من المحيط الذي يعيش داخله، المتكون من علاقات المهنة، الصداقة والجوار، وعليه أصبحت الحياة في المدينة أقل عاطفية وأكثر عقلانية.

2.4. النظرية النفسية الاجتماعية

تعتبر النظرية النفسية الاجتماعية التوجه النظري الذي سيطر على المدرسة الألمانية، وكانت إسهاماتها تدور حول اكتشاف الخصائص المميزة للمدينة والحياة الحضرية. وفي كل الأحوال ركزت هذه النظرية اهتمامها على جانب السلوك والفعل والعلاقات الاجتماعية، ترى أن الفرد لا يوصف بالحضرية بناء على مكان إقامته، بل استناداً إلى نمط سلوكه، فقد أكدت على اختفاء السلوك أو الفعل العاطفي بالمدينة، والذي استبدل بالفعل العقلاني، وذلك نتيجة الطبيعة المعقدة للحياة في المدينة، فالكثافة السكانية العالية، ولا تجانس القاطنين بها، وتجاوز مبادئها حتم على الفرد تعديل سلوكه ليضمن التكيف والاستمرار بالعيش بالمدينة، وكما أن هذه الأخيرة تؤثر في الأفراد، فإنهم أيضاً يعملون على تشكيلها انطلاقاً مما يحملونه من تصور وعقلانية.

ومن الرواد الأوائل لهذه المدرسة ماكس فيبر M. Weber، الذي اعتبر المدينة مكان يعيش سكانه على التجارة والتبادلات أكثر من عيشهم على الزراعة، وعرف المدينة على أنها: "ذلك الشكل الاجتماعي الذي يؤدي إلى ظهور أنماط متعددة وملموسة في أساليب وطرق الحياة، مما يسمح بظهور أعلى درجات الفردية الاجتماعية، وهي بذلك وسيلة للتغيير الاجتماعي التاريخي"¹، بمعنى أن المدينة بطبيعتها المعقدة تشجع الفردية الاجتماعية، عكس الحياة الريفية التي تتسم بالجماعية، يتشارك أفرادها في تنظيم سلوكياتهم.

وتظهر نظريته للرابط الاجتماعي والتي انطلق فيها من دراسة الأفعال الفردية إلى أنماط السلوك، وهذا لا ينشأ إلا بعدما يتوحد الوعي الذي يعطيه كل فرد لحركته مع وعي الآخرين

¹ رشوان حسين عبد الحميد أحمد، المدينة: دراسة في علم الاجتماع الحضري، ط6، المكتب الجامعي الحديث، لإسكندرية، 1998، ص. 58.

المتجين لنفس الحركة، وبذلك يدل مفهوم الرابط الاجتماعي عند فيبر على التبادل والتداخل بين الفاعلين في ضوء فهم كل واحد منهم للمعاني التي يمنحها كل فرد لسلكه. "الفرد يبحث عن من يتشابه معه في المكانة الاجتماعية لكي يتضامن معه ضد كل كائن أو ظاهرة مهما كان شكلها، والتي يراها متسلطة عليه بعدما يتوحد ويتضامن الوعي الجماعي لكي يعطي معنى موحد للحركة، هذا المعنى الموحد هو العامل الحاسم حسب فيبر الذي يجعل من هذه الحركة الإنسانية حركة اجتماعية، على إثر هذه العملية تنشأ العلاقة الاجتماعية التي يظهر فيها للعيان التضامن الاجتماعي"¹. وعلى هذا النحو يتطور الاتفاق الاجتماعي ويؤسس تضامن اجتماعي من خلال الوعي الموحد الذي يبدأ يتبلور ويتفاعل ضد كل نوع من أنواع القوى الاجتماعية منها والطبيعية.

وقد حدد هذا المفكر فئات العلاقات الاجتماعية، والتي لا توجد بمعزل أو خارج عن الأفعال الاجتماعية، وتمثل هذه الفئات في خمسة أصناف:²

- العرف أو الإصلاح أي التماثل الفعلي للعلاقات الاجتماعية
- العادة والعرف الذي يستمد وجوده من الألفة والتعود
- الأسلوب أو العرف الذي يتسم بالتجديد والحدثة
- العادة التقليدية وهي العرف الذي ينتج عن الرغبة في الهيبة الاجتماعية أو العرف الذي يتحدد على أساس أنماط معيارية
- القانون وهو مجموعة من القواعد التي تنطوي على إلزام أو العقاب من يخرج عليها، ومع أن القانون يعتمد على العادة والعرف، فيكمن الاختلاف بينهما في عنصر الإلزام الذي تحمله القاعدة القانونية.

¹ مهدي العربي، مرجع سابق، ص. 37-38.

² كعباش رابع، مرجع سابق، ص. 79.

ومنها أوجد نوعين من الروابط في نفس الامتداد التصوري لتونيز، وهما: الجماعية والمجتمعية - هذان المفهومان طرحهما تونيز أيضا في كتابه "الجماعة والمجتمع" كما سبق الذكر-، لكن عند فيبر يعني الأول "ضبط الفعل الاجتماعي (...). بناء على إحساس شخصي (انفعالي أو تقليدي) لدى المشاركين بانتمائهم إلى بعض"¹. والثاني "يتم ضبط الفعل الاجتماعي بناء على توازن المصالح ذي دوافع عقلانية (عقلانية قيمية أو عقلانية غائية)"²، إذن الثنائية المتضادة عند فيبر تشمل نموذجين للتفاعل الأول عاطفي وجداني يتعلق بالعادات، التقاليد والعواطف، والثاني عقلاني ينطوي على الملائمة بين الغايات والوسائل.

وضمن هذا المنظور، يعرف الرابط الاجتماعي عند ماكس فيبر بتبادل الأفعال بين الأفراد على أساس فهم كل منهم للمعاني التي يضيفها كل فرد على سلوكه. وإن تطور الروابط والصلات الاجتماعية يعتبر شرطا أساسيا في وجود المجتمع الحضري، أي أنه كلما ظهرت وانتشرت حالات عدم التعارف بين السكان في مجال واحد واختفاء وانغماس كل واحد في هويته المجهولة - كما يسميها فيبر- فإن هذا المجال سيتحول حتما من "قرية" إلى "مدينة".

وعلى النهج نفسه اعتبر جورج سيمل G. Simmel - تلميذ فيبر- المجتمع مجموع الأفعال المتبادلة للأفراد، تكون موجهة بمجموعة من الدوافع المختلفة: "الغرائز الجنسية، المصالح العملية، المعتقد الديني، متطلبات النجاة أو العدوان، المتعة في اللعب، العمل..."³ فمصالح الأفراد واحتياج بعضهم بعضا هي التي تدفع في الحياة الاجتماعية نحو الأفعال المتبادلة التي تتكسر في التفاعل والتبادل والذين يأخذان أشكالا متعددة، ومع هذه

¹ فيبر ماكس، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة: صلاح هلال، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011، ص. 76.

² نفس المرجع، ص. 76.

³ كابان فيليب و دورتيه جان فرانسوا، علم الاجتماع (من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات)، ترجمة: إياس حسن، ط1، دار الفرقد للطباعة والنشر ولتوزيع، سورية دمشق، 2010، ص. 72.

التفاعلات أو كما يسميها مفكرنا الألفة الاجتماعية (Sociabilité) تتشكل جوهر العلاقات الإنسانية.

لقد ركز سيميل G. Simmel في تحليلاته خاصة على العامل المادي المتمثل في الأجر والعمل، والذي يعتبر الأساس في استقلال الفرد عن جماعته الأولى (العائلة، القبيلة، القرية والجوار) مما دفع الفرد إلى الانخراط في تجمعات بشرية حسب متطلباته الشخصية (المصلحة المتبادلة). لأجل هذا تحولت طبيعة العلاقات الاجتماعية من اعتمادها على العواطف والعفوية والسيطرة الروحية أو كما يسميها "التضامن العفوي غير مفكر فيه"¹ إلى علاقات تخضع للعقلانية والمصلحة المادية. ويؤكد سيميل أيضا أن الزيادة في الحجم والتباين تعمل على تحلل الروابط بين الأفراد وتترك في مكانها علاقات متباعدة غير شخصية وجزئية، فالمجموعات الكبرى التي تحرر الفرد تهدد في نفس الوقت فرديته.

كما ركز جورج سيميل G. Simmel في بحثه عن الأسس السيكولوجية التي تكمن وراء الطابع الخاص بالحياة في المدن²، فدرس وحلل الأسس النفسية التي تكمن وراء الحياة الحضرية المتربوليتانية كالتوترات والضيايق، العواطف ونوع الذكاء والعقلانية التي يجب على الأفراد أن يتصفوا بها لضمان نجاحهم واستمرارهم في العيش بالمدينة.

وعلى ضوء هذا التحليل رصد لنا عبد الرحمن المالكي خصائص الحياة المتربولية عند جورج سيميل في النقاط التالية:³

- المتربول هي مجال "الاستقلال الفردي"

- المتربول هي مجال "ألوية العقل على العاطفة"

- المتربول هي مجال "سيادة العقل لتجريدي"

¹ SIMMEL G., « Métropoles et mentalité », In : GRAFMEYER. Y- JOSEPH.I, L'Ecole de chicago (Naissance de l'écologie urbaine), op. cit, P. 67.

² Cf. SIMMEL G., Les grandes villes et la vie de l'esprit, Traduit par Françoise Ferlan, L'Herne, Paris, 2007.

³ المالكي عبد الرحمن، مرجع سابق، ص. 55.

- المتربول هي مجال "سيادة العقل الحسابي"
- المتربول هي مجال "إنتاج السأم"
- المتربول هي مجال "العقل الحذر" (العقلية المتحفظة)
- المتربول هي مجال "الحرية الممنوحة للأفراد"
- المتربول هي مجال "تحقق الكونية"
- المتربول هي مجال "الفردنة والعقلنة"
- المتربول هي مجال "ثقافة الموضوع" (الثقافة الموضوعية)
- المتربول هي مجال "التقسيم الأكبر للعمل"

إذن، فالحياة الحضرية حسب نموذج سيمبل لها آثار سيكولوجية، فسكان المدينة يتعرضون إلى مؤثرات نفسية متعددة تجعلهم يعمدون إلى إنشاء علاقات غير عاطفية، تكون عقلانية ووظيفية مع الآخرين، وتعتبر كمكانيزم للدفاع ضد تعقد الحياة الحضرية. وعلى هذا الأساس فإن الإنسان الحضري في تصور سيمبل يلجأ إلى وسيلتين: الأولى هي التقليل من حجم العلاقات التي تربطه بالآخرين في المجتمع، والثانية هي تحويل أكبر قدر من العلاقات الأولية الوثيقة إلى علاقات ثانوية أقل شدة. وبما أن العلاقات الأولية هي التي تشكل أساس الترابط والتساند الاجتماعي، فإن تدهورها يكون له آثار سلبية على انتشار مظاهر الوحدة واللامعيارية بين السكان.

وفي هذا الإطار ركز سبسنجلر O.Spenger على الصور النفسية الاجتماعية للحياة الحضرية من خلال النقاط التالية:¹

- الثقافة الحضرية
- عدم التوازن بين الريف والمدينة
- تميز المدينة بالحرية والانفصال من القيود والروابط العقائدية

¹ السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري (مدخل نظري)، مرجع سابق، ص. ص. 422-427.

- إرتباط الحياة الحضرية بالمال والفكر والذكاء.

- التأكيد على العقلية الحضرية

نلاحظ أن سبسنجلر أقر باختلاف الريف عن المدينة بسبب تعارض نظام الحياة في كل منهما، ويكمن الفرق في التحرر الفكري، الاجتماعي وحتى الاقتصادي، فللمدينة ثقافة تؤكد على العقلية والمصلحية.

3.4. نظرية الثقافة الحضرية

من إسهامات نظرية الثقافة الحضرية نظرية لويس ويرث L. Wirth ، الذي بنى نظريته على المجتمع الأمريكي أثناء العشرينات والثلاثينات، أين تزايدت الهجرة في أمريكا. وهو في الحقيقة أحد تلامذة بارك لم يتبن المنظور الايكولوجي وحده، ولم يقبل بالنظرية الايكولوجية كنظرية حضرية نهائية، بل حاول التحقق من ثبات الطرق والمناهج الايكولوجية لوصف الحياة بالمدينة؛ فلقد شكل البعد الثقافي لدى ويرث اهتماما متزايدا عبر مساهماته الفكرية، في محاولة لفهم المدينة من خلال مقاله "الحضرية كأسلوب في الحياة"، الدراسة التي نشرها عام 1938 في المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع.

لقد شكلت الحياة الحضرية محور اهتمام لويس ورت الذي قدم إسهاما متميزا في بلورة مفهوم المدينة والنظر إليها كمتغير أساسي في علم الاجتماع الحضري، حيث يرى أنها "توطن مهم الحجم نسبيا، كثيف ودائم لأشخاص غير متجانسين اجتماعيا"¹. هذا التعريف يمكن تفكيكه إلى عدة عناصر مميزة للمدينة، وهي:

- حجم التجمع السكاني (كبر الحجم من حيث المساحة)

-الكثافة السكانية

¹ WIRTH L., « Le phénomène urbain comme mode de vie ». In : GRAFMEYER. Y- JOSEPH.I, L'Ecole de chicago (Naissance de l'écologie urbaine), op. cit, P. 258

- عدم التجانس الاجتماعي والاعتماد المتبادل والمتشابك بين السكان في الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والعملية والمهنية والنفسية وأنماط السلوك بين السكان، وبالتالي شيوع العلاقات الجماعية الثانوية، وأخيرا سيادة الضوابط الاجتماعية الرسمية.

والظاهر أن الحضرية عند ويرث هي بالأساس عملية الاستيعاب لنمط الحياة الحضرية بكل أبعادها ومستوياتها، والتكيف مع الواقع الاجتماعي والتنظيم الذي يميزه. وتتميز الحياة الحضرية من منظوره بالطابع الجزئي للعلاقات الاجتماعية والاتجاه إلى استخدام العقل في التبرير المنطقي، فكلما ازدادت المدينة نموا في الحجم بازدياد عدد المقيمين بها فإن اختلاف خصائص المقيمين بها تزداد. كما أن طبيعة العلاقات الاجتماعية تتعرض للتغير والتبدل فتصبح هذه العلاقات سطحية وغير شخصية ومؤقتة. وأصبح بذلك حجم المدينة يؤثر على طبيعة الروابط والتفاعلات بين الأفراد.

ومما لا شك فيه فإن نمو حجم المدينة وتوسعها وتنوعها يؤدي إلى إضعاف العلاقات الاجتماعية بين سكانها، فيترتب عن ذلك ظهور جماعات وثقافات متعددة ومختلفة ومتباعدة، وبالتالي يقل احتمال معرفة الفرد لسكان المدينة معرفة شخصية فتصبح العلاقات بذلك بين السكان سطحية ومؤقتة. كما تتكون المدينة من جماعات متباينة، الأمر الذي يؤدي إلى قلة فرص التفاعل بينها، بالإضافة إلى خلق صراع بين مختلف هذه الجماعات.

من جهة أخرى ظهر اتجاه الفروق الريفية بفضل الاتجاهات الحديثة التي ظهرت في القرن 19م، والتي أدخلت القرية كوحدة بنائية مقابل المدينة. وقد اكتسبت هذه الدراسات طابعا عمليا في مطلع القرن العشرين، نتيجة التطور الذي طرأ على مناهج البحث في علم الاجتماع. ويتجلى ذلك حين قام روبرت ردفيلد R. Redfield بصياغة ما سماه بالثنائية الريفية الحضرية، وهي التي تقابل بين مجتمع شعبي وآخر حضري، حيث أشار إلى أن المجتمعات تتحول عبر متصل يمثل أحد طرفيه مجتمع الفولك ويمثل الطرف الآخر المجتمع

الحضري، وسعى منذ البداية إلى تحديد خصائص هذين المجتمعين وفهم التغيرات التي قد تحدث جراء هذا التحول.

وتستند فكرة المتصل الريفي الحضري على إفتراضين هما: "أن المجتمعات المحلية تتدرج بشكل مستمر من الريفية إلى الحضرية، والثاني أن هذا التدرج يصاحبه اختلافات وفروق متسعة في أنماط السلوك والعادات والأفكار"¹؛ حيث يقوم مجتمع الفولك لردفيلد على المشاعر الجمعية، وفي المقابل التأكيد على المشاعر الفردية التي تميز المدينة والحياة الحضرية، وقد توصل بعد التحليل والمقارنة لعدة مجتمعات إلى صياغة عشرة متغيرات لقياس التحضر وهي كما مبينة في الجدول الموالي.

الجدول رقم (02): قياس الارتباط في مجتمع الفولك وفي المجتمع الحضري انطلاقاً من مجموعة من المتغيرات²

المتغيرات	ارتباط أقل	مجتمع فولك	ارتباط أكثر	مجتمع حضري
العالم الخارجي	-	×	+	×
التباين	-	×	+	×
تقسيم العمل	-	×	+	×
تطوير إقتصاد السوق	-	×	+	×
وجود تخصصات مهنية	-	×	+	×
البعد عن الروابط القرابية	+	×		×
الاعتماد على المؤسسات الرسمية	-	×	+	×
التمسك بالعقيدة	+	×		×
الابتعاد عن العادات والأعراف	-	×	+	×
التسامح والتأكد على الحرية الفردية	+	×		×

¹ الحسيني السيد، المدينة: دراسة في علم الاجتماع الحضري، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1980، ص. 117.

² الخولي حسن، الريف والمدينة في مجتمعات العالم الثالث، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص. 20-39.

ويبدو من الجدول أن التناقص في درجة التغير يجعل المجتمع أكثر قربا من المجتمع الفولك (الريفي أو الشعبي)، وتشير زيادته إلى الاقتراب من النموذج الحضري، وكلما اقتربنا من المركز كلما زادت الثقافة الحضرية، القائمة على الحراك، والتمايز الطبقي، وتقسيم العمل والتباين الاجتماعي. لأن الحضرية تزيد من اتجاه الأفراد نحو العلمانية فترتبط النشاطات الحضرية بتوجهات عقلانية برجماتية وبنوعية، وتنتشر الفردية وتزيد من سطحية العلاقات الاجتماعية.

وللتحليل الأدق سننزل أكثر من مجرد إلى الملموس لنتناول الرابط الاجتماعي في الجزائر، فحسب ما أشار قيس النوري إلى أنه "من العبث تعميم النموذج الحضري الأمريكي والأوروبي كأساس لصياغة الصورة الحضرية عن العالم الثالث، لأن كثيرا من مدن هذا العالم في افريقيا وآسيا يغلب عليها قدر كبير من التشابه الاجتماعي أكثر مما تتسم به من التعددية"¹. ومجمل القول، نريد الإشارة إلى أن مناقشة الأطر النظرية لا تحقق القطعية في مضمونها ولا يجب التسليم بصحتها، وفي الحقيقة هي تعكس الواقع الاجتماعي وتسمح ببناء وتحليل نموذج الدراسة.

III. الرابط الاجتماعي في الجزائر: دراسات ومقاربات

انخرط المجتمع الجزائري منذ تعرضه للاستعمار في سيرورة تحول عميقة في كافة المستويات، هذه السيرورة تتلخص في عمليتي التحضر والتحديث، التي انعكست خاصة في تغير نمط الإنتاج من زراعي رعوي إلى صناعي خدمي، وفي النزوح الريفي وتوسع العمران... ولوعدنا إلى الوراء كما ذكر محمد سويدي² إلى النصف الأول من القرن 19م فسوف نجد أن القطاع الحضري لا يمثل سوى 5% أو 6% من مجموع السكان الذي قدر عددهم بحوالي 3 ملايين سنة 1830 في حين بلغت نسبة سكان الريف 95%، وكان الريف

¹ النوري قيس، الأنثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة، ط1، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، أريد الأردن، 2001، ص. 9.

² أنظر: السويدي محمد، مرجع سابق، ص. ص. 80-83.

أنداك يقوم على النظام العشائري (القبلي)، ومع الاستعمار بدأت مرحلة جديدة من الحياة الحضرية، امتدت إلى فترة ما بعد الاستعمار الفرنسي، عرف فيها المجتمع الجزائري نزوح ريفي كبير أدى إلى تحولات عميق في تركيبة المجتمع الحضري بشكل عام، تحولات مست جميع أصعدته. ضف إلى ذلك بين مزوار بلخضر من خلال دراسته¹ أن الروابط الاجتماعية في الجزائر لا تتأسس على الدين فقط، وتساؤل في خاتمة دراسته عن إذا ما كان ممكنا التكلم عن الحداثة. وأكد ذات الباحث أن المجتمع الجزائري تتحكم فيه علاقات المواطنة في المجال السياسي، وروابط تجارية في الميدان الاقتصادي، وفي المجال الثقافي طرح مفهوم التثاقف، مؤكدا أن كل هذه الخصائص والمميزات التي يتميز بها المجتمع الجزائري اكتسبها من خلال كل التحولات الاجتماعية التي مر بها.

إنّ هذه التحولات "هي سيرورة موضوعية، تحدث خارج إرادة ووعي الأفراد لأنها ترتبط بانتشار التحديث على المستوى الكوني عبر آليات انتشار مختلفة كما أنها تحولات بنيوية عميقة تتولد عنها شروخ في البنية الثقافية للمجتمع وأشكال من الوعي المنكسر أو المريا المكسورة"² وهذا ما أسماه كل من بورديو وصياد بالإجتشات Le déracinement³، الذي ترتب عن التوسع الحضري الفجائي والفوضوي جراء الاستقلال.

وباجتياز المجتمع الجزائري فترة التحول والانتقال من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث، يعرف هذا المجتمع ازدواجية أو ثنائية في عناصره الثقافية جراء تصادم منظومة الثقافة والقيم التقليدية، التي تركز على قيم الشرف والطاعة والجماعية... إلخ، ومنظومة الثقافة الحديثة، التي تبني قيم الفردانية، والنزعة البضاعية التبادلية، ومعايير الشيئية الأدوات⁴

¹ Cf. MEZOUAR B., Religion et lien social en Algerie. Thèse de doctorat d'état en sociologie. Tlemcen, 2005.

² سبيلا محمد، في تحولات المجتمع المغربي، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 2010، ص. 100.

³ Cf. BOURDIEU P.- SAYAD A., Le déracinement, Les éditions de Minuit, Paris, 1964.

⁴ للتوسع أكثر أنظر: محمد سبيلا، مرجع سابق، ص. 100.

انجر عن كل هذا آليتين أساسيتين فرضتا نفسيهما وهما التمايز Différenciation والعقلنة Rationalisation، فالتمايز يعني اختلاف أفراد المجتمع واللاتجانس الناتج عملية تقسيم العمل، وانتقال المجتمع من مجتمع بسيط تحكمه علاقات آلية بين الأفراد إلى مجتمع معقد يخضع لآليات التضامن العضوي، الذي يفرض العقلنة والتخطيط في جميع الأمور والميادين.

كل هذا أثر في شكل ومحتوى العلاقات الاجتماعية، وبعدها كانت حياة الفرد محددة بأبعاد الجماعات المحلية وتحكمه رابطة العرف الاجتماعي، سيضطر في مجتمعه الجديد العمل على وضع مفاهيم حياتية جديدة يتأقلم بواسطتها مع نوعية الحياة التي يتطلبها المجتمع الحضري الجديد، ومن بين هذه المستجدات الروابط الاجتماعية وتشكيلها، والتي أصبحت تتميز بالسطحية والنفعية، الانقسامية والفردية، فقد أشار محمد نجيب بوطالب إلى ذلك واعتبر أن كل هذه "التحولات المفروضة أدت إلى أزمة في نظام القيم وأخرى في النسيج الاجتماعي وروابطه. لقد تم نقل الفاعلين بشكل سريع وعنيف من نمط الحياة الجماعية القائمة على الوحدة العشائرية ذات التضامن القرابي إلى الجماعية الاصطناعية القائمة على الفردانية"¹

وذكر مرضي مصطفى أن الرابطة الاجتماعية التي "كانت تجمع أفراد الأسرة في المجتمع الجزائري الريفي قد تغيرت في أساسها، غير أنها لم تتغير في جوهرها. وقد كانت الرابطة الاجتماعية قائمة على أساس قاعدة عقارية هي الأرض وما يرتبط بها من أنشطة زراعية ورعوية وحرفية، وعلى أساس قبلي بقيمه المستندة على علاقات النسب والتضامن والتكافل والعلاقات الشخصية والعائلية، حيث كان فيها الفرد مندمجا في جماعته القروية، لا وجود مستقلا له، إلا ضمن عائلته وقبيلته. أما الآن فقد استقر في الفضاء الحضري التي تشكل المدينة تجسيدا له (...). فهو مطالب، في ظل المجتمع الحديث، الاندماج في جماعة اجتماعية جديدة لا تقوم على روابط الدم والقبلية للحصول على رزقها، بل تقوم على روابط قائمة

¹ بوطالب محمد نجيب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ص. 103.

على التعاقد لا على التعارف، قائمة على القانون لا على الأعراف، أو هكذا يفترض أن تكون كما هي في المجتمع الحديث"¹. كما أن العامل المرفولوجي المتمثل في انتشار المدن وازدياد حجمها وكثافتها، وتقدم وسائل الاتصال والمواصلات التي تساعد على حركة السكان وازدياد الاحتكاك واكتظاظ المساكن أنتج نماذج علائقية جديدة. وسنقدم توضيحا أكبر للرابط الاجتماعي في الجزائر من خلال بعض الدراسات الجزائرية كما يلي:

1. عدي الهواري وأزمة الروابط الاجتماعية

يؤكد عدي الهواري في دراسته² أن الجزائر تعيش أزمة الروابط الاجتماعية، فتحت ضغط الاستعمار والتغيرات الكبيرة للمرحلة ما بعد الاستقلال، وما خلفته من زحف ريفي على المدن وكل ما ترتب عن ذلك، أدى إلى هذه الأزمة، فيقول: "إن أزمة الرابطة الاجتماعية في الجزائر تنحصر ضمن فترة تاريخية من التحول ومن إعادة تعريف الحدود فيما بين المصلحة الفردية ومصلحة الجماعة وبين المصلحة العائلية والمصلحة الوطنية"³، وهنا تكمن أزمة الرابطة الاجتماعية في الجزائر من منظور مفكرنا، والتي يلخصها في أزمة مزدوجة: أزمة المرور من الروابط الدموية إلى الروابط الحديثة، وأزمة الروابط الداخلية التي تعيشها الأسر بسبب أزمة السكن.

إن هذه الأزمة والتي تضرب المجتمع الجزائري المعاصر "تجد أصولها في الصعوبات التي تواجه الروابط الاجتماعية للانتشار نحو الركائز الأخرى والخروج من الروابط الدموية التي حبستها في البيولوجية"⁴ فهو يرى أن الجزائر لا تعد مجتمعا، بل هي عبارة عن مجموعة من الجماعات أو بالأحرى جماعة كبيرة، حيث يقول: "من وجهة نظر علماء الاجتماع، مفهوم

¹ مرضي مصطفى، "الرابطة الاجتماعية في الجزائر مساراتها وأزمته وضرورة تحديثها"، من: الروابط الاجتماعية في المجتمع الجزائري، مرجع سابق، ص. 90.

² Cf. ADDI L., Les mutations de la société Algérienne : Famille et lien social dans l'Algérie contemporaine, Ed. la Découverte, Paris, 1999.

³ Ibid, P. 124.

⁴ بومخلوف محمد، مرجع سابق، ص. 35.

المجتمع لا ينطبق على الجزائر (...) هي شبيهة بوحدة سياسية عن جماعات عائلية¹، أي أنها تعيد إنتاج نفس الروابط المبنية على القرابة والنسب، وعليه يعتبر الرابط الاجتماعي في الجزائر نموذجاً جماعياً (Communitaire) بامتياز.

تمتد أزمة الروابط الاجتماعية التي يتحدث عليها عدي الهواري إلى أزمة في القيم، بمعنى العيش في مشكل إدماج القيم الجديدة في الحياة اليومية، مع إبقاء على القيم التقليدية في تمثيلات الأفراد وتصوراتهم، وأحياناً حتى في ممارساتهم.

2. مصطفى بوتفنوشت: الروابط الاجتماعية في مرحلة انتقالية

يؤكد بوتفنوشت في دراسته² أن الجزائر تعيش مرحلة تحول اجتماعي هامة، بفعل الاستعمار من جهة، ومن جهة أخرى نتيجة تحولات غير متوقعة في المجال الاقتصادي، السياسي وحتى الثقافي جراء الاستقلال، وهي بهذا تعيش مرحلة انتقالية تتميز بنوع من الازدواجية: مشاركة في الحياة العصرية والتمسك في ذات الوقت بالبنى التقليدية المتوارثة، ما انعكس على الروابط الاجتماعية بشكل عام، التي تعيش في خضم هذه التحولات مرحلة انتقالية ومزجاً بين ما هو عصري وتقليدي في آن واحد، فالجزائر، وبالرغم من استحداث مؤسسات ومحاولات الدخول في ركب العصرية مازال النظام التقليدي يتحكم فيها ويظهر على مستويات عدة بما فيها مستوى التمثيلات الجماعية.

هذه المرحلة الانتقالية خلفت أشكالاً جديدة من التعايش، فقد صرح بوتفنوشت أن التضامن الاجتماعي بين الأفراد "بدأ في الزوال تقريباً في المجتمع الجزائري"³، فبعدما كان الأفراد مرتبطين بالجماعة في وسطهم القروي، حتم عليهم الانتقال إلى وسط حضري إنتاج

¹ ADDI L., op. cit, P. 190.

² Cf. BOUTEFNOUCHET M., La société algérienne en transition, OPU, Alger, 2004.

³ BOUTEFNOUCHET M., Système social et changement social en Algérie, OPU, Alger, Non daté, P. 32.

نموذج جديد للتأقلم مع هذا الوسط الجديد، هذا النموذج لا يعني إلغاء تام للمنظومة القيمية التقليدية.

3. رشيد حمدوش: مقارنة جديدة لفهم الرابط الاجتماعي في الجزائر

من خلال دراسة رشيد حمدوش لواقع المجتمع الجزائري المعاصر حول الاستراتيجيات العلائقية والرابط الاجتماعي عند الشباب، بين القطيعة والامتدادية وإشكالية التقاليد والحداثة¹ توصل إلى وجود نمط جديد من العلاقات الاجتماعية الذي هو في طور التشكيل والذي لم يكتمل بعد، وأسماه بـ "النمط الحضري البيئي" للعلاقات الاجتماعية، وهو نمط يجمع بين النظام المحلي والنظام التعاقدى الحديث، فهو يرى أن المجتمع الجزائري الحالي لا زال يعاني من "تقليديته" (محلته) وفي نفس الوقت يتطلع أغلبية أفراد خاصة فئة الشباب إلى الانتقال إلى المجتمع التعاقدى (الحديث)، فسلوكات الأفراد وتصوراتهم تتأرجح بين هذين النموذجين. إذ يرى أن "سمة المجتمع الجزائري المعاصر هو التحول والانتقال غير المكتمل، مما أدى إلى أنه يتميز بخاصية نسميها 'بالتأرجح أو التموقع البيئي'، الذي يركز على إستراتيجية التفاوض والتوافق لفاعليه: تفاوض بين المحلي والتعاقدى"²

والنموذج الجديد الذي وضعه حمدوش يسمح بتناول سلوكات وتصورات الأفراد على أنها سلوكات وتصورات "طبيعية" و"عادية" وبالتالي تفادي حكم عليها بالإيجاب أو بالسلب "فالنمط الثقافي الحضري الذي يصنع العلاقات الاجتماعية ومنه الرابط الاجتماعي في الواقع الاجتماعي الجزائري هو من جهة ذلك النمط الذي يرمي إلى التوفيق بين فردية ومحلية ملموسة، ومن جهة أخرى عالمية هي الأخرى أقل تجريدا"³. بمعنى التوازن بين الفردي والجماعي، المحلي والتعاقدى، عبر عنه بأنه نموذج "تعاقدى- حديث"، ذو صدى "محلي - تقليدي"

¹ أنظر: حمدوش رشيد، مرجع سابق.

² نفس المرجع، ص. 366

³ حمدوش رشيد، "محاولة اقتراح جديدة لتفسير العلاقات الاجتماعية والرابط الاجتماعي للواقع الجزائري المعاصر"، من: مجلة بحوث، العدد 7، جامعة الجزائر، 2007، ص. 112.

ويضيف حمدوش أن الفردانية تجعل من الكائن المتواجد في المدينة "ذو علاقات وارتباطات عديدة، مقارنة بذلك الفرد الذي يعيش وسط مجموعته المحلية المحدودة والضيقة. وبالتالي حاجته إلى غيره، وحاجة الغير له تقوي تلك الروابط التضامنية وتعززها... ففي المدينة يتمتع بروابط عديدة ومكثفة، وبأنسجة أكثر تنوعا وتعددا"¹، ويرى أن عملية الفردانية تلك والتي أصبحت ميزة المجتمع الحديث لا تتعارض مع الجماعية، كما لا تتعارض الجماعة مع المجتمع التعاقدى الحديث، بمعنى الفردية والتميز في إطار الجماعة.

وعليه يتفق الباحثين على أن التغير والتحول الاجتماعي والذي مرت به الجزائر أنتج نماذج جديدة من الروابط الاجتماعية، وهذا ما سيخلق شكل جديد من التضامن والصراع الاجتماعيين.

¹ حمدوش رشيد، "أهم نظريات الرباط الاجتماعي -دراسة نقدية-"، من الروابط الاجتماعية في المجتمع الجزائري، مرجع سابق، ص. 46.

- خلاصة

وتبعا للتفاصيل التي تطرقنا إليها في هذا الفصل، نجد شبه إجماع بين علماء السوسولوجية في أن الانتقال من المجتمعات التقليدية إلى المجتمعات الصناعية يفترض اختفاء الأطر الاجتماعية القديمة وتحللا لأنماط تنظيم المجتمعات التقليدية، فالدين والقيم والمعتقدات الجماعية، وكذا جماعات الأولية وغيرها سيختفون مع التصنيع والتحضر، وتظهر علاقات وروابط مختلفة مع انتشار الضبط الرسمي وكثرة الحراك الجغرافي والمهني، تسودها العلاقات الثانوية التي تتصف بالسطحية والنفعية ويزيد معدل الفردية وطغيان للقيم الفردية على القيم الجماعية.

هذه الاتجاهات النظرية السابقة شكلت بالنسبة للدراسة إطارا فكريا عاما وحتى نستفيد من هذه النظريات الاجتماعية ما علينا سوى أن نأخذ ما يناسب طبيعة مجتمعاتنا وخصوصيته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وأيضا طبيعة المرحلة التاريخية التي يمر بها مجتمعنا، التي تعد مرحلة انتقالية. إذ لا يمكن الاستغناء على النظريات السوسولوجية لأنها تعتبر إرث معرفي يجب تثمينه ومحاولة تكييفه مع واقعنا. ثم إن الرابط الاجتماعي مفهوم ديناميكي: ينمو ويتطور بتطور الجماعات والمجتمعات، فهو قابل للتغير، يتأثر بالظروف والعوامل المستجدة، وحسب خصوصية كل مدينة وكل مجتمع محلي.

الفصل الثاني

المدينة والحى مجال الدراسة: مقارنة وصفية

- تمهيد

I. المدينة كمفهوم نظري

1. مفهوم المدينة

2. تصنيف المدن

II. مدينة أرزيو: مقارنة وصفية

1. الخصائص الجغرافية والتاريخية لمدينة أرزيو

2. الخصائص الديمغرافية لمدينة أرزيو

3. التجهيزات بمدينة أرزيو

III. حى الهضاب مجتمع محلي

1. مفهوم المجتمع المحلي

2. خصائص حى الهضاب

3. التجهيزات داخل حى الهضاب

- خلاصة

- تمهيد

إن المدينة ظاهرة من ظواهر الحضارة الإنسانية ومفردة من مفردات الوسط البيئي الذي يعيش فيه الإنسان، ويؤثر فيه ويتأثر به، وإن إشباع حاجاته الاجتماعية منها والنفسية والاقتصادية تعتبر من الأهداف الأصلية لإنشائها وتتصل بهذه الحاجات أنشطة تتكامل وتتفاعل فيما بينها لتحقيق الكفاية للإنسان.

من الثابت والمعروف أن المدن تختلف فيما بينها من حيث مكوناتها ووظائفها؛ إذ تتمتع كل منها بشخصيتها لجذورها التاريخية وتطورها الاقتصادي والاجتماعي والعمراني، وعليه باعتبار مدينة أريزو مجال الدراسة والإطار الأساسي والمرجعي للبحث، كان من الضروري تحديد الخصائص والمميزات التي تختص بها هذه المدينة عن غيرها من المدن، وذلك من الناحية الجغرافية، والتاريخية، والديمغرافية، فضلا عن الجانب الاقتصادي، من أجل محاولة الترسد لكل تلك الديناميكية التي تشهدها المدينة. وتعد معرفة الخصائص التي تميز الحى مجال الدراسة من الأمور الهامة أيضا، والتي تفيدنا في التحليل.

فكل هذه الخصائص والسمات التي تميز المدينة والحى المدروس تأثر دون شك في كيفية نسج الروابط الاجتماعية.

I. المدينة كمفهوم نظري

قبل التوغل في خصائص مدينة أريزو لزم علينا الولوج إلى تحديد مفهوم المدينة وتصنيفاتها حتى نصل إلى التحليل المثمر.

1. مفهوم المدينة

تتنوع المعارف والمصطلحات المعرفية حول مفهوم المدينة مما يصعب علينا تحديد مفهوم متفق عليه من طرف علماء الاجتماع والأنثروبولوجية، والسبب الكامن وراء ذلك اختلاف التوجهات النظرية والانتماءات البيئية. وتوجهت أنظارهم إلى المدينة من عدة زوايا مختلفة ومتعددة؛ فمنهم من اعتبر المدينة وحدات نضجت خلال التاريخ الإنساني نتيجة الصراع مع الطبيعة، أو أنها مظهر أساسي للعلاقات المتبادلة بين الإنسان والمكان، واعتبرها الآخر بأنها مجموعة من العلاقات الاقتصادية المتبادلة، في حين نوه لها البعض أنها مركز من مراكز الإشراف السياسي أو الحربي أو التجاري، أو أنها نوع متميز من الوجود الإنساني¹.

وعلاوة على ذلك تعتبر المدينة ظاهرة معقدة ومتعددة الجوانب وتشغل مكانا هاما لدى مختلف التخصصات المعاصرة في تحليل رؤية واضحة حول المفهوم الحقيقي للمدينة. نذكر من بينها الجانب القانوني الذي يدرجها في الإطار المكاني ذو الصبغة القانونية التابع بطبيعة الحال إلى الميثاق الموضوع من قبل السلطة العليا، لكن هذا لا يعني أن نضع هذا المفهوم في إطار التعميم نظرا لوجود العديد من المدن في العالم نشأت وتطورت دون إعلان رسمي.

أما من الجانب الإحصائي، فإن المدينة اتخذت معايير ديمغرافية وإحصائية كمحدد أول لمجالها، وعلى سبيل الدلالة "اتخذت الهيئات الدولية للأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة على

¹ للتوسع أكثر حول الموضوع أنظر:

PAQUOT T., Homo Urbanus, Ed. du Félin, Paris, 1990.
MUMFORD L., La cité à travers l'histoire, Seuil, Paris, 1964.
RAGON M., L'homme et les villes, Albin Michel, Paris, 1975.

اعتبار كل مجتمع سكني يزيد عن 20000 نسمة مدينة"¹، ويختلف هذا المعيار من مدينة إلى أخرى، فمثلا "في أمريكا تعتبر مدينة كل تجمع زاد عدد سكانه عن 2500 نسمة، بينما العدد بفرنسا هو 2000 نسمة، وهو 1000 نسمة بكندا، و5000 ببلجيكا، وقدر ب40000 نسمة بكورية، و200 نسمة بفنلندا"². والظاهر عدم كفاية المعيار العددي في تحديد مفهوم المدينة إذ لا يمكن حصر مفهومها في مجرد أعداد، وعلى هذا الأساس يقول لويس ويرث L. Wirth: "إن وصف مجموعة ما واعتبارها حضرية بالاعتماد على الحجم وحده ينطوي على الكثير من التعسف الواضح"³، ويضيف ماكس فيبر M. Weber أن "الحجم لوحده لا يشكل المعيار الحاسم"⁴

ومن جهة أخرى يتحدد مفهوم المدينة من الجانب الاقتصادي المهني، وذلك حسب نوعية الفضاءات التي تقطنها غالبية السكان ونوع النشاط الذي تمارسه من زراعة وصناعة وتجارة، ويتضح هذا الأمر من خلال بعض النماذج، فمثلا إيطاليا تعتبر المكان الذي يمارس فيه نشاطات غير زراعية مدينة. وفي السياق نفسه يؤكد برجل E. Burger في تعريفه للمدينة على أنها "استيطان، تكون المهن الغالبة متمثلة في المشاركة في أنشطة غير زراعية، باعتبار أن النشاط المهني هو المميز بين الريف والحضر"⁵، المبني على تقسيم العمل فقد أكدنا كل من كارل ماركس K. Marx وانجلز F. Engels ذلك بقولهما: "إن تقسيم العمل داخل أمة ما يفترض أولا تقسيم العمل إلى عمل صناعي وتجاري من جهة، وعمل فلاحي من جهة أخرى، ومن تم التفريق بين المدينة والبادية وتعارض مصالحهم"⁶، من هذا المعيار يعتبر التفريق بين المدينة والريف (البادية) من وجهة نظر الماركسية أساسه تقسيم العمل بين عمل

1 شوقي عبد المنعم، مجتمع المدينة، دار النهضة العربية، لبنان، 1981، ص. 25.

2 بوخلوف محمد، التحضر، دار الأمة، الجزائر، 2001، ص. 24.

3 WIRTH L., op. cit, P. 258.

4 WEBER M., La ville, Traduit de l'Allemand par Philippe FRITSCH, Ed. Aubier Montaigne, Paris, 1947, P. 18.

5 السمالوطي نبيل محمد توفيق، قضايا التنمية والتحديث في علم الاجتماع المعاصر، دار المطبوعات الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع، 1999، ص. 342.

6 MARX K. – ENGELS F., op. cit, P. 44.

ذهني وعمل يدوي، ونظروا إلى المدينة على أنها مكان لتمرکز قوى منتجة، ومكان للسلطة السياسية. ومن تم تعتبر الفضاء الملائم لتطور الوعي والصراع الاجتماعيين الذين يعتبران المحرك الأساسي للتاريخ.

غير أن هذا التصنيف لا يرتقي بمفهوم الفضاء إلى مستوى رفيع، ولا يتطابق مع صورة المدينة التي حددها دوركايم E. Durkheim والتي يرفعها إلى مقام المجتمع الأعلى النموذجي، حيث يرى فيها مجال للتجمع يسمح بنمو الوعي الأخلاقي، والوحدة الجغرافية التي تتحقق فيها التضامن العضوي المؤدي إلى المزيد من الحرية والرخاء، وذلك بعد تصنيفه الثنائي بين مجتمعين الأول يسوده تضامن آلي والآخر تضامن عضوي، بإضافة إلى أن هناك مفكرون كثيرون تناولوا التصنيف الثنائي من أجل التفريق بين كل من المجتمع الحضري والمجتمع الريفي، كابن خلدون (العمران البدوي والعمران الحضري)، Maine (مجتمع يقوم على أساس المكانة وآخر على أساس التعاقد)، تونيز F. Tonnies (مجتمع قائم على روابط القرابة والعلاقات الأولية، وآخر قائم على المصلحة والتعاقد)، ريدفايلد R. Redfield (مجتمع الفولك ومجتمع حضري)

وقد جمعا كل من سوركين Sorokin وزيمرمان Zimmerman ، ثمانية خصائص يختلف بها المجتمع الحضري عن المجتمع الريفي وهي: "المهنة، البيئية، حجم المجتمع المحلي، كثافة السكان، تجانس ولا تجانس السكان، التباين والتدرج الاجتماعي، التنقل والحراك الاجتماعي، نسق التفاعل الاجتماعي وأنماط الاتصالات التي يمارسها الناس في حياتهم اليومية"¹

ومن الجانب المهني يرى كل من الباحثين أن سكان الريف يعملون في الزراعة إضافة إلى وجود مهن أخرى قد تحتاجها الزراعة و يحتاجها الريفيون في حياتهم اليومية، إلا أن حجم الذين يعملون في هذه المهن قليل جدا إذا ما قورن بالذين يعملون في الزراعة، أما المجتمع

1 أنظر: غيث محمد عاطف، مرجع سابق، ص. ص. 80-81.

الحضري فيقوم على تنوع المهن، فغالبية السكان يعملون في الصناعة وما يتصل بها، وفي التجارة والتبادل والإدارة والحكم، فمهنهم غير زراعية في الأساس.

وهذا ما يطرحه عامل البيئة، التي هي طبيعية في الريف، حيث أن سكان الريف على اتصال مباشر بالأرض، أما سكان الحضر فهم بعيدون عنها وعن الطبيعة وتعتبر البيئة عندهم اصطناعية تتمثل في البناءات الضخمة والمصانع والمؤسسات على اختلاف وظائفها.

وفيما يخص حجم المجتمع الريفي فهو صغير بطبيعته، ويتميز المجتمع الحضري بكبر حجم، وعليه هناك علاقة طردية بين الحضرية واتساع الحجم. نفس الطرح يقال عن الكثافة السكانية؛ حيث تتميز بالانخفاض في المجتمعات المحلية الريفية مقارنة مع الكثافة السكانية في المجتمعات الحضرية التي تتصف بارتفاعها.

كما يصف كل من سوركين وزيمرمان سكان الريف على أنهم أكثر تجانساً وتمائلاً وتشابهاً في السمات السيكولوجية أو الاجتماعية (كاللغة، المعتقدات، الآراء، أنماط السلوك وغيرها) عن سكان الحضر الذين يتميزون باللاتجانس واللاتشابه. كما أن مفهوم الطبقة لا يظهر في المجتمعات الريفية بينما يظهر بوضوح في المناطق الحضرية. ويتصف الريف بقلة تنقل سكانه ماعدا الهجرة من الريف إلى المدينة، بينما تتميز المدينة بالتنقل الاجتماعي الكثيف والدائم لسكانها. وفيما يخص نسق التفاعلات، فهي في الريف تكون على مستوى ضيق وبدرجة ملحوظة وعميقة، فيتميز بالبساطة والمودة والإخلاص، فالتفاعل يحدث من الزاوية الإنسانية أساساً؛ أما في المجتمع الحضري فيتميز بكثرة الاتصالات ولكن مع ذلك تسود المدينة العلاقات الشخصية التي تتسم بالسطحية والتعقيد والنفعية واعتبارها قصيرة المدى.

لقد أدت عملية الانتماء إلى الفضاء إلى الاحتفاظ بالتكوين الحضري الموروث، ما جعل مفهوم المدينة يبرز في إطار العملية التاريخية التي ساهمت في إنشائها، وصارت لا تعدو حقيقة تراكمية في المكان والزمان، ويمكن استقراء تاريخها من مجموعة التراكمات التاريخية، وأن التعرف عليها يتم من خلال الشواهد العمرانية القديمة، وبالتالي المدينة هي نتاج مراحل

متطورة من تاريخها مع الاحتفاظ بالبنية الأولية، فالمدينة ما هي إلا نتاج تغير مستمر للحياة بها.

وفي الجزائر "قدمت كاتبة التخطيط بوضع معايير لتعريف المدينة وهي كل تجمع سكاني حضريا إذا كان الحد الأدنى للسكان القاطنين في المركز الرئيسي 5000 نسمة"¹ ويزيد عن "1000 عامل، منها 75% يشتغلون في قطاعات غير زراعية، وتتميز بمنجزات صغيرة تتمثل في توفر الوحدة الحضرية على خدمات عمومية (مستشفى، سينما، مسرح، مدرسة)"²، المعايير نفسها تم اعتمادها في إحصائيات 2008 لتحديد مفهوم المدينة (أو الوسط الحضري) كما يلي:³

- الحد الأدنى للسكان يقدر ب 5000 نسمة
 - النشاط الاقتصادي: أقل من 25% يمارسون النشاط الفلاحي
 - الشروط الأساسية: تتمثل في توفير شبكة الماء، الكهرباء والتطهير (réseau d'Assainissement)
 - الشروط المكملة: وجود مستشفى أو عيادة متعددة (polyclinique) ، ثانوية أو مؤسسة للتعليم التوسط، وجود هياكل ثقافية اجتماعية كدور الشباب على سبيل المثال، هياكل رياضية ترفيهية، وكدا إدارية (مكاتب البريد، محكمة وغيرها)
- بمعنى كلما وصل عدد سكان منطقة ما 5000 نسمة فما فوق، وكان أقل من 25% منهم يمارسون النشاط الفلاحي، والبقية (75%) يمارسون نشاطات أخرى غير فلاحية، ويتوفر هذا الوسط (أو هذه منطقة) على كل الهياكل والتجهيزات الضرورية والأساسية يطلق عليه مدينة.

1 السويدي محمد، مرجع سابق، ص. 67.

2 بن اشهو عبد اللطيف، الهجرة الريفية في الجزائر، المؤسسة الوطنية المطبعة التجارية، الجزائر، 1976، ص. 152.

3 Armature Urbaine (Résultats issus de l'exploitation exhaustive), Collection Statistiques, RGPH 2008, N° 163, O.N.S., 2011, P. P. 36- 37.

لقد تضمن مفهوم المدينة جملة من المفاهيم النظرية التي تأخذ عدة اعتبارات جوهرية متعلقة بالتشكيل المكاني وخصوصية الزمان، فضلا عن ممارسة الأنشطة المختلفة. لكنها في نفس الوقت تحتاج إلى معايير تكميلية حتى تستجيب لمتطلبات المجتمع، فقد "تشمل في الغالب على عدد أكبر من السكان، وتوجد بها درجة أعلى من التخصص وكمية أكبر من فائض الغلة الذي يرسل إليها من القرى المجاورة نظرا لأن بعض سكان المدينة لا يعملون في الزراعة. وتتميز المدينة عادة عن القرية بوجود عدد أكبر من طرق المواصلات ومن المباني الضخمة ومن العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي تربط المدينة بما حولها من القرى والمدن"¹، وهذا الأمر لا يسمح لنا باتخاذ المقياس العددي أو الاقتصادي كشروط كفيلة لتحديد مفهوم المدينة، كما لا يحق النظر إلى المدينة من وجهة نظر جزئية، وقد حدد فيبر M. Weber مفهوم المدينة بمقوميين:²

المقوم الأول: وجود مركز سلطوي، خصوصا مقر إمارة، بمثابة فجوة أو بؤرة

المقوم الثاني: وجود مركز دائم لتبادل السلع، أي وجود سوق على المدينة

وتأخذ المدينة عند فيبر صورة من عدة زوايا ويبني لها المفكر مفهوم نموذجي تحليلي خاص، فالمدينة حسب رأيه كيان اقتصادي، سياسي، إداري وقانوني؛ تعدّ تجمع سكاني تجاري، الذي يستدعي توفر الأمن التجاري والعسكري، يتحدد بنمط معين من التنظيم الإداري والقانوني.

وبالموازاة لا تعوزنا التفاصيل عن استكمال الإطار الحقيقي للمدينة باللجوء إلى عملية التهيئة العمرانية للمجال الحضري، مما يطرح مسألة التصور والتخطيط؛ حيث يرى برجل E. Burgel المدينة مصطلحا مجردا، ويعتبرها "تجمعا فيزيقيا متألف من الشواهد الحضرية كالشوارع المنسقة، الطرق المعبدة والمنازل المشيدة، ومراكز التجارة وأماكن العبادة"³، وفي

1 LEDRUT. R., sociologie urbaine, op. cit, P. 17.

2 طبارة رجاء مكى، مقاربة نفس - اجتماعية للمجال السكني (دراسة ميدانية)، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1995، ص. 60.

3 قباري محمد اسماعيل، علم الاجتماع الحضري ومشكلات التجهيز والتغيير والتنمية، الاسكندرية، منشأة المعارف الاسكندرية، 1986، ص. 184.

سياق التفكير يرها قرافمير Y. Grafmeyer وصديقه جوزيف I. Joseph رقعة جغرافية وسكان، فهي في الواقع: "إطار مادي ووحدة حياة اجتماعية وتجسيد لأشياء مادية وروابط من العلاقات الاجتماعية بين الأفراد"¹، وفي نفس الإطار يعتبرها شومبار دولو P.H. Chombart de lauwe "إطار مادي وتركيبية اجتماعية وثقافية"². وضمن هذا المنطق علينا تحديد النموذج الاجتماعي والثقافي الذي تتميز به المدينة.

إن دراسة المعايير الثقافية دلالة موضوعية تعطي للمدينة هويتها وطابعا الخاص، وقد أشار روبرت بارك R. Park أن المدينة "مكان إقامة طبيعي للإنسان المتمدن، ولهذا فهي تعتبر منطقة ثقافية تتميز بنمطها الثقافي المتميز"³، فالمدينة حسبه ليست "مجرد تجمعات من الناس مع ما يجعل حياتهم فيها ممكنا مثل الشوارع والمباني والكهرباء ووسائل المواصلات، كما أنها ليست مجرد مجموعة من النظم والإدارات مثل المحاكم والمستشفيات والمدارس والشرطة والخدمات المدنية من أي نوع، فالمدينة فوق هذا كله اتجاه عقلي ومجموعة من العادات والتقاليد إلى جانب تلك الاتجاهات المنظمة والعواطف المتأصلة في هذه العادات والتي تنتقل عن طريق هذه التقاليد"⁴. فقد أكد هذا المفكر على البعد الثقافي لصورة المجتمع وسلوك أفراد، ويؤكد هذه الرؤية دوفينيو J. Duvignaud عندما اعتبر المدينة "مؤسسة (Matrice) تمثل تجمع لأفراد يحملون ثقافات مختلفة، وبالتالي يحصل ذلك التقارب في العادات والتقاليد المختلفة للسكان"⁵، وبذلك تتعدد الأنماط الثقافية التي تعزز الفروق الفردية وتتعداها إلى مستويات السلوك، واللاتجانس بين الأفراد، التخصص وتقسيم العمل. ويؤدي ذلك التقارب بين الأفراد إلى نمو القيم والمعايير لديهم، إضافة إلى بروز ممارسات جديدة.

1 GRAFMEYER Y.- JOSEPH.I (présentation), op. cit, P. 9.

2 CHOMBART DE LAUWE P.H, op. cit, P. 35.

3 غيث محمد عاطف، مرجع سابق، ص. 130.

4 الخواجة محمد ياسر، مرجع سابق، ص. 80.

5 DUVIGNAUD J., La solidarité, Fayard, Paris, 1986, P. 55.

وعلى غرار ما سبق، فإن الحدود بين المدينة والريف في مجتمعنا أضحت غير واضحة بشكل دقيق، تقتضي إعادة تعريفها من جديد؛ حيث أقر حجيج¹ أن مدننا تعيش أزمة هوية عميقة، فهي تعتبر اليوم الفضاء المميز الذي تدور فيه الصراعات الاجتماعية والمجال الذي تتمسرح فيه مظاهر الإقصاء والتهميش.

لقد خلق انتقال القيم الريفية إلى المدينة جراء الهجرة وعمليات التحضر السريعة اللاتجانس في المنظومة القيمية والمعارية الحضرية، وأعاق كل عمليات الاندماج الحضري حسب تعبير إشبودن العربي²، ومما ساعد على ذلك تدخل عوامل عدة كالتهميش، والإقصاء، والفقر، والبطالة وغيرها. وأصبحت المدينة تظهر في شكل متقطع مجالياً. وعلى محك هذه المعطيات أصبح من الصعب تحديد مفهوم المدينة citadinité في ظل اعتماد سكان المدينة على مرجعيات وخلفيات متناقضة ومتعددة، وهنا أشار رشيد حمدوش أن المدينة "مجال تمتزج فيه التصورات المتنوعة والمتضاربة وكذا المفارقات ومجال تتلاقى فيه وتتواجد أشكال لأنظمة فكرية وتفكيرية أشمل وأوسع (...). أين تتداخل فيه الاستراتيجيات الاجتماعية المختلفة للأفراد"³، فتختلف ممارسات الأفراد من أجل التكيف مع فضاء المدينة، وأخذ لقب المدني، والذي يبقى مفهوم نسبي، فقد طرح رشيد سيدي بومدين أنه من المستحيل أن نعتمد على معايير ومرجعيات معينة لبناء مفهوم المدني⁴ والذي يبقى يختلف حسب خصوصية كل مجتمع وأفراده.

1 Cf. HADJIDJ. D, « Ville et société en Algérie: Ou est donc passé le sociologue ? ». In **Sociologie et société en Algérie**. Actes de Colloque national de Sociologie des 4,5 et 6 mai 2002 ORAN, CASBAH, Alger, 2004, P. P. 87-95

2 Cf. ICHEBOUDENE L., « l'intégration citadine : à propos de la difficulté d'être algérois », In : ouvrage collectif, **la ville dans tous ses états**, CASBAH, Alger, 1998, P. P. 5- 23

3 حمدوش رشيد، مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر: امتدادية أم قطيعة؟ (دراسة ميدانية لمدينة الجزائر نموذجاً)، مرجع

سابق، ص. ص. 69-70.

4 Cf. SIDI BOUMEDINE R., « la citadinité : une notion impossible ? ». In : ouvrage collectif, **La ville dans tous ses états**, CASBAH. Alger, 1998, P. P. 25-38

2. تصنيف المدن

إن المدينة لا تعدو أن تكون ظاهرة اجتماعية، وتعبيراً عن الممارسات الجمعية للسكان الذين يعيشون ويعملون معاً، فهي أكثر من مجرد جزء من أجزاء المجتمع، إذ تمثل حقيقة اجتماعية. ويأخذ في تصنيف المدن معايير كثيرة ومختلفة، فمن العلماء من يصنف المدن على أساس عدد السكان: مدن ذات كثافة سكانية عالية، وأخرى متوسطة، والثالثة ذات كثافة سكانية منخفضة؛ أو على أساس الأعمال التي تؤديها: فهناك مدن صناعية، وتجارية، وسياسية، وثقافية، وصحية وترويحية، ومدن متعددة الأغراض؛ أو تصنف من حيث درجة تقدمها، أو المهن الغالبة فيها وغيرها من التصنيفات. عموماً يمكن تصنيف المدن إلى ثلاث نماذج، وهي:

- مجتمع المدينة البلدة Town

وهي تجمع حضري يعم منطقة ريفية كبيرة الحجم ذات أبعاد محددة، وترتبط بالقرى المجاورة ارتباطاً وظيفياً وترتكز في هذا التجمع مراكز خدمات هذه القرى، وهو يتوفر على عدة خدمات ترفيهية وفنادق ومطاعم ودور عبادة وغيرها من المؤسسات التجارية والسياسية. مدينة البلدة "تمثل قاعدة الريف وتعبر عن نسق معقد من العلاقات الاجتماعية بين القرى الريفية والمناطق المتحضرة. وينتج هذا النموذج عن امتزاج أهالي القرى وأهالي المدينة في قضاء أعمالهم ولذلك فهناك قدراً من التجانس تتميز به المدينة البلدة"¹

- المدينة الحضرية City

تعتبر تجمعاً حضرياً يتكون من جماعات ريفية وأخرى حضرية وتتعدد فيها الاختلافات بين المدينة البلدة والقرية. "فالمدينة الحضرية تمثل نسقاً من البناء

1 عباس إبراهيم محمد، مرجع سابق، ص. 34.

الاجتماعي ويزداد هذا البناء تعقيدا كلما نما حجم المجتمع وزادت كثافته وتعددت الوظائف والمهن"¹

- المدينة العاصمة (الميتروبوليس) Metropolis

في هذا الشكل أو النموذج "تتضح ظواهر التباين والتخصص وتعدد الأدوار في أقصى درجاتها"²

وتصنف المدن في الجزائر حسب قانون رقم 20-2001 الصادر في 12/12/2001 الخاص بالتهيئة والتنمية المستدامة للإقليم، وحسب قانون رقم 06-2006 الصادر في 20/02/2006 المتضمن تصنيف المدن إلى مدينة العاصمة (Métropole) ومدينة كبيرة (Grande ville)، ومدينة متوسطة (Ville moyenne)، ومدينة صغيرة (Petite ville)، وتجمع حضري (Agglomération urbain)، كما يشرحها الجدول الموالي:

الجدول رقم (03): أنواع المدن حسب قانوني 20-2001 و 06-2006³

القانون	الفترة	مفهومها
2001-20	مدينة العاصمة Métropole	وحد حضرية تتكون على الأقل من 300 000 ساكن، ولها وظائف جهوية ووطنية، ودولية.
	مدينة كبيرة Grande ville	وحدة حضرية تتكون على الأقل من 100 000 ساكن.
2006-06	مدينة متوسطة Ville moyenne	وحدة حضرية، يتراوح عدد السكان فيها ما بين 50 000 و 100 000 ساكن.
	مدينة صغيرة Petite ville	وحدة حضرية، يتراوح عدد السكان فيها ما بين 20 000 و 50 000 ساكن.
	تجمع حضرية Agglomération urbain	مجال حضري يحوي على الأقل 5000 ساكن.

1 نفس المرجع، ص. 35.

2 نفسه، ص. 35.

3 Armature Urbaine (Résultats issus de l'exploitation exhaustive), op.cit, P. 33.

يتضح من خلال هذا التصنيف الاعتماد بالدرجة الأولى على المعيار العددي، وباعتبار أرزيو تجمع حضري يتكون من 58 162 نسمة حسب إحصائيات 2008¹ فهي مدينة حضرية متوسطة.

II. مدينة أرزيو: مقارنة وصفية

إنّ مدينة أرزيو مجال حضري خصب يثير شهية تخصصات عدة، ودراستها تأخذ أبعادا مجالية، اجتماعية، ثقافية واقتصادية.

1. الخصائص الجغرافية والتاريخية لمدينة أرزيو

نطرح هذه الخصائص من حيث التسمية، والموقع والمناخ، وكذا نحاول البحث في التطور التاريخي للمدينة.

1.1. التسمية

عرفت مدينة أرزيو عدة تسميات، فعند تصفحنا للنصوص العربية* وهي تسرد خصائص مدينة أرزيو ومميزاتها، نجد تسمية "أرزوا" Arzaw أو "أرزوا" Arzawa

1 Recensement Général de la population et de l'habitat 2008, Données statistiques, N° 527/31, O.N.S, Alger, P 2.

* -البكري: "مدينة أرزوا وهي مدينة رومية خالية فيها آثار عظيمة للأول باقية يحار من دخل فيها لكثرة عجائبها، ويقرب مدينة أرزوا جبل كبير فيه قلاع ثلاث مسورة رباط يقصد إليه و في هذا الجبل معدن للحديد وللزئبق و إذا أرسلت النار في شجرة تفاحت منه روائح عطرة، و بين مدينة أرزوا هذه و وهران أربعون ميلا "

-الإدريسي: "فمن ذلك أن وهران من هذا الجزء على ضفة البحر الملح .و منها إلى طرف مشانة روسية خمسة و عشرون ميلا .وعلى التقوير اثنان و ثلاثون ميلا .و من طرف مشانة إلى مرسى أرزوا ثمانية عشرة ميلا .وهي قرية كبيرة تجلب إليها الحنطة. فيسير بها التجار يحملونها إلى كثير من البلاد"

-كتاب الإستبصار: قلعة هواره : و هي قلعة منيعة في جبل خصيب فيه بساتين و ثمار و أشجار و مزارع، و أعناب، و تحتها فحص طوله نحو 07ميلا يشقه نهر سيرات و يسقى أكثر أرضه، و يسمى ذلك الفحص سيرات بأسم النهر .و نهر سيرات نهر كبير مشهور يقع في البحر عند مدينة أرزوا، و هي مدينة قديمة رومية .وفحص سيرات يسكنه قبائل كثيرة من البربر، و مظغرة وغيرهم من قبائل زناتة"

-عبد المنعم الحميري: "أرزوا مدينة فحص سيرات، بينها وبين وهران أربعون ميلا، و هي في جبل فيه قلاع ثلاث مسورة و رباط يقصد إليه، و في هذا الجبل معدن الحديد و الزئبق و إذا أرسلت في شجرة منه النار فاحت منها رائحة طيبة". من:

MOUKRAEWTA ABED B., L'image de l'Algérie antique au travers des sources arabes du moyen âge, Volume 1, Alger, 2013, Pp. 202- 205

ماعدا كتاب الاستبصار الذي استخدم تسمية "أزواوا" Azwawa. أي أن اسم أرزيو Arzew "مستمد من اسم أمازيغي بمعنى "أرزوي" وهو "الطمى" بالعربية، أما المفهوم الثاني مستمد من إسم عربي ويعني "أرزي" راجع إلى موقع المدينة بالقرب من "شناخ" كما يلقب كذلك "بالقمة الحادة"¹

كما نعتت أيضا المدينة مجال الدراسة ب (Grand port) Portus Magnus- أنظر الشكل الموالي-، إذن لقتب بالمرسى الكبير لموقعها بالقرب منه وارتباط الحركة الاقتصادية بها أشد ارتباطا حتى أضحت بمثابة محطة للمبادلات التجارية.

الشكل رقم (03): شعار مدينة أرزيو



2.1. الموقع والمناخ

تتواجد مدينة أرزيو على مساحة قدرها 7137.5 كلم² تمتد على مسافة 42 كلم من الشمال الشرقي لولاية وهران وعلى مسافة 47 كلم في غرب ولاية مستغانم، يجدها من الجهة الشمالية الشرقية البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب بلدية عين البية وبلدية حاسي مفسوخ ومن الغرب بلدية سيدي بن يقى². وتقع على الطريق الوطني رقم "11" الرابط بين بلدية "قديل" و"مرسى الحجاج". تحوي على ثلاث تجمعات ثانوية وهي: المحقن، العقيد عثمان (كاب كاربون) وعين الغزال (فونتان دي قازال).

1 VILLOT R., ARZEU (Des origines a nos jours), 3eme édition, Ed. Peretti-Arzu, Oran, Algérie, 1975, P. 18.

² أنظر الخريطة رقم 01 في قائمة الملاحق

يتواجد التجمع الثانوي "المحقن" في غرب التجمع المركزي للبلدية (chef lieu)، ويحوي حي "قورين" الذي يقع شمال المحقن، أما التجمعين الآخرين العقيد عثمان وعين الغزال فيقعان في القسم الشمالي للتجمع المركزي للبلدية (chef lieu)، والمطلان على البحر الأبيض المتوسط.

تشكل مدينة أرزيو مجموعة من التضاريس، فموقع المدينة الساحلي يعطيها ميزة اكتساب تربة خصبة، وامتلاك تنوع طبيعي لا بأس به، يمكن تقسيمه إلى:

- المرتفعات: المكونة من جبل سيدي موسى، كما تحوي هذه المرتفعات تلال أهم ما يميزها الغطاء النباتي الكثيف المتمثل في الأشجار الغابية.

- السهول: المتمثلة خاصة في سهل المحقن، الذي يعتبر من الأراضي الغنية والصالحة للزراعة.

- الساحل: يتمثل ساحل البلدية في بعض الشواطئ والتموضعات البترولية للشركة الوطنية للمحروقات.

أما عن مناخ مدينة أرزيو، فهو ينتمي إلى مناخ البحر المتوسط الشبه الجاف الذي يسود المنطقة الوهرانية حيث تمتاز بفصلين متباينين، فصل ممطر ودافئ يمتد من شهر جانفي إلى شهر مارس، وتكون الحرارة فيه منخفضة والتساقط معتبر، وفصل حار جاف يمتاز بارتفاع درجات الحرارة وانخفاض كمية التساقط، يمتد من شهر أفريل إلى شهر ديسمبر.

وتعتبر الرياح السائدة في المدينة مجال الدراسة كثيرة الاتجاهات، تهب كثيرا في فصل الشتاء وتبلغ سرعتها تقريبا 70 كلم/ ساعة كما تجد رياح السروكو، وهي رياح قادمة من الجنوب، تؤثر في تجفيف المناخ باعتبارها ساخنة¹

1 مكتب التوجيه التهيئة العمرانية لبلدية أرزيو

3.1. النشأة والتطور العمراني

بحكم الموقع الاستراتيجي لمدينة أرزيو المطل على البحر الأبيض المتوسط جعل المدينة مطمع الكثير من المستعمرين عبر مختلف الفترات التاريخية كالفينيين، القرطاجيين، الرومان، العثمانيين، الإسبان.... وكل هذه المراحل التاريخية أثرت في تكوين المنطقة¹. ويمكن تقسيم تطور مدينة أرزيو إلى ثلاث مراحل، وهي:

1.3.1. أرزيو قبل 1830

المدينة سجل حافظ لتاريخ سكانها، ومرآة تعكس خصائصهم ونشاطهم وثقافتهم وتراثهم وحضارتهم، فمدينة أرزيو بنية جغرافية واجتماعية واقتصادية وديموغرافية متميزة منذ آلاف القرون. وبنيتها الحضارية والأثرية شاهد على عراقتها، فهي لازالت تحتفظ بآثار فينيقية (منها مقبرة وشواهد قبور ومعمل لتصبير السمك)، ومازال متحف وهران يحتفظ ببعض البقايا الأثرية من الفسيفساء عثر عليها في أرزيو والتي تعود للعصر الروماني، فكما وورد في النصوص العربية سالفه الذكر تعود نشأة مدينة أرزيو إلى العصر القديم، فهي مدينة رومانية، وأكد مارمول كرىخال ذلك أيضا وصرح على أنها "بناء روماني"² لكن من المؤسف على أن جل الدراسات التي تتحدث عن المدينة لا تخوض في تفاصيل عن العصر الإسلامي نظرا لقلّة المادة المصدرية التي أحجمت عن ذكر المدينة، ومن النادر أننا عثرنا على وجودها في العهد الزياني وأطلق عليها اسم "بني زيان". ونظرا لمكانتها الإستراتيجية تعرضت إلى الأطماع الاسبانية، واحتلها القائد "الكونت لكوديت" في أوت 1558م.

1 Cf. Cabinet d'Architecture et d'Ingénierie, Plan directeur d'aménagement et d'urbanisme commune d'Arzew (3eme phase aménagement et règlement), C.A.J, Arzew, Octobre, 1996.

2 كرىخال مارمول، افريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج2، مطابع المعارف الجديد، المغرب، 1989، ص. 349.

2.3.1. أرزيو ما بين 1830 و1962

في ظل موجة الاستعمار الأوربي لإفريقيا تعرضت "مدينة أرزيو إلى الاستعمار الفرنسي في 4 جويلية 1833م، حيث شيد ميناءها وأطلق عليها اسم المرسى "Marsa" في 20 فبراير 1834م، وعدل اسمها باسم أرزيو "Arzeu" بمرسوم ملكي في 31 ديسمبر 1856م¹.

شهدت المدينة في فترة الاحتلال الفرنسي تدرجا اجتماعيا تعكس الاختلافات العديدة بين المباني، مازالت مظاهره موجودة لحد الآن، أحياء راقية مخصصة للمستعمرين الفرنسيين، وأحياء بسيطة سكنها الأهالي الجزائريين. وتميزت هذه الفترة ب:²

- تسطير مخطط المدينة الجديدة لأرزيو عام 1934، شمل بناء ميناء متطور لخلق حركة اقتصادية نشيطة نتج عنها بناء مساكن لعمال الميناء عام 1838 بمركز المدينة (Centre ville)

- بناء طرق والساحات في مركز المدينة سنة 1846.

- إنجاز ورشة لتصدير "الحلفاء" بحج تورفيل سنة 1864

- وفي عام 1907 عرف تمركز المستوطنون الفرنسيون في أرزيو، وازداد توافدهم على المنطقة ما بين عامي 1914-1918، وظهر هذا التمركز في مركز المدينة، وحي الحدائق الذي كان خاليا من البنايات ليعرف تطورا واسعا وسريعا منذ عام 1920. وتم بهذا تقسيم المدينة إلى مجالين الأول راقى يضم مباني فخمة خاص بالطبقة الراقية يسكنه المعمرين الفرنسيين والمجال الثاني المتكون من أحياء (القيطنة، المعز، جزء من حي تورفيل) خاص بسكان الطبقة الفقيرة والمتوسطة التي تعتمد في نشاطها على الزراعة والصيد.

1 VILLOT R.,op.cit, P. 17.

2 Cf. CAMPOS G., Les palmiers d'Arzew (Mémoires d'Outre-Méditerranée 1849-1962), Ed. TAC Motifs, 1989.

3.3.1. أرزيو بعد 1962

اقتصرت دور أرزيو بعد الاستقلال على الصيد البحري وتصدير الحلفاء والملح عبر مينائها، وهذا إلى غاية برمجتها كقطب للمحروقات في 27 سبتمبر 1964م. مما أحدث تغيرات ديمغرافية رافقتها قضية الهجرة إلى المدينة قصد الحصول على عمل، ويبدو أن هذه الظاهرة شكلت عائقا على الصعيد الجغرافي وضغطا على الحظيرة العمرانية، التي أصبحت غير قادرة على استيعاب المزيد من المهاجرين إليها، وتسبب هذا الوضع في ظهور أحياء موازية وبنيات فوضوية وقصدية على طول الخط الرابط بين وهران- أرزيو- مستغانم لعمال المنطقة الصناعية، الأمر الذي دفع إلى ضرورة إنجاز سكنات.

واقضت الحاجة الملحة الاعتماد على الأساليب العلمية في التخطيط لكل أوجه الحياة، اقتصادا واجتماعا وحضارة، ويأتي التخطيط للسكن والعمران واحدا من أهم اهتمامات الدولة خاصة في نهاية السبعينات إلى غاية نهاية الثمانينات، وذلك بإنجاز مساكن اجتماعية ضمن مشروع المجمعات السكنية الحضرية الجديدة (Zone d'habitat Urbain Nouvelle) Z.H.U.N من طرف وزارة البناء، كضرورة حتمية للحد من الضغط على الحظيرة العمرانية وكحل للقضاء على السكنات الفوضوية التي انتشرت بالمدينة. هذا ما أدى إلى توسع مدينة أرزيو من الجهة الغربية. هذه المساكن التي تم إنشائها مع "بداية انطلاق المخطط الرباعي الثاني (74-77) في إطار سياسة الدولة وخياراتها الاقتصادية والاجتماعية الهادفة إلى التطوير الاقتصادي والاجتماعي، والقضاء على الفوارق الجهوية، إضافة إلى رغبتها في التحكم وتوجيه النمو الحضري لمواجهة الضغط الديمغرافي المتولد عن النمو الاقتصادي"¹

1 لعروق محمد الهادي، "التوسع الحضري وإنتاج المدينة في الجزائر (حالة مناطق السكن الحضري الجديد)"، حوليات: وحدة البحث إفريقيا والعالم العربي، جامعة متوري قسنطينة، مجلد 3، 1999، ص. 11.

إذن قرار هذه المجمعات السكنية جاء كاستجابة لتزايد الحاجات السكنية من السكن، وهي أداة تقنية وتطبيقية لتخطيط المجال الحضري كما يجب أن تستجيب لعمل مشترك بين كل الفاعلين في حقل التعمير والسكن والبناء. فجاءت هذه الأداة عبر التعليمية الوزارية رقم 355 بتاريخ 19 فبراير 1975م المحددة لإجراءات إنشاء المناطق الحضرية. تنشئ اختياريا إذا كان المشروع السكني موجه لإستعاب 400 مسكن، وإجباريا إذا كان المشروع مخصص ل1000 وحدة سكنية فما فوق، وهو ما جعل العديد من المدن الصغيرة والمتوسطة تستفيد من هذه العملية. وقد قدر "عدد الوحدات المنجزة في إطار هذه العملية إلى غاية 1990 مليون سكن جماعي"¹. أما بمدينة أرزيو تم إنجاز التجمعات السكنية الحضرية الجديدة Z.H.U.N التالية: بن بولعيد، الأمير عبد القادر (حي الهضاب)، خليفة بن محمود، زبانه.

مرحلة التسعينات عرفت أيضا أداة ثانية من أجل توفير السكن، تسمى بالتحصيلات Lotissement، وتهدف هذه الأداة إلى توفير السكن الحضري الفردي المنظم والمنسجم مع النسيج العمراني والمدمج في إطار المخططات التوجيهية؛ حيث تقوم البلدية عبر وكالتها العقارية في إطار دراسة مسبقة بتهيئة المجال وتوفير الهياكل القاعدية من كهرباء وغاز وقنوات الصرف الصحي وغيرها. على أن يتولى المستفيد شراء قطعة الأرض في إطار دفتر الشروط ورخصة بناء مسلمة من قبل مديرية التعمير، يحدد فيها المظهر الخارجي للسكن وارتفاعه ومعامل إستخدام الأرض (COS) ومعامل الإستيلاء (CES) ومدة الإنجاز واستخدام المشروع... الخ وتقدر بعض الإحصاءات "إنجاز ما يقارب 1.5 مليون وحدة سكنية ما بين 1966 و1999"². كما استفادت أرزيو من هذه التحصيلات بالأحياء السكنية التالية: بن بولعيد، محمد فرطاس، الأمير عبد القادر، خليفة بن محمود، زبانه³.

1 تيجاني بشير، التحضر والتهيئة الحضرية في الجزائر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000، ص. 71.

2 نفس المرجع، ص. 73.

3 أنظر أحياء مدينة أرزيو في الخريطة رقم 02 في قائمة الملاحق.

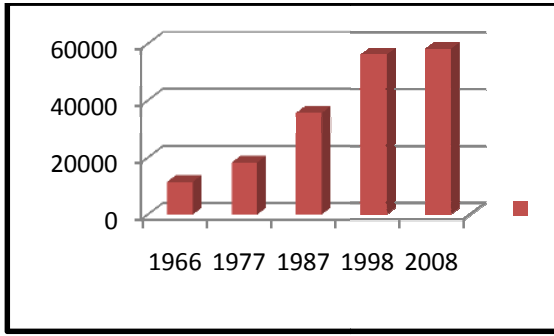
2. الخصائص الديمغرافية لمدينة أرزيو

نقصد بها التطور السكاني وتصنيف للجماعات السكانية التي تسكن مدينة أرزيو.

1.2. التطور السكاني للمدينة

عرفت مدينة أرزيو توسعا ملحوظا، فقد كان عدد سكانها يقدر ب 11483 نسمة عام 1966م، ليرتفع العدد إلى 18357 نسمة عام 1977م وفي عام 1987م سجل عدد السكان بالمدينة 35784 نسمة، و قدر عامي 1998م و 2008م ب 56241 نسمة و 58162 نسمة على التوالي (أنظر الجدول رقم 04)

جدول رقم (04): تعداد سكان مدينة أرزيو حسب السنوات



السنوات	عدد السكان (نسمة)
1966	¹ 11483
1977	² 18357
1987	³ 35784
1998	⁴ 56241
2008	⁵ 58162

هذا التزايد الهائل لعدد السكان تضاعف بشكل كبير نتيجة تحول المدينة إلى قطب صناعي هام، استقطب بطبيعة الحال نسبة هامة من اليد العاملة استقرت بحكم ممارستها للعمل في المدينة، فقد دفع هذا الوضع إلى زيادة الحركية السكانية لهذه المنطقة قصد تحقيق سبل العيش وتحسين الظروف المادية بفعل التطور الحاصل في

1 Evolution des Agglomérations 1966- 1977- 1987, Collection Statistiques, O.N.S, Alger, Juin 1992, P. 149

2 Ibid., P. 149

3 Ibid., P. 149

4 Recensement Général de la population et de l'habitat 1998, Collection Statistiques, N°86, O.N.S, Alger, P. 68

5 Recensement Général de la population et de l'habitat 2008, Données statistiques, op. cit, P. 2.

الميدان الصناعي للمدينة، فقد ظهرت فئات اجتماعية جديدة نشط بها العمران إلى درجة اتساع المدينة خارج حدودها.

وجراء الانجازات العمرانية السكنية الاجتماعية الذي يدخل ضمن مشروع المجمعات السكنية الحضرية الجديدة Z.H.U.N وإلى توزيع التخصيصات للاستفادة من السكن الحضري الفردي كما ذكرنا أنفا، زاد من توافد الجماعات السكنية على المنطقة، وتغير بذلك المشهد الاجتماعي والحضري للمدينة ما أثر بشكل كبير على تطور الحظيرة السكنية بأرزيو. هذا التطور السكاني ما زالت تشهده المدينة إلى حد اليوم.

ويختلف تركز السكان من تجمع سكاني إلى آخر، ويمكن تقسيم مدينة أرزيو إلى ثلاثة المناطق حسب الكثافة السكانية، وهي:

- مناطق ذات كثافة عالية: تمثل المناطق ذات السكنات الحضرية الحديثة Z.H.U.N ذات النمط الجماعي (عمارات)، حديثة النشأة. وهي حي خليفة بن محمود، حي زبانه وحي الأمير عبد القادر (مجال الدراسة)، الذي يحتل المركز الثاني من حيث الكثافة السكانية، يصل عدد سكانه إلى 16 943 نسمة حسب إحصائيات 2008¹

- مناطق ذات كثافة متوسطة: تتمثل في حي الحدائق (وهو حي راقى يتميز بوجود فيلات)، بن بولعيد، وسط المدينة وحي محمد فرطاس.

- مناطق ذات كثافة منخفضة: تشمل حي القيطنة وحي المعز وهما عبارة عن أحياء هامشية.

1 المكتب الإحصائي لبلدية أرزيو

2.2. المجموعات السكانية الاجتماعية

إن النزوح المتواصل والاستيطان غير المرشد أورث أرزيو بيئة حضرية متنوعة وكتلا عمرانية متباعدة وبنية حضرية مفككة وغير متناسقة، وذلك ناتج عن تداخل الجماعات الوافدة إلى المدينة عبر التاريخ؛ فقد عرفت منطقة أرزيو بحكم موقعها الساحلي حركية مميزة للمجموعات الاجتماعية ذات انتماءات مختلفة من أجل اكتساب وتملك المجال، ومن خلال الدراسات الميدانية وشهادة سكانها، واستجوابنا لرئيس بلدية سابق، الذي صرح بأن المدينة تحوي على ثلاث مجموعات اجتماعية وهي:

- القيطيون: تطلق هذه التسمية على السكان الأصليين المكونين للمجتمع المحلي لمدينة أرزيو، وتتكون هذه المجموعة من أربع عائلات معروفة محليا وهي: عائلة مرابط (أصلها سيدي بلعباس)، عائلي بن عشر وترباق (أصلها مستغانم وتربطهما علاقة نسب قديمة)، أما العائلة الرابعة هي عائلة دوار. هذه العائلات الأربع هم أولاد القيطنة ويسمون محليا بأولاد البلاد.

- البطويون: نسبة إلى بطيو، ينتمي سكانها إلى قبائل وافدة من المغرب الأقصى، وينقسم سكانها إلى أربعة قبائل وهي: المدابرة، القرابة، بن ملوكة وقهواجي. ورغم أن هذه العائلات من بين الذين جاؤوا إلى منطقة أرزيو إلا أن ممارساتهم اليومية ولهجتهم تختلف عن لهجة السكان الأصليين لمدينة أرزيو.

- الدخلاء على المدينة: هذه المجموعة تتكون من أشخاص ذو أصول مختلفة، فمن خلال الأزمة التي عرفتها الجزائر في التسعينات عرفت البلدية هجرات سكانية كان من طرف المجموعات المحلية (الدواوير المجاورة كدوار العيايدة، الشهايرية...)، ثم بعد ذلك سكان الأحياء الهشة والقصديرة لمدينة وهران (سيدي الهواري، بلونتار وراس العين)، وفئات أخرى قادمة من تيزي وزو، تلمسان، مستغانم، معسكر، مشرية...). تسكن هذه الفئة الاجتماعية في

أغلبها الأحياء السكنية الحضرية الجديدة Z.H.U.N ، وبالسكنات الفردية المعروفة بالتحصيصات.

3. التجهيزات بمدينة أرزيو

تشغل التجهيزات جزء من المجال ولها أهمية كبيرة في الحياة اليومية للسكان، لما تؤديه من وظائف وخدمات تلبى رغباتهم ومتطلباتهم، وتعتبر التجهيزات بكل أنواعها الشريان الذي يعطي ديناميكية واسعة لأي تجمع عمراني. وتضم مدينة أرزيو عدة هياكل تعليمية، صحية، إدارية، أمنية، رياضية وتجارية، يمكن تقسيمها إلى صنفين: تجهيزات تجارية وغير تجارية.

1.3. التجهيزات التجارية

قصد تحقيق البناء الاقتصادي لتلبية الرغبات الاجتماعية ظهرت الحاجة الملحة إلى التجهيزات التجارية والخدماتية كضرورة حتمية غير قابلة للزوال وتتمثل في:

- النشاط التجاري: تحتوي المدينة على ستة أسواق مغطاة دائمة للخضر والفواكه، تتوزع على معظم الأحياء السكنية، وسوق أسبوعي بحى خليفة بن محمود يتموضع على قطعة أرض غير مسيجة، يقام كل يوم سبت، يحوي على جميع مستلزمات السكان من خضر وفواكه، لحوم حمراء وبيضاء، مواد غذائية مختلفة، ألبسة وأحذية الجديدة منها والمستعملة، مواد للتجميل والنظافة، أواني على اختلافها، باختصار يحوي السوق على كل شيء، يتردد عليه سكان القرى المجاورة لمدينة أرزيو، ويتعاطون البيع والشراء في المتوجات والسلع، فالسوق يعتبر من العوامل المهمة والحساسة لإنعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمدينة. وتحتل تجارة المواد الغذائية المرتبة الأولى في تجارة التجزئة.

- الخدمات: توفر مدينة أرزيو بمحلاتها خدمات كثيرة، أولها محلات الأكل الخفيف، ثم المقاهي ومحلات متعددة الخدمات، إضافة إلى محلات الحرف (حدادة، تلحيم،...)، زد على

ذلك وجود ثلاثة فنادق فخمة، ومجموعة من المراقد، باعتبار أن مدينة أرزيو منطقة سياحية ، تستقطب الأجانب في مركبها الصناعي.

2.3. التجهيزات غير التجارية

يخضع التخطيط الحضري للمدينة إلى عدة اعتبارات تتعلق بالحاجات الأولية للسكان مما يعكس لنا طبيعة الفضاء المدني والاجتماعي والمشهد الحضري، ويمكن أن نجمل هذه التجهيزات غير التجارية في:

- التجهيزات الإدارية: إن للتجهيزات الإدارية دور فعال في تسيير وتنظيم شؤون المدينة، فيمكن اعتبارها المحرك الرئيسي لمختلف الديناميكية الحيوية الخاصة بالسكان، والتي تجعلهم يحسون بالاستقرار والشعور بالانتماء إلى المجتمع. وعليه تحتوي مدينة أرزيو على مقر للدائرة، مقر للبلدية، وكالة عقارية متواجدة بحي زبانه، مصلحة للكهرباء والغاز، مؤسسة توفير المياه وتوزيعها، مركز البريد والمواصلات، مصلحة الضمان الاجتماعي، مجموعة من البنوك وغيرها من الهياكل الإدارية الهامة.

- التجهيزات الأمنية: تعتبر هذه التجهيزات من بين الوسائل التي تعمل على راحة وأمن الأشخاص، إذ تتوفر المدينة على عدد لا بأس به من التجهيزات الأمنية، وهي: مقر للحماية المدنية، مقر للأمن ومركز للدرك الوطني يقومون على حماية الممتلكات العمومية والخاصة، سهرًا على راحة وأمن المواطنين. هذا بالإضافة إلى وجود محكمة بحي الحدائق.

- التجهيزات الصحية: تعد التجهيزات الصحية مؤشرا للتقدم والازدهار، إذ أن صحة المواطن شرط من الشروط الأساسية لإنجاح عملية التنمية الشاملة، وعليه تضم مدينة أرزيو أربعة مراكز علاجية الأول يتمركز في حي "مركز المدينة"، والثاني بحي القيطنة أما الآخرين فموجودين في حي زبانه وحي الأمير عبد القادر، كما يوجد عيادة متعددة الخدمات في حي

الحدائق تفتقر كلها للوسائل والأدوات العلاجية، هذا ما يلزم السكان للتنقل إلى مستشفى المحقن.

- التجهيزات التعليمية: لهذه التجهيزات أيضا أهمية بالغة، وعلى هذا الأساس تضم مدينة أرزيو 20 مدرسة ابتدائية، 4 حضانات، 10 متوسطات، 4 ثانويات و3 معاهد للإعلام الآلي.

- التجهيزات الثقافية: تتوزع على البلدية 3 مراكز ثقافية، المتواجدة بحي الحدائق وحي القيطنة وحي الأمير عبد القادر، على مستوى هذا الأخير توجد مكتبة بلدية. أما عن المساجد فتتوزع في جميع أنحاء المدينة.

- التجهيزات الرياضية: يوجد 5 ملاعب، اثنان لكرة القدم، اثنان لكرة اليد وملعب لكرة السلة، وثلاث قاعات خاصة اثنان للكراتي وأخرى للجيدو. إضافة إلى قاعتين متعددة الرياضات عمومية متواجدة بكل من مركز المدينة وحي الحدائق.

- المساحات الخضراء: تتواجد بعض مساحات للعب في الأحياء السكنية وحديقة كبيرة في حي مركز المدينة، إلى جانب حديقة عمومية بحي خليفة بن محمود. فإلى جانب نقص المساحات الخضراء وأماكن التزهة ومساحات اللعب بأرزيو، تعاني الموجودة منها من التدهور وعدم الاهتمام، بالإضافة إلى انعدام الأمن بها.

III. حي الهضاب مجتمع محلي

تضم المدينة العديد من المجتمعات المحلية، لما يطمعها من خصائص مورفولوجية واجتماعية خاصة، فتتعدد المناطق داخل المدينة بما فيها من أحياء ومناطق سكنية، وحي الهضاب مجتمع محلي يحمل خصوصية ويتميز بخصائص تميزه عن باقي الأحياء السكنية بمدينة أرزيو.

1. مفهوم المجتمع المحلي

إن مفهوم المجتمع المحلي نال اهتمام علماء الاجتماع والانثروبولوجية، وحظي بمعالجة مستفيضة لأهميته. ويعني عند روبرت ماكيفير R. Maciver: "وحدة اجتماعية تجمع بين أعضائها مجموعة من المصالح المشتركة، وتسود بينهم قيم عامة، وشعور بالانتماء، بالدرجة التي تمكنهم من المشاركة في الظروف الأساسية لحياة مشتركة"¹

كما يشير تشارلس بيچ C. Page إلى مسألة التفاعل والشعور بالانتماء، فيقول: "المجتمع المحلي هو أي جماعة صغيرة أو كبيرة يعيش أعضائها معا بطريقة يترتب عليها ممارسة ظروف حياة مشتركة"². ويبدو من خلال التعريفين معيار أساسي في تحديد مفهوم المجتمع المحلي وهو إمكانية العيش المشترك بين الأفراد الذين يحتلون رقعة جغرافية واحدة.

ويتناول هنط Hunt المجتمع المحلي على أنه "يتكون من الناس الذين يعيشون منطقة محلية، والذين تكون لهم نتيجة للمعيشة المشتركة مصالح معينة ومشاكل مشتركة"³، كما طرح بارسونز مفهوم للمجتمع المحلي واعتبره "تجمع الفاعلين في منطقة محددة، بصورة تتيح ظهور الأنشطة اليومية المشتركة"⁴، وفي هذان التعريفان تأكيد على الحياة المشتركة وعلى التفاعل بين سكان وأعضاء هذا المجتمع.

ويعرف تونيز F. Tönnies المجتمع المحلي Gemeinschaft - والذي وضعه على نقيض ما أسماه بالمجتمع Gesellschaft -⁵، على أنه ارتباط بشري قائم على الإرادة الطبيعية، وأن أهم ما يميز المجتمع المحلي سيادة الروابط الأولية بين أفرادها، وعلى ضرورة الاشتراك في القيم والعادات وغيرها من الخصائص الثقافية والاجتماعية، ومن مميزات هذا

1 السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري (الجزء الأول)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2007، ص. 33.

2 السمالوطي نبيل توفيق، المنهج الاسلامي في دراسة المجتمع، ط2، دار الشروق، جدة، العربية السعودية، 1985، ص. 242.

3 غيث محمد عاطف، مرجع سابق، ص. 71.

4 غيث محمد عاطف وآخرون، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2006، ص. 67.

⁵ وهو ما أشرنا إليه أيضا في الفصل السابق باسم الجماعتي والمجتمعاتي

النوع من المجتمعات أنه صغير، متجانس، مكتفى ذاتيا متفاعل داخليا ومتفاعل مع المجتمع الأكبر.

وذهب محمد ياسر الخواجة في تعريفه على أنه "وحدة كلية منظمة للحياة الاجتماعية لا تتميز نظام واحد بعينه، بل مجموعة منسقة ومتداخلة من النظم"¹، وهو كما عرفه بارسونز Parsons "تجمع الفاعلين في منطقة محددة، بصورة تتيح ظهور الأنشطة اليومية المشتركة"²، فداخل الحياة اليومية تقول كلودين شولي C. Chaulet يعني المحلي: "المكان الذي نعيش ونتعارف ويعرفنا فيه الآخريين، وهو بديها القرية وإقليمها، الدوار ومراعيه، الحى بنياتة وفضاءات التبادل والمواجهة"³، المجتمع المحلي يتعدى المعطى الجغرافي إلى العلاقات التبادلية المادية والرمزية.

وعليه يعتبر المجتمع المحلي وحدة نظامية يشبع الأفراد من خلالها حاجاتهم اليومية، فهو تجمع سكني، يشترك أعضائه في الشعور بالانتماء إلى وحدة اجتماعية، تحكمهم مجموعة من المصالح المشتركة، وتسود بينهم قيم عامة وشعور بالانتماء بالدرجة التي تمكنهم من المشاركة في الظروف الأساسية لحياة مشتركة، تنشأ بينهم بالضرورة روابط اجتماعية وهو مجتمع مكتفى ذاتيا. وبالتالي يمكن استخلاص خصائص المجتمع المحلي في النقاط التالية:

- الإقليم والمكان المحدد: حيث يتوحد المجتمع بالضرورة في مكان واحد وإقليم واحد، ويتحدد هذا الموقع من خلال ما يمارسه السكان من نشاطات.

1 الخواجة محمد ياسر، علم الاجتماع الحضري: بين الرؤية النظرية والتحليل الواقعي، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010، ص. 49.

2 دعيس يسرى، الحميات الاجتماعية والتنمية المتواصلة (رؤى وخبرات ميدانية في الانثروبولوجيا الايكولوجية، ط1، البيطاش سنتر للنشر والتوزيع، الاسكندرية، 2005، ص. 72.

3 CHAULET C., « Le local, l'origine et terme », In Insaniyat, N°16, CRASC, Oran, Janvier-Avril 2002, P. 15

- الاستقلال والاكتفاء الذاتي: المجتمع المحلي يتكون من أفراد مكتفين ذاتيا بفضل تكافل جهودهم وتكامل أدوارهم في إطار المصلحة العامة. أهم ما يميز المجتمع المحلي هو أن يستوعب حياة الفرد كلها بداخله وعلاقاته الاجتماعية وأوجه نشاطه.

ويشير الاكتفاء الذاتي بضرورة توفير عدد من التجهيزات والمؤسسات الضرورية في المجتمع المحلي كالمؤسسات التعليمية والدينية وغيرها. هذا لا يعني انعزالية هذا المجتمع بل القصد توفره على المطالب الأساسية للسكان.

- الوعي الذاتي: يقصد بها الاعتراف المتبادل بين الأفراد إلى جانب الشعور بالانتماء والتميز، هذا الوعي يترجم اتجاهات الأفراد كالاعتزاز والمباهاة بالمجتمع المحلي والولاء له والدفاع عنه. فالمجتمع المحلي المكان الذي يمنح سكانه خصائص الارتباط الاجتماعي، والمصلحة المشتركة.

- التفاعل الاجتماعي: تفاعل الأفراد في المجتمع المحلي بشكل مستمر وهذا لتحقيق المصالح المشتركة، ويحوي المجتمع المحلي مجموعة من المؤسسات التي تضمن تحقيق أهدافه.

- الثقافة: للمجتمع المحلي ثقافة فرعية في إطار الثقافة العامة؛ حيث ينجم عن التفاعل الاجتماعي مشاركة الأفراد في عدد من القيم والمعايير والمعتقدات والأهداف المشتركة وغيرها. فالمجتمع المحلي له تقاليد وعادات ينظم العلاقات فيه.

2. خصائص حي الهضاب

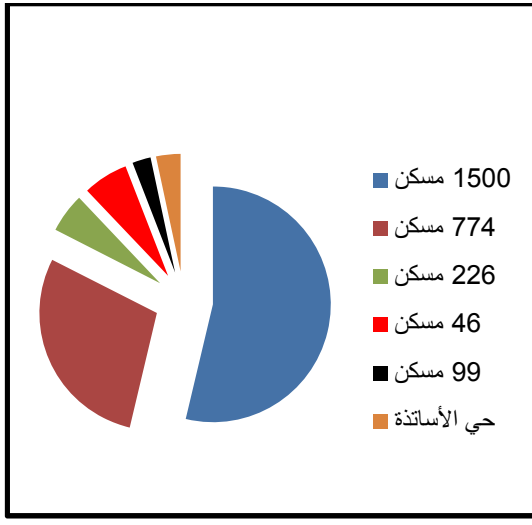
يعد حي الهضاب من السكنات الحضرية الجديدة، تسمى إداريا بحي الأمير عبد القادر يقع في الجهة الغربية، "يتربع على مساحة 78 هكتار"¹، يحده من الشمال المرتفعات الغابية ومقبرة المدينة، ومن الشرق: حي القيطنة وحي الحدائق، ومن جهة الجنوبية حي خليفة بن محمود، من الناحية الغربية يحدها حي قورين (تجمع ثانوي لمدينة أرزيو)².

1 Cabinet d'Architecture et d'Ingénierie, op. cit, P. 92.

² أنظر الخريطة رقم 03 في قائمة الملاحق

أنشأ حي الهضاب عام 1977م، وأسكن مع بداية عام 1982 عبر مراحل، ينقسم إلى عدة تجمعات سكانية، والتي تختلف في كثافتها السكانية، كما هو مبين في الجدول الموالي وانطلاقاً من إحصائيات 2008¹

الجدول رقم (05): توزيع سكان حي الهضاب حسب التجمعات السكانية التابعة له



النسبة المئوية %	عدد السكان	سنة إشغال المساكن	ات السكانية لحي الهضاب
53,75	9107	1982	1500 مسكن
28,73	4868	1983	774 مسكن
5,42	919	1984	226 مسكن
6,18	1047	1985	46 مسكن
2,53	429	1997	99 مسكن
3,38	573	1994	حي الأساتذة
100	16943		المجموع

انطلاقاً من معطيات الجدول رقم (05)، وما تطرحه الدائرة النسبية يتضح أن حي 1500 مسكن أكثر الأحياء كثافة سكانية والتي قدرت بنسبة 53,75%، ويليه حي 774 مسكن بنسبة 28,73%، لأنهما يتشكلان من عمارات عدد مساكنها كبير بالمقارنة مع الأحياء الأخرى التابعة لحي الهضاب، وفي المرتبة الثالثة والرابعة من حيث الكثافة حي 46 مسكن وحي 226 مسكن بنسبة 6,18% و5,42% على التوالي، واحتل كل من حي الأساتذة وحي 99 مسكن المرتبة الخامسة والسادسة على التوالي من حيث الكثافة السكانية بنسبة 3,38% و2,53% لكل منهما. والملفت للانتباه من خلال معطيات سالف الذكر أن

¹ مكتب الاحصائيات بلدية أرزيو

حي 46 مسكن وبالرغم من أن مساكنه قليلة بالمقارنة مع حي 226 وحي 99 مسكن فانه يعرف كثافة سكانية عالية.

وإن المجال المدروس في هذه الدراسة يقع في الجهة الغربية لحي الهضاب ينقسم إلى مجالين متقاربين متقابلين مجاليا¹، الأول يضم سكنات عمودية والثاني سكنات فردية.

- المجال الأول هو جزء من التجمع 1500 مسكن عبارة عن مجموعات إسمنتية متوسطة الارتفاع من أربعة إلى خمسة طوابق، تحوي سبع عمارات عدد المساكن في كل منها ثمانية أو عشرة، وتصل المساكن فيها إلى 62 مسكن. هذا المجال هو عبارة عن مجموعة أو سلسلة تحمل طابعا عمرانيا حضريا، معناه تحمل مميزات هندسية عصرية، ذات نمط واحد من حيث الشكل الخارجي، لكنه مختلف من حيث الهندسة الداخلية للوحدات السكنية فعدد الغرف بها تتراوح ما بين الاثني والأربع.

هذا المجال يعد منطقة سكنية فحسب، ويحوي ساحة كبيرة تستخدم كموقف للسيارات، ولا توجد داخله أية محلات تجارية أو خدماتية، كما تتوفر على جميع الشبكات الحيوية من ماء، كهرباء، غاز، قنوات صرف المياه، الهاتف وغيرها.

- أما المجال الثاني هو التجمع السكني 46 مسكن، يعد مجموعة من السكنات الفردية بهندسة معمارية مختلفة، استفاد أصحابه من تخصيصات، وأعادوا تهيئتها* بما يتناسب وتمثلاتهم ومستوياتهم الاقتصادية خاصة، لذا تختلف هذه السكنات الفردية من حيث العلو، فهناك بنايات بعلو طابق أرضي، وطابق أرضي + 1، إلى أن تصل إلى طابق أرضي + 3، كما تختلف في التصنيف فهناك الحوش التقليدي، وهناك الفيلا العصرية.... يتوفر هذا المجال على بعض الشبكات الحيوية كالماء، كهرباء، قنوات صرف المياه فقط، ويحوي هذا المجال على محليين لبيع المواد الغذائية العامة، وعلى محل واحد للنجارة.

¹ أنظر الخريطة رقم 04 في قائمة الملاحق

* حيث أن النمط الذي بني عليه الحي كان يضم في الأصل طابقا أرضي يحوي غرفة ومطبخ وحمام، بالإضافة إلى حوش، بدون أي مرافق داخلية.

ونظرا للنقص الفادح للمحلات التجارية في مجالنا المدروس، كان لا بد لنا من التقصي أكثر حول المحلات بحى الهضاب بشكل عام باعتباره مجتمع محلي، وعن التجهيزات التي تتوفر عليها، باعتبار أن المجتمع المحلي وحدة نظامية يشبع الأفراد من خلالها حاجياتهم اليومية.

3. التجهيزات داخل حى الهضاب

تعد التجهيزات عنصر مهيكلي في المجال وتظل من أهم المعايير لقياس ديناميكية مركز حضري، ومدى اكتفائه الذاتي في توفير كل مستلزمات السكان التي تترجم إلى حد ما مدى ارتباط هؤلاء السكان بهذا المجال الحضري.

ومن خلال المعاينة الميدانية لمختلف المرافق والتجهيزات على مستوى حى الهضاب لاحظنا أنها تتوفر على العديد من التجهيزات يمكن تصنيفها إلى تجارية وغير تجارية، كما يلي:

1.3. التجهيزات التجارية

تلعب التجهيزات التجارية دورا كبيرا في تنظيم المجال وحركية الزبائن والسلع، ويمكن تصنيفها إلى محلات عمومية وأخرى خاصة.

1.1.3. المحلات العمومية

تتمثل هذه المحلات في سوقين مغطين أنشأتها البلدية حديثا، تم فتحهما عام 2010م للحد من فوضى التجارة. يتكون السوق الأول من 89 محل خاص بتجارة الخضر والفواكه، أما السوق الثاني فيضم 100 محل خاص ببرنامج تشغيل الشباب L'ANSEJ، والذي يتكون في مجمله على محلات للحرف والمقدر عددها ب 30 محل: الخاصة بالخياطة التقليدية والرفيعة، كهربائي ومحلات لتصليح الأجهزة الكهرومنزلية، الحدادة والسباكة، تصليح الأحذية والسيارات وطلائها. إضافة إلى وجود محامي واحد داخل هذا السوق، وتشمل

التجارة الغذائية المقدرة ب 10 محل تجارة الحلويات التقليدية والعصرية مع وجود مخبزة واحدة، وقدرت تجارة الأجهزة الكهرومنزلية بمحليين فقط.

أما ما يتعلق بالخدمات يتواجد بهذا السوق 4 مطاعم، و8 حلاق و10 محل خاص بالتجميل وحلاقة النساء، 7 محلات لنسخ وتصوير الوثائق، وقاعة للألعاب، كما يوجد 10 غرف هاتفية، و مترجمة رسمية ووكالتين للإشهار والاتصال. وعليه يوجد 17 محل فارغ لم يداوم أصحابه فيه.

2.1.3. المحلات الخاصة

من خلال التحقيق الميداني الذي قمنا به على مستوى الحى المدروس، واستنادا للمعطيات التي أفادتنا بها مفتشية الضرائب بأرزيو، استطعنا تصنيف المحلات التجارية إلى محلات ذات النشاط التجاري وأخرى خدماتي، كما يطرحها كل من الجدولين (06) و(07)

- النشاط التجاري

يقتصر النشاط التجاري بالحى مجال الدراسة على الحاجيات الضرورية واليومية، حيث تحتل التجارة الغذائية المرتبة الأولى بعدد يبلغ 33 محل، تترأسها محلات المواد الغذائية العامة بقيمة 15 محل، لتأتي بعدها الجزارة ومحلات الحلويات والمرطبات بسبع محلات لكل منهما، ثم تجارة الخضر والفواكه بثلاث محلات فقط، بسبب وجود سوق مغطى عمومي خاص بهذه التجارة كما سبق الذكر، كما يوجد بالحى مخبزة واحدة، أما فيما يخص باقي التجارات تحتل تجارة العطور، وراقه التبغ والجرائد، الخردوات المراتب الأولى، وتعرف محلات الأجهزة الكهرومنزلية، العقاقير، الأحذية الألبسة وجودا محتشما كما يوضح الجدول الموالي.

الجدول رقم (06): توزيع فروع التجارة بحى الهضاب

فروع التجارة					
العدد	تجارة أخرى	العدد	التجارة المنزلية والوظيفية	العدد	التجارة الغذائية
03	الألبسة	05	الخردوات	15	مواد غذائية عامة
01	الأحذية	03	قطع غيار السيارات	01	مخبزة
06	العطور	01	الأجهزة الكهرومنزلية	03	خضر وفواكه
05	مكتبة ووراقة	02	العقاقير	07	جزار
05	تبغ وجراند			07	حلويات ومرطبات
20	المجموع	11	المجموع	33	المجموع

- الخدمات

تشغل الخدمات بالحى 73 محل (أنظر الجدول رقم 07) تترأسها محلات الأكل الخفيف ب 11 محلا، ثم الغرف الهاتفية Taxi phone بسبع محلات، المحامين وحلاقة النساء والمقاهي قدرت بست محلات لكل منها، وخمس محلات لحلاق الرجال، بالإضافة لحرف أخرى والخاصة بتصليح الأجهزة الكهرومنزلية، الحدادة، النجارة الخياطة ونسخ وتصوير الوثائق ب بأربع إلى ثلاث محلات، وخدمات أخرى متعددة ومختلفة حسب احتياجات السكان، وما يجدر الإشارة إليه وجود مستودع واحد للسيارات بالإضافة إلى المرائب Parking الكثيرة والمتعددة والمتشرة في كل أنحاء الحى.

جدول رقم (07): توزيع أنواع الخدمات بحى الهضاب

العدد	محللات الخدمات
19	الخدمات الاستهلاكية
06	- مقهى
02	- مطعم
11	- أكل خفيف
17	الخدمات الفردية
05	- حلاق الرجال
06	- حلاقة النساء
01	- تنظيف الملابس
02	- تصليح الأحذية
03	- خياط
05	الخدمات الثقافية والترفيهية
03	- نسخ وتصوير الوثائق
02	- قاعة ألعاب
32	خدمات أخرى
07	- غرف هاتفية
01	- مستودع سيارات
01	- Géomètre
04	- تصليح أجهزة كهربومنزلية
01	- طلاء السيارات
01	- تشحيم وغسل السيارات
01	- تصليح العجلات
01	- تصليح الدراجات النارية
01	- تصليح المفاتيح
03	- نجار
04	- حداد
06	- محامى
01	- محاسب
73	المجموع

2.3. التجهيزات غير التجارية

تنقسم هذه التجهيزات إلى: تجهيزات إدارية، وصحية، وتعليمية، وأمنية، وشعائرية دينية، وثقافية ورياضية.

- التجهيزات الإدارية

هذا النوع من التجهيزات مرتبط عموماً بالرتبة الإدارية وحجم السكان عادة، وللتخفيف من حدة الاكتظاظ على المراكز الإدارية الموجودة في مركز مدينة أريزو يتوفر حي الهضاب على ملحق للبلدية، وكالة بريدية، فرع شركة سونلغاز، فرع التسيير العقاري، تأمينات ومصحة الغابات.

- التجهيزات الصحية

تتوفر التجهيزات الصحية على أهمية كبرى، فهي تعد أهم الخدمات لرفع المستوى الاجتماعي للسكان، إذ يمكن التعبير عن المستوى الاجتماعي لمجتمع ما من خلال مستوى الخدمات الصحية التي يستفيد منها سكان ذلك المجتمع، ويحتوي حي الهضاب على مركز صحي به قاعة للإسعافات، قاعة للعلاج الطبي وأخرى خاصة بطب الأسنان، قاعة للتحاليل الطبية، وقاعتان للانتظار.

أما في القطاع الخاص تتواجد بالحى خمسة أطباء للطب لعام، و3 لطب وجراحة الأسنان، طبيب خاص بالأنف والحنجرة وآخر لطب المفاصل، إضافة إلى ثلاث صيدليات خاصة لدى اثنان منها اتفاقية Convention مع مصلحة الضمان الاجتماعي.

- التجهيزات التعليمية

يعتبر القطاع التعليمي من أهم القطاعات الاجتماعية لما له من علاقة مباشرة مع السكان ويعتبر من أولويات أي مجتمع، هذا ما يجعلها واجهة اهتمام السلطات بشكل واضح، وتعتبرها من أولوياتها الضرورية التي تجند لها كل طاقاتها لتلي احتياجات كافة السكان بها. ويتوفر حي الهضاب إلى جانب ثلاث روضات للأطفال (قطاع خاص) على

خمس مدارس ابتدائية، ومتوسطتين، وثانوية واحدة تم إنشاؤها حديثا. و الجدول رقم (08) يبين الهياكل التعليمية العمومية بحى الهضاب وسنة افتتاحها.

جدول رقم(08): المؤسسات التعليمية في حى الهضاب

اسم المؤسسات التعليمية	سنة الافتتاح
مدرسة العقيد لطفي	1984
مدرسة هنان ادريس	1986
مدرسة داخ الجيلالي	1991
مدرسة منصور حنيستار	1996
مدرسة هضاب 5	2003
متوسطة الهضاب	1987
متوسطة الأمير عبد القادر	2000
ثانوية الأمير عبد القادر	2012

- التجهيزات الأمنية

يحوي حى الهضاب على مركز للأمن شيد وافتتح مؤخرا في شهر ماي 2014، بسبب كثرة عمليات الاعتداء، السرقة، تجارة وتناول المخدرات.

- التجهيزات الشعائرية والدينية

نظرا للدور الذي تلعبه هذه التجهيزات في المجتمعات المحلية يتوفر حى الهضاب على مسجد كبير حديث النشأة (2005م) يقع وسطها ويتربع على مساحة 1500م²، إضافة إلى مصلى واحد يقع في التجمع السكني 226 مسكن، كما يتواجد بحى الهضاب مقبرة البلدية.

- التجهيزات الثقافية الترفيهية

يوجد بحى الهضاب دارا للشباب ومركز ثقافي، بالإضافة إلى مكتبة البلدية، والتي تتوفر على مجموعة لا بأس بها من كتب تربوية تثقيفية وترفيهية، كما يوجد بها قاعة خاصة بالانترنت وذلك لمواكبة العصر ومستجداته. ويوجد أربع ساحات للعب الأطفال متشرة تقريبا في كل أنحاء حى الهضاب.

- التجهيزات الرياضية

يتواجد في الحى المدروس ملعب لكرة القدم، وخمس قاعات لممارسة كمال الأجسام، وقاعتين لممارسة الرياضات الفردية المتمثلة في الجيدو والكاراتي.

وما يجدر الإشارة إليه إلى أن الحى تنعدم به المساحات الخضراء والحدائق العمومية، فكما تقول إحدى السيدات (مقابلة رقم 15): "الحق حيننا كامل مكمل خصنا غي jardin تكون مبلعة نولوا نفاجو فيها حنا النسة، رانا نهودوا خترات لل jardin complexe ريجو فيها ويلعبوا فيها الدراري"، هنا تبرز أهمية الحدائق والمساحات الخضراء في خلق الراحة والطمأنينة للسكان، وأصبحت اليوم تعد فضاء لخلق الروابط الاجتماعية.

- خلاصة

وصفوة القول، بعد تحديد الاتجاهات النظرية التي تناولت المدينة، والغوص في الخصائص التاريخية والمناخية والديمغرافية والاقتصادية لمدينة أرزيو، تم تكوين نظرة وافية عن التوسع العمراني والسكاني للمدينة، وهذا الأمر سمح بتأسيس مقارنة الأكثر أصالة وتأثيراً لفهم خصائص مجتمع البحث، باعتبار أن المجال يؤثر على الممارسات.

وعلاوة على ذلك تم التعرض إلى خصائص الحى مجال الدراسة، والذي يتميز بكبره وتوفره على العموم على كل أنواع التجهيزات بما فيها التجارة والخدمات، والتي من شأنها أن تخلق التفاعل الاجتماعي وتعمل على الترابط بين الجيران من خلال التقائهم المستمر عند قضاء حاجاتهم، هذا التلاقي يسهل احتكاك الجيران ببعضهم البعض، مع تبادل مختلف المحادثات وغيرها، كما قد ينمي فيهم الشعور بالانتماء للحى والمدينة بشكل عام.

وأخيراً، المدينة ليست مجرد تجمعات سكانية وخليط من الأنشطة فحسب، فهي تقوم بوظائف عدة، تقتضيها متطلبات الحياة اليومية للمواطنين، ومنها ما ينشأ من علاقات وروابط اجتماعية بين أفرادها.

الفصل الثالث

علاقات الجيرة وتمثلاتها داخل حي الهضاب

- تمهيد

I. مفهوم علاقات الجيرة

1. الجيرة في القراءات النظرية
2. الجيرة في الدين الإسلامي
3. الجيرة في الأمثال الشعبية

II. التمثلات الاجتماعية للجيرة

1. حول مفهوم التمثلات الاجتماعية
2. الخصائص السوسيوثقافية وبلورة التمثلات الاجتماعية
3. تمثلات الجار لجاره

- خلاصة

- تمهيد

يكون أفراد المجتمع المحلي علاقات اجتماعية نتيجة التفاعل الذي يحدث بينهم، وذلك انطلاقاً من دوافعهم واحتياجاتهم وأهدافهم، ويتم هذا التفاعل وفق أطر مرجعية تنم عن ثقافة الجماعة بما تمثله من قيم ومعتقدات ومعايير وأدوار اجتماعية، وترتبط هذه القيم المترسخة في الأفراد بدرجة كبيرة بالدين، باعتباره عامل مهم في بناء التمثلات المتعلقة أساساً بالجيرة؛ فالجار في الإسلام له حرمة مصونة وحقوق كثيرة.

وإلى جانب الدين، تعتبر الأمثال الشعبية رمزية تقليدية متوارثة بين الأجيال تحكم طبيعة العلاقات التي تحدث بين الإنسان وأخوه الإنسان، أو اتجاه البيئة التي يعيش فيها. وبالتالي تتحكم الأمثال الشعبية (سواء الايجابية منها أو السلبية) في المخيال الفكري لأي مجتمع، وتأكيداً منا على توثيق عرى التواصل الفكر الشعبي بين سكان حي الهضاب، أفردنا موضوعاً حول تأثير الأمثال الشعبية في تمثلات عينة الدراسة.

إن التمثلات التي يبينها الفاعلون تحدد سلوكهم وتوجههم في اختياراتهم وممارساتهم، وعليه فإن فهم ممارسات الأفراد للجيرة ينطلق أساساً من مفهوم التمثلات الاجتماعية لها، تلك التمثلات التي تشكل في حد ذاتها مجموعة تصورات ومقاربات يقوم بها الناس حول معاشهم اليومي، إلى الحد الذي تعمل فيه على توجيه الممارسات الاجتماعية، لذلك فإن الفعل في هذه التمثلات، يعني بالضرورة الفعل في الممارسات اليومية. وإن أية محاولة لمعرفة العناصر التي تتأسس عليها التمثلات والممارسات الحالية للأفراد لن تكون بالمهمة السهلة خاصة في مجتمع تبقى فيه المسائل الهوائية حاضرة وبقوة كالمجتمع الجزائري.

وفي هذا المقام، يتناول هذا الفصل الجيرة كقيمة اجتماعية من خلال مقارنة مفهومها النظري والديني والاجتماعي، ويمتد إلى الجيرة في موقف الأفراد من خلال الوقوف على تمثلاتهم لها.

I. مفهوم علاقات الجيرة

تصب العلاقات الجوارية في العلاقات الاجتماعية، والتي يقصد بها اتصال أو تفاعل أو تجاذب بين شخصين أو أكثر، وتعرف العلاقات الاجتماعية من منظور محمد المنعم على أنها: "علاقات متكاملة في أقوال الناس وصلات بعضهم البعض، وأعمالهم المتبادلة وظروف حياتهم ومجالات معيشتهم، وجهودهم في البيئة التي يعيشون فيها"¹، فهي تفاعل بين الأفراد تعبر عن جميع أفعالهم داخل الجماعة أثناء التعامل فيما بينهم، فيتبادلون القيم، والعادات والمبادئ خلال ذلك. ومنه العلاقات الاجتماعية هي تلك الروابط المتبادلة بين الأفراد وجماعات المجتمع التي تنشأ من اتصال بعضهم ببعض وتفاعل مع البعض الآخر.

وعلى هذا النحو تعرف علاقة الجيرة بأنها اتصال وتواصل وتفاعل، فهي روابط يصنعها القرب المجالي، وللتعمق في مفهوم علاقات الجيرة، وجب علينا النظر فيه من عدة زوايا كما يلي:

1. الجيرة في القراءات النظرية

تعد الجيرة أصغر وحدة اجتماعية في المجتمع المحلي، تعني عند محمد عاطف غيث "وحدة اقليمية صغيرة تمثل عادة جزءا فرعيا من مجتمع محلي أكبر منها، ويسودها إحساس بالوحدة والكيان المحلي. وتتميز الاتصالات في جماعة الجوار بأنها مباشرة، وأولية، ووثيقة، ومستمرة نسبيا. هي جماعة أولية غير رسمية توجد داخل منطقة محددة"²، فبالرغم من أنها جماعة غير رسمية إلا أنها تقوم بعملية الضبط الاجتماعي، وتوجيه سلوك أفرادها.

ويربط ريمون لدريت R. Ledrut جماعة الجيرة بالتجاور السكني ويعني به "إقامة السكان بعضهم قرب بعض، وهؤلاء السكان غالبا ما يتعايشون ويتزاورون

¹ المنعم نور محمد، أسس العلاقات الانسانية، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، بدون سنة، ص. 7.

² غيث محمد عاطف وآخرون، قاموس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص. 275.

ويتعاونون فيما بينهم"¹، بمعنى تواجد الأفراد في مكان واحد يساهم في خلق وتقوية الروابط المباشرة بين أفراد جماعة الجيرة، فهي "التآلف في العلاقات بين الأفراد الذين يسكنون بالقرب من بعضهم البعض"²، نفس الطرح نجده عند ويرث L. Wirth؛ حيث يعرف الجيرة على أنها: "التقارب الفيزيقي مع الشيء المعلوم وأسرية العلاقات بين الأفراد الذين يعيشون متقاربين مع بعضهم"³. إذن تبنى علاقات الجيرة بالنسبة لهؤلاء المفكرين على أساس التجاور والتقارب الفيزيقي للسكن.

ومن جهة أخرى تعني الجيرة تقارب اجتماعي بين سكان المنطقة الواحدة. فقد عرف كولي الجيرة على أنها "جماعة أولية متآلفة لديها ذاكرة مشتركة وتتقاسم أفكار ولديها شعورا قويا بالانتماء"⁴، وهنا يطرح كولي متغيرات أخرى لتحديد مفهوم الجيرة، فإلى جانب قوة الترابط والتآلف بين أفرادها تتميز بالاشتراك في خصوصية واحدة، ما يولد شعورا بالانتماء للمجتمع المكون لها.

ومما يحمل ذكره أنّ أعضاء جماعة الجيرة يشتركون في العديد من الأنشطة الاجتماعية على أساس التعاون وخدمة بعضهم بعضا معتمدين على القرب المجالي، فجماعة الجيرة أو كما يسميها تونيز بعلاقات المكان "تقوم على أساس الضرورة الحيوية"⁵، بمعنى أن الأسر لا تستطيع العيش منعزلة عن بعضها البعض، فلا بد لها من الاتصال بأسر أخرى تجاورها وتشاركها نفس المكان وبتوسيع العلاقات تنشأ الحياة المشتركة والتعاون الجماعي.

¹ LEDRUT. R., sociologie urbaine, op. cit, P. 106

² RODERICK D. - MCKENZIE, « Le voisinage : Une étude de la vie locale à Columbus, Ohio », In GRAFMEYER. Y- JOSEPH.I, L'École de Chicago (Naissance de l'écologie urbaine), op. cit, P. 235.

³ Cité Par : GRAFMEYER Y.- JOSEPH.I (présentation), Ibid, P. 34.

⁴ Cité par: RODERICK D. - MCKENZIE, op. cit, P. 236.

⁵ الحشاش أحمد، التفكير الاجتماعي (دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية)، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص. 573.

ولفهم جماعة الجيرة فهما دقيقا نعود إلى بلتر E. Butler الذي شرحها في نقاط ثلاث:¹

- التجاور المكاني لمجموعة من الناس.
- التمايز الفيزيقي أو الثقافي لهذه المنطقة عن غيرها.
- المشاركة الفعلية بين المقيمين في هذه المنطقة.

والواضح هنا أن جماعة الجيرة هي الجماعة التي تقطن مكانا واحدة، تربط أفرادها علاقات وثيقة تقوم على المشاركة الفعلية، كما يركز بلتر E. Butler على طبيعة المباني التي تسكنها هذه الجماعة، نظرا لتشابه المساكن في بنائها وطابعها أو نمطها الثقافي المتماثل، وتحدها وتفصلها عن المناطق الأخرى فواصل كالجدران الممتدة والمنغلقة والطرق الرئيسية. وهي في الواقع تقارب فيزيقي للأسر وتآلف العلاقات فيما بينهم، مع ضرورة التقييد ببعض المعايير وقواعد السلوك التي تحكم أعضائها لتحقيق أهداف مشتركة.

وعلى محك تلك التعريفات، يظهر من موقف الباحثين، أن الجيرة جماعة أولية، تقوم على علاقات المواجهة الوثيقة والتعاون الواضح بين أعضائها، وتتميز بالتجانس وتتقاسم نفس الخصائص، كما لديها شعورا بالانتماء إلى المجال الواحد، وتشكل نوعا من الضبط الاجتماعي على أفرادها. ويمكن القول أن علاقات الجيرة هي الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد في مجتمع محلي معين، والتي تنشأ نتيجة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن خلال تفاعلهم الدائم. إلا أن مجرد السكن داخل مكان واحد أو بجوار بعضنا البعض "غير كافي لإنشاء علاقات اجتماعية"².

وبالموازاة، لا تنشأ علاقات بين سكان الحي الواحد أو العمارة الواحدة لعدم التقارب في مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، أي أن التقارب المجالي لا

¹ طلعت ابراهيم لطفي، مرجع سابق، ص. 161.

² LEFEUVRE M.P., Grands ensembles et relations sociales : Proximité, Distances, Positions, Doctorat du 3^{ème} cycle, Institut français d'Urbanisme, Université Paris VIII, 1993, P. 43.

يعني تقاربا اجتماعيا، ويظهر ذلك من خلال دراسة كل من شومبوردون Chamboredon ولومان Lemaire¹ أن التقارب المجالي لا يحقق دائما بوثقة تنصهر داخلها الجماعة، بل بالعكس فقد يتسبب قرب المكان في التباعد الاجتماعي. و"إذا رجعنا إلى المدينة نجد أن مصطلح الجوار يكاد يحمل معنى واحد وهو التقارب الفيزيقي في معظم الأحيان لأن طبيعة العلاقات الحضرية التي تكتسي صبغة الشخصية والسطحية في الأحياء المأهولة راجع أساسا إلى خصوصية الحياة الحضرية والتي تفترض هذا النوع من العلاقات"²، أي أن جماعة الجيرة في المجتمعات الحضرية في معظمها تتميز بالعلاقات الثانوية، ولعل السبب في هذا يرجع إلى تعقد الحياة في المجتمع الحضري، الذي يضم أعدادا هائلة من السكان، تسودها هيئات وتنظيمات رسمية.

وقد وضع فيشر Fischer ذلك من خلال مجموعة من الشروط، وضعها لتجعل من جماعة الجيرة جماعة أولية، تتمثل هذه الشروط فيما يلي: "الضرورة الوظيفية، نوعية العلاقات السابقة على علاقات الجوار، الافتقار إلى جماعات أخرى بديلة"³، ويقصد بالضرورة الوظيفية الاعتماد الوظيفي المتبادل واشتراك السكان في نفس الحاجات والأهداف، أما عن الشرط الثاني فيرى فيشر أن علاقات أخرى قد تكون سابقة لعلاقة الجيرة كالزمالة في العمل والقراية وغيرها من شأنها أن تقوي الروابط بين الجيران وتخلق نوع من الألفة والالتزام بينهم، ويعتبر فيشر الشرط الثالث هاما وأساسيا كذلك في خلق الروابط الاجتماعية وهو أن يكون الأفراد يفتقرون لجماعة أخرى غير الجيرة فيضطروا إلى خلق روابط وعلاقات وطيدة مع الجيران تكون متنفسا لهم.

¹ Cf. CHAMBOREDON.J.C. - LEMAIRE M., « Proximité spatiale et distance sociale. Les grands ensembles et leur peuplement ». In revue française de sociologie. N° XI-I. Puf, Paris, 1970, (PP 3-33)

² GRAFMEYER Y.- JOSEPH.I (présentation), op. cit, P. 38.

³ السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري (الجزء الأول)، مرجع سابق، ص. 265.

2. الجيرة في الدين الإسلامي

يعتبر الدين مصدر من مصادر القيم لدى الجماعة ومؤسس لنظام الحياة، فضلا على أنه مؤسسة اجتماعية ثقافية، ومجموعة من السنن والتشريعات الواجب والمفروض إتباعها، كما أن الدين كنظام من المعتقدات والممارسات السلوكية والأخلاقية يشكل نسقا من الرموز تؤطر حياة المؤمنين. "وبقدر ما يقوم الدين بتشكيل الثقافة وتعبئتها، يقوم أيضا بشحنها بالرموز والمضامين والقيم، بل يسهم في تشكيل حقلها الخاص داخل الاجتماع المدني، الذي ليس بالضرورة أن يكون ديننا خالصا بل هو في الواقع يتكون بالتفاعل مع الحقل الاجتماعي، بما يحمله من ضغوط وتحديات واستجابات تفضي إلى تعبئة 'المخيال الجماعي' برموز وعادات وقيم وتقاليده، من شأنه استثمارها في الحقل الثقافي لإعادة التوازن للذات، وتقويم سلوكها نحو الأفضل، وبذلك يعد الدين طاقة تعبوية هائلة لشحن الحقل الثقافي"¹.

ومن جانب آخر، يعتبر الدين منهاج للحياة، يحوي على العديد من القواعد المحددة للعلاقة بين الإنسان وخالفه، وبينه وبين غيره من بني جنسه، كما يعد أحد أدوات الضبط الاجتماعي والرقابة على السلوك الاجتماعي. والإسلام دين أطر الحياة الاجتماعية بمجموعة من القواعد والمعايير، فهو يعتبر إطارا فكريا شاملا ومنظما للعلاقات الاجتماعية على اختلافها، إذ قام على تنظيم علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبأخيه الإنسان، مستعملا مفهوم المعاملة للدليل على هذه العلاقة.

ومن بين علاقات الإنسان بأخيه الإنسان علاقات الجيرة، وهنا يرى لعربي اشبودن² أنّ هذه العلاقات تكتسي أهمية بالغة في المجتمعات الإسلامية، لما تفرض على المسلم التقيد بقواعد للحفاظ على حسن الجوار، كما تحمل نوع من الإلزام والإجبار على التضامن مع الجيران.

¹ عماد عبد الغني، سوسيولوجيا الثقافة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2006، ص. ص. 53-54.

² Cf. ICHEBOUDENE L., Alger, système urbain, histoire, changement social et développement, op. cit, P. P. 699-702.

تعد المحافظة على العلاقات الطيبة مع الجيران ومساعدتهم وزيارتهم واجبا مقدسا في المجتمعات العربية الإسلامية عموما، فعدم انتهاك حرمة الجار وإعانتة وعدم إيذائه ولا بد من الإحسان إليه والتضامن معه ورفع الظلم عنه بمساعدته ونصرته. والتعاون أيضا من الأمور التي أكدها الإسلام والتي تنطوي على الأخذ والرد، فقد أولى الإسلام عناية كبيرة لرابطة الجيرة وأعطاه أهمية كبيرة، قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾¹ من خلال الآية الكريمة نلمس نوعين من الجيران الأول "الجار ذي القربى" أي الجار الذي تربط جاره علاقة قرابة، والنوع الثاني "الجار الجنب" بمعنى الجار الأجنبي لا رابطة قرابة بينه وبين جاره. ويصنف الجيران في الإسلام إلى ثلاثة أنواع وهي:²

- جار قريب مسلم فله حق الجوار والقرابة والإسلام
- جار مسلم غير قريب فله حق الجوار والإسلام
- جار كافر فله حق الجوار، وان كان قريبا فله حق القرابة أيضا.

ولقد أفاضت السنة النبوية في كيفية التعامل مع الجار وردت في الأحاديث النبوية ضرورة الحفاظ على العلاقات الطيبة معه، قال ﷺ: ﴿مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ضَنْنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ﴾³، أي أن الله سبحانه وتعالى قد أوحى للنبي ﷺ عن طريق جبريل بأن يهتم بجاره أشد الاهتمام حتى ضمن الرسول ﷺ بأنه سيدخله ضمن الورثة، وفي ذلك تقرب علاقة الجيرة بعلاقة القرابة لدليلا على أهميتها في الإسلام، وقال ﷺ: ﴿خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ

¹ القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 36

² التتوري أبي زكريا يحيى بن شرف، شرح رياض الصالحين (من كلام سيد المرسلين ﷺ)، شرحه: محمد بن صالح العثيمين، المجلد الثاني، الجزء الثاني دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004، ص. 203.

³ البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، في كتاب الأدب، ط 1، دار ابن الكثير، دمشق، بيروت، 2002، ص. 1509.

الله خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ¹، وفي تقريب الإيمان بحسن الجوار يقوله ﷺ: ﴿ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ. قِيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يُؤْمِنُ جَارَهُ بِوَأْتِقَهُ²، وقال ﷺ: ﴿ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يُؤْمِنُ جَارَهُ بِوَأْتِقَهُ³ (متفق عليه) ، وقال أيضا عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم ﷺ: ﴿ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ⁴ ، فالإحسان إلى الجار دليل على الإيمان، وعن أبي هريرة قال: قال الرسول ﷺ: ﴿ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْدِ جَارَهُ: وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمِ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ⁵ ، وإن مؤذي الجار مؤذ الله تعالى ورسوله، وهذا ما رواه الشيخ ابن حبان عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ مَنْ أَدَى جَارَهُ فَقَدْ أَدَانِي وَمَنْ أَدَانِي فَقَدْ أَدَى اللَّهَ وَمَنْ حَارَبَ الْجَارَ فَقَدْ حَارَبَنِي وَمَنْ حَارَبَنِي فَقَدْ حَارَبَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ⁶ وفي ذلك كله دعوة إلى حسن الجوار وعدم أذية الجار وضرورة إكرامه طاعة لله ودليل على الإيمان به سبحانه وتعالى.

وإنه من يغلق بابه في وجه جاره خشية ماله أو أهله فهو ليس مؤمن ولما قيل لرسول الله يا رسول الله، أن فلانة تكثر من صلاتها وصدقته وقيامها؛ غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال: ﴿ هي في النار^{*}. قال: يا رسول الله! فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط^{*} ، ولا تؤذي جيرانها. قال: ﴿ هي في الجنة^{*} (رواه أحمد وابن

¹ علي حسن علي عبد الحميد، حقوق الجار في صحيح السنة والآثار، ط2، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1994، ص. ص. 24-25

² البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، مصدر سابق، ص. 1509.

* البوائق: الغرور والشور

³ الثوروي أبي زكريا يحيى بن شرف، مصدر سابق، ص. 202.

⁴ مسلم أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، إعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، 1998، ص. 1055.

⁵ البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، مصدر سابق، ص. 1509.

⁶ نفس المصدر، ص. 568.

** هو قطعة من اللبن المجفف للأغنام.

حبان) ¹، وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره فقال: اذهب فأصبر. فأتى مرتين أو ثلاثا فقال: اذهب واطرح متاعك في الطريق، ففعل. قال: فجعل الناس يمرون به، ويقولون: ما لك؟! فيقول: آذاه جاره. فجعلوا يقولون: لعنه الله! فجاءه جاره، فقال: ردّ متاعك، لا والله لا أذكى أبدا ²، ما يفهم من الحديث أيضا ضرورة الصبر على أذى الجار حتى يتفطن لأخطائه ويدركها.

وقال ﷺ: ﴿كُنْ وَرِعًا تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ وَكُنْ قَنَعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤَمِّنًا وَأَحْسِنَ مُجَاوِرَةً مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا﴾ (رواه ابن ماجه) ³ أي أن الإحسان إلى الجار قد تصل إلى مرتبة الإسلام تعبر عن الانتماء للهوية الإسلامية.

ومن هذا كله تبيان لحق الجار على جاره وأنه حق نفيس لا بد من الاعتناء به، فالإسلام يأمر بحسن الجوار "فعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: أتدري ما حق الجار؟ قال: إذا استعانك أعتته، وإن استقرضك أقرضته، وإن مرض عدته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب الريح عليه إلا بإذنه، وإن اشترت فاكهة فأهد له، وإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده" ⁴، بمعنى إعانة الجار، واستقراضه المال وما يحتاج، زيارته إذا مرض، الفرح معه وتقديم التهئة له، أما إذا ما أصابته مصيبة فلا بد من تعزيته وتخفيف عنه، وعدم الاستطالة بالبنیان حتى لا يجلب عنه الريح، وإذا رأى ضرورة لذلك فلا بد من أن يستأذن جاره ويستمع إلى رأيه، كما لا بد من إهدائه الطعام الذي يلحظه حتى لا يكثر التباغض والتحاسد بين الجيران.

وعليه يعد حق الجار عظيم ويشمل أمورا عظيمة وكبيرة تتلخص في الإحسان إليه، وكف الأذى عنه، وعدم الإساءة إليه، ويمكن طرح حقوق الجار في الإسلام في النقاط التالية:

¹ علي حسن علي عبد الحميد، مرجع سابق، ص.31.

² الطهطاوي علي أحمد عبد العال، شرح كتاب حقوق الجار للإمام الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005، ص. 108.

³ علي حسن علي عبد الحميد، مرجع سابق، ص. 26.

⁴ الطهطاوي علي أحمد عبد العال، مرجع سابق، ص. 120.

- المبادرة بالسلام والتحية وتفقد أحوال الجار: أن يتعرف الجار على جاره إذا حل بجواره، ويبدأ بالسلام إذا لقيه، أو رد السلام إذا بادر هو بذلك، فالسلام المناقض للتعنف والعدوان، من شأنه أن يشيع روح الألفة والمودة بين الأفراد. كما لا بد من أن يسأل الجار عن جاره ويتفقد أحواله، قال ﷺ: ﴿لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ﴾¹ وما روي أيضا عن ابن ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿يَا أَبَا ذرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانِكَ﴾ (رواه مسلم)²، والمغزى من الحديث استحباب إهداء شيء من الطعام إلى الجيران مع ضرورة تفقد أحوال الجار ومعاونته ومساعدته إن كان في حاجة لذلك.

- التهئة عند الفرح والتعزية عند المصيبة: أي أن يشاركه أفراحه وأفراحه، كما يشارك أيضا في تشييع جنازة الجار، وأن يجيب دعوته وأن يواسيه ويحسن إليه كما لا بد من عيادته إذا مرض.

- عدم التجسس عليه وعدم أذيته قولا وفعلا، أو في ماله أو عرضه والحفاظ على حرمة مسكنه، قال رسول الله ﷺ: ﴿لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلَ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ (...). وَلَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَيْبَاتٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ بَيْتِ جَارِهِ﴾³، فلقد أكد رسولنا الكريم ﷺ ضرورة الحفاظ على حرمة وعرض الجار، وأن ذنب أذية الجار مضاعفا.

¹ الترمذي أبو جعفر محمد بن أحمد بن جعفر، سنن الترمذي (الجامع المختصر من السنن عن الرسول ﷺ)، تحقيق صدقي جميل العطار، بيروت، 2005، ص. 576.

² التتوري أبي زكريا يحيى بن شرف، مصدر سابق، ص. 202.

³ علي حسن علي عبد الحميد، مرجع سابق، ص. 27.

- الصبر على الأذى ، فالجار يصفح عن زلات الجار السوي ويصبر على أذاه، يقول عليه أفضل الصلاة والسلام ﷺ: ﴿ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ... وَالرَّجُلُ يَكُونُ لَهُ الْجَارُ، يُؤْذِيهِ جَارُهُ، فَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُ، حَتَّى يُفْرَقَ بَيْنَهُمَا مَوْتٌ﴾ (رواه أحمد) ¹

- الإحسان إلى الجار وإعانتة ومساعدته ونصرته، وستر عيوبه، وحسن عشرته، وإكرامه كما جاء في قوله ﷺ: ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمِ جَارَهُ﴾ ²، وهذا تأكيداً على أن المسلمين كالجسد الواحد يتعاونون على الخير ويفعلونه وينهون عن الشر ويحذرونه، يتناصحون فيما بينهم، وهذا كله من كمال الإيمان الذي حث عليه ديننا.

وفي حدود الجار قال ابن هريرة رضي الله عنه: ﴿حَقُّ الْجَوَارِ إِلَى أَرْبَعِينَ دَارًا وَهَكَذَا وَهَكَذَا، يَمِينًا وَشِمَالًا وَقَدَامًا وَخَلْفًا﴾ ³، بمعنى أن الجوار أربعين داراً من الجهات الأربعة، فيتوجب على المسلم أداء حق الجوار إليها، أما أقرب الجوار الأقرب بابا فهو الأولى بالرعاية، فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: ﴿قلت: يا رسول الله إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربيهما منك﴾ ⁴ بَابًا

وما سبق، يتبين اهتمام الإسلام بالجار، والحرص على المحافظة على حسن الجوار من أساسيات بناء مجتمع متماسك، فقد سعى الإسلام إلى حفظ السلام والأخوة بين أفراد المجتمع، وجماعة الجيرة نموذجاً على ذلك.

¹ علي حسن علي عبد الحميد، مرجع سابق، ص. 32.

² البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، مصدر سابق، ص. 1509.

³ القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الجزء 5، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2011، ص. 18.

⁴ البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، مصدر سابق، ص. 1510.

3. الجيرة في الأمثال الشعبية

تلعب الأمثال الشعبية دوراً فاعلاً في ثقافة الشعوب، ولها تأثيراتها المباشرة في السلوك الاجتماعي، حيث يستحضر المثل باعتباره شاهداً على تأكيد فكرة وتعزيزها أو رفضها، وكان المثل الدليل أو المرجح لهذا الرأي على ذلك، تعرف الأمثال الشعبية على أنها "ظواهر اجتماعية موجودة في المجتمع، تسبق وجود الأفراد وتبقى بعد فنائهم، وهي تسري بين الناس فتظهر على أفعالهم وتتناثر على ألسنتهم، وتكون لهم دستوراً غير مكتوب يأخذون به في معاملاتهم بعضهم مع بعض. والأمثال الشعبية بشرية وواقعية، تتحدث عن السعادة والشقاء، والغنى والفقر، واليسر والعسر، والجمال والقبح، والقوة والضعف، والكرم والبخل"¹، ويعرف المثل كذلك على أنه "قول مأثور، تظهر بلاغته في إيجاز لفظه، وإصابة معناه، قيل في مناسبة معينة، وأخذ ليقال في مثل تلك المناسبة"².

وعليه الأفراد هم المصدر الحقيقي للأمثال، هم الذين يدعون هذه الحكمة وهم الذين يعطونها القوة الدافعة للانتشار والنفوذ في التصورات والتمثلات التي تظهر في ممارساتهم وفي علاقاتهم الإنسانية بشكل عام؛ حيث يتم تداولها واستحضارها بشكل مستمر، من أجل تدعيم الأفعال، وتبرير الممارسات، وتقويم العادات.

إن الأمثال تردد لخلاصة التجربة اليومية التي صارت ملكاً للمجموعة الاجتماعية وجزءاً لا يتجزأ من سلوكها وممارساتها في حياتها اليومية. كما أنها من الناحية الوظيفية العملية تريح النفس وتواسيها بما تتضمنه من حكمة وفلسفة عملية. هذا فضلاً عما تنطوي عليه من أحكام خلقية تستقبح الرذيلة، وتمجد الفضيلة. إنها "إبداع في العبارة وإبداع في

¹ الساعاتي سامية، "الإبداع في المثل الشعبي (تحليل اجتماعي لبعض الأمثال العربية)"، من: التراث والتغير الاجتماعي (تقارير بحث)، الكتاب الثاني: التراث الشعبي في عالم متغير قراءات تأسيسية، ط1، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، 2002، ص. 312.

² طاهر جمال وداليا جمال طاهر، موسوعة الأمثال الشعبية (دراسة علمية)، من الموقع الإلكتروني: www.kotobarabia.com، ص. ص. 24-25.

المعنى وإبداع في المعالجة"¹، و"يتمتع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة، فهو نهاية البلاغة، كما أن المثل جملة دقيقة العبارة، وغالبية الأمثال جمل موسيقية متجانسة الأوزان والكلمات، سهولة الإلقاء والتناقل والحفظ، لها إيقاع خاص"²، فالأمثال تعد كلمات مختصرة واضحة موسيقية التركيب ذات وقع طيب على السمع، تحمل حكمة معينة أو فكرة ذات مغزى، تختار عادة بعناية ودقة، ويكون لها وقعها الخاص وجاذبيتها المميزة.

إذن إن للأمثال على اختلاف أنواعها تأثير كبير على تمثلات وممارسات الأفراد، بما تمتلكه من سلطة إقناعية كان من الضروري أن تتم دراستها، وما يعيننا هنا هو الأمثال الشائعة والمتداولة بين السكان والتي لها حضور وتأثير في حياتهم، وعلاقاتهم بجيرانهم. ومن بين هذه الأمثال التي يتداولها أفراد عينتنا في أحاديثهم وأحكامهم عن الجيرة، نذكر:

- "الجار قبل الدار"، أو "اشترى الجار قبل الدار"، هذان المثلان لهما مصدر متأصل، فالعرب "تقول في أمثالها: 'الجار ثم الدار' قال الميداني: هذا كقولهم: الرفيق قبل الطريق، وكلاهما يروي عن النبي ﷺ، قال أبو عبيد: كان بعض فقهاء أهل الشام يحدث بهذا الحديث ويقول: معناه إذا أردت شراء دار فسل عن جوارها قبل شرائها"³.

فقبل شراء بيتا لا بد من البحث أولا من سيكون الجار، وضرورة التأني في اختيار الجار قبل المبادرة في شراء أو كراء سكن، ولا بد من السؤال عن الجيران وعن طبيعة تفاعلهم مع الآخرين، مما يسهل عملية التلاقي والتعايش بالمحيط السكني، كما أن الجار الطيب يكون مصدر راحة وطمأنينة داخل المسكن أما الجار السيء فيكون مبعث إزعاج تقول سيدة الأسرة رقم (01): "اللي علتة من جاره يموت ولو كان الطيب حداه" والمقصود أن الفرد

¹ الساعاتى سامية، مرجع سابق، ص. 312.

² طاهر جمال وداليا جمال طاهر، مرجع سابق، ص. 26.

³ شعلان سميح، "ملامح التغير في العلاقات الاجتماعية كما يعكسها اختيار الموقع السكني"، من: المدينة العربية بين التغيرات الاجتماعية وتحولات المجال، الجامعة اللبنانية، منشورات بيروت مركز الأبحاث، بيروت لبنان، 2009، ص. 362-363.

الذي لا يكون على وفاق مع جاره، يعيش شقيا تعيسا وهي بمثابة موت له. وذكر أحمد تيمور باشا أمثالا من هذا القبيل، فيقال "جاور المصلح تصلح وجاور المعطب تعطب أو من جاور السعيد يسعد (...). من جاور الحداد يتحرق بناره"¹، وهذا ما يبين مدى تأثير الجوار على الأفراد إما خيرا أو شرا، لذا وجب اختيار من يجاورنا، وهنا تقديم لرابطة الجيرة عن الرابطة المكانية.

- "أطلب الخير لجارك تلقاه في داره، وأطلب الشر لجارك تلقاه في دارك"، وهذا تقريب لما ذكره أحمد تيمور: "الجاري في الخير كفاعله" و"الجاري في الشر ندمان"² دليل على حسن الجيرة، وعلى ضرورة تمني الخير الدائم للجار، أما تمني الشر فيعود على متمنيه بالندم والخيبة.

- "اعمل كما يعمل جارك ولا بدل باب دارك"، بمعنى التقييد بما يمارسه الجار وعدم الاختلاف معه، دليل على تقوية الروابط بينهم

- "جارك القريب ولا خوك البعيد"، أي أن الجار القريب أقرب من أخ بعيد، باعتبار أن الجار يكون أقرب إلى جاره من أخيه حين يحتاج إلى عون أو مساعدة عاجلة، فرابطة الجيرة هنا تبرز كبديل عن رابطة الأخوة.

وبالرغم من أن مصدر الأمثال الشعبية هم الأفراد كما أسلفنا إلا أن هناك أمثال كثيرة مستقاة من آيات كريمة، أو أحاديث نبوية شريفة ومنه المثل القائل "النبى وصى على سابع جار"، "الجار وصى عليه النبى": وهما مثلان مصدرهما الحديث النبوي الشريف: ﴿مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِيْنِي بِالْجَارِ حَتَّى ضَنْنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ﴾ (رواه البخاري). ما يؤكد على أن الجار ليس هو جار الجنب أو الجار القريب فقط، فحقوق الجار تتسع لتشمل الجار السابع، ما يعكس أهمية حسن المعاملة والجيرة، تأكيدا على توطيد الروابط بين الجيران.

¹ تيمور باشا أحمد، الأمثال العامية، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003، ص. 493.

² نفس المرجع، ص. 171.

وفي هذا الشأن تؤكد الأمثال الشعبية والمتوارثة عبر الأجيال على قيمة الجيرة، ومحاولة الحفاظ على الألفة والعلاقات الطيبة بين الجيران، وإن توثرت هذه العلاقات فلا يجب أن تتمادى، فيقال "إن خانقت جارك إبقيه وإن غسلت توبك إبقيه"¹، أي أنك إذا تشاجرت مع الجار فلا تتمادى في مشاجرته عكس الثوب إذا تم غسله فلا بد من تنقيته تماما من الوسخ والدنس، وفي حالة ما إذا كان الجار مبعث الأذى والمشكلات، تقول سيدة الأسرة رقم (13) المثل التالي: "صباح الخير يا جاري أنت في حالك وأنا في حالي" ف"الجار جار وإن جار"²، بمعنى ضرورة مراعاة الجار وداره ولو تعدى وظلم، يبقى جار له حقوق على جيرانه، وهذا كله تأكيد على علاقة الجيرة وضرورة استمرارها وعدم مقاطعة الجيران حتى لو كانت هذه العلاقة سطحية تتلخص في التحية والسلام فقط دون التزاور والخلطة، وتفادي للمشاكل يقال "بلع باب دارك أحسن لك وللجارك" أما عن الجار المسيء يقول المثل "اصبر على جارك السو يا يرحل يا تيجي له مصيبة" ضرورة الصبر على أدى الجار حتى يغير مسكنه أو ينشغل بمشكلة أو مصيبة، فيستريح جيرانه من أداه.

II. التمثلات الاجتماعية للجيرة

تحدد ممارسات الأفراد من خلال التمثلات التي يبنوها تجاه موضوع أو شيء ما، فممارسات الجيرة تبنى أساسا من التصورات تجاهها، وقبل التعمق في هذا الموضوع وجب علينا الوقوف على مفهوم التمثلات وتحديدته، وعلى أهم العوامل المتحكمة في بناء التمثلات.

¹ نفسه، ص. 101.

² نفسه، ص. 170.

1. حول مفهوم التمثلات الاجتماعية

يعتبر التمثل فعل إرجاع أو استحضار شيء أو مفهوم بواسطة صورة أو رمز أو علامة، إنه كل فعل ذهني يعيد الفرد من خلاله موضوعا ما. وتعتبر التمثلات "عملية تتم اعتمادا على جهاز نفسي بشري يستمد معطياته من الواقع انطلاقا من المعلومات التي يتلقاها الفرد من عدة مصادر كالحواس والخبرات والتي تجتمع لديه وتحتزنها ذاكرته، ومن المعلومات التي يستقيها عن طريق العلاقات التي يربطها بغيره من الأفراد والجماعات، ومجموع هذه الخبرات أو المعلومات تصنف وتنظم في شكل نسق ذهني عام ومتناسك بكيفية تسمح للفرد بفهم العالم المحيط به أو أحد محتوياته مما يجعل الفرد قادرا على التأثير فيه والتكيف معه"¹.

إنّ التمثلات الاجتماعية واقعة في مفترق حدود ما هو نفسي وما هو اجتماعي حيث تسمح للأشخاص وكذلك الجماعات بالتحكم في محيطهم والتأثير عليه، من غير وجود قطيعة أو انقطاع بين العالم الخارجي والعالم الداخلي للفرد أو للجماعة في تكوين التمثلات، إذ أنّ التمثل "نظرة شاملة للحياة العقلية في امتداداتها الفردية والاجتماعية وفي وظيفتها الخاصة بتكيف الفرد مع العالم"².

وفي هذا الصدد يقول اميل دوركايم E. Durkheim: "تنبثق التمثلات الاجتماعية من العلاقات التي تنعقد بين الأفراد المجمعين، أو بين الجماعات الثانوية التي توجد بين الفرد والمجتمع الكلي (...). وإذا كنا نذهب إلى القول بأن التمثلات الاجتماعية خارجية بالنسبة للوعي الفردي، فذلك لأنها لا تنبع من الأفراد طالما ظلوا معزولين عن بعضهم البعض، ولكن من اجتماعهم؛ وهذا شيء مختلف تماما. ومن دون شك، فإن النتيجة المشتركة تتضمن نصيبا من كل طرف، ولكن الأحاسيس الخاصة لا تصبح اجتماعية إلا لما تنصهر تحت تأثير قوى خاصة

¹ أوزي أحمد، الطفل والمجتمع: دراسة نفسية اجتماعية لصورة الطفل المغربي من خلال الرواية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، 1988، ص. 69.

² شوقي محمد، التحولات الاجتماعية في المغرب (من التضامن القبلي إلى الفردانية)، أفريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب، 2009، ص. 192.

جدا تنمو وتتفاعل بفضل الاجتماع"¹، وهنا يفصل دوركايم بين نموذجين من التمثلات الجماعية والفردية وي طرح استقلالية كل واحد عن الآخر، إلا أن الفرد ومن خلال سيورته يأخذ من التمثلات الجماعية ويعتبرها تمثلاته الفردية وقد يضيفها إلى تمثلاته الفردية، وعليه يبرز التداخل بين التمثلات الفردية والتمثلات الجماعية. كما أكد اميل دوركايم أن "تمثلات الأفراد تختلف باختلاف القيم الثقافية التي اكتسبها من المجتمع وباختلاف استعداداتهم العقلية والوجدانية والجسدية. فالتمثلات، تبعا لهذا الفهم، هي تصورات اجتماعية تتأسس في شكل قيم ومعايير للسلوك والتذوق والقول، بل يمكن اعتبارها تيارات رمزية تسيطر داخل المجتمع معين وتتنظم ضمنها المواقف والسلوكات والأحكام بحيث تمثل صورة لماضي الجماعة وتعكس آفاق رؤيتها وعيها بشروط وجودها"².

واعتبر بيار بورديو P. Bourdieu تمثلات الأفراد نابعة أساسا عن وضعهم الاجتماعي وعن الكيفية التي يمثلون بها ذلك الوضع، والذي ينتج عن ما يسميه الجبلية أو التطبع Habitus، فهذا الأخير يعرفه على أنه: "نسقا من التمثل والإدراك والتقدير والفعل الذي يتمتع بالاستمرارية وإمكانية نقله للآخر، والذي يمكن في النهاية أن يتمأسس في الجسد"³ وإن الهابيتوس هو المبدأ الذي يولد وينتج الممارسات التي تميل لإعادة إنتاج الشروط الموضوعية، التي كانت ملازمة لإنتاج الهابيتوس نفسه، يقول بورديو: "إن التمثل الذي يكون لدى الأفراد عن وضعهم في الفضاء الاجتماعي (...) يتولد عن منظومة من رسوم أو صور الإدراك والتقدير (الهابيتوس) التي تتولد بدورها عن وضعية معينة تحدد المكانية في توزيع الخيرات المادية (...) والرأسمال الرمزي (...) والتي تدخل في اعتبارها التمثلات التي تكون لدى الآخرين عن هذه الوضعية، والتي يحدد تجمعها الرأسمال الرمزي (الذي يسمى عادة امتيازا وسيادة...)، وكذا المكانية في التوزيع وقد وجدت تعبيرها الرمزي في أسلوب

¹ DURKHEIM E., Sociologie et Philosophie, 4^{ème} édition, Puf. Paris, 1974, P. 34.

² شوقي محمد، مرجع سابق، ص. 189.

³ BOURDIEU P. – LOIS WACQUANT J.D., Réponses, Seuil, Paris, 1992, P. 102.

العيش"¹، وعليه التمثلات من وجهة هذا الباحث تعزز الفوارق الاجتماعية والطبقية وتأييد مسألة إعادة إنتاج نفس العلاقات الاجتماعية، فتغير تمثلات الفاعلين حسب مواقعهم (وكذلك حسب المصالح التي يشتركون فيها) وحسب ملكاتهم (leur habitus) بوصفها "منظومة من البنى الإدراكية ومن بنى التقدير وكذلك كبنى معرفية وتقييمية تكتسب من خلال التجربة الدائمة في موقع داخل العالم الاجتماعي"².

ويرى فيشر G.N.Fischer أن التمثلات هي "عملية بناء اجتماعي لمعارف عادية مهياة من خلال القيم والمعتقدات، ويتقاسمها أفراد جماعة معينة، وتدور حول مواضيع مختلفة (أفراد، أحداث، فئات إجتماعية... الخ) وتؤدي إلى توحيد نظرتهم للأشياء كما تظهر أثناء التفاعلات الإجتماعية"³. ومنه التمثلات مصدرها المجتمع يتم تناقلها بين الجماعات عن طريق الاتصال الإجتماعي. نفس الطرح نجده عند أبريك J.C.Abric، الذي يعتبر التمثل على أنه سوسيوإدراكي (sociocognitif)⁴، ويتكون من مكونين أساسيين: الأول خاص بالإدراك وبالجانب النفسي خاصة، أما الثاني فهو اجتماعي يتحدد بظروف اجتماعية، ومن وجهة نظر ذات الباحث يعد التمثل "متنوع ونظام ونشاط عقلي بفضلله يعيد الشخص أو المجموعة بناء الواقع الذي يواجهه ويسند له رموزا خاصة (...). فهو نسق لترجمة الواقع الذي يحكم العلاقات مع الأفراد ومحيطهم، موجهة للفعل أو للبنية الاجتماعية المعرفية"⁵، يبين هذا التعريف تداخل الميكانيزمات الفردية بمعنى العمليات العقلية الإدراكية، وكذا الاجتماعية من تفاعلات اجتماعية في تشكيل الواقع.

¹ بورديو بيير، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، ط3، دار توبقال للنشر، المغرب، 2007، ص. 69.

² BOURDIEU P., Choses dites, Les éditions de Minuit, Paris, 1987, P. 156.

³ FISCHER G. N., Les concepts fondamentaux de la psychologie sociale, 3^{ème} édition, Dunod, Paris, 2005, P. 131.

⁴ ABRIC J. C., Pratiques sociales et représentations, 2^{ème} édition, Puf, Paris, 1997, P. 13.

⁵ Ibid, P. 14.

إنّ التمثلات الاجتماعية ظواهر معقدة فعالة في الحياة الاجتماعية تتواجد داخل الواقع الاجتماعي بصورة دائمة. وهي "مجموعة منظمة من الآراء، المعتقدات، المعلومات والمعارف"¹، وتتكون "انطلاقاً من الحوار أو برنامج تحركي كالسفر التجارة وغيرها"². بمعنى أن الأفراد يتناقلون التصورات والآراء من خلال الحوار والحركة والتنقلات. ونشمن ذلك بقول موسكوفيسي عندما اعتبر التصورات الاجتماعية "كيانات حقيقية تتحرك وتتلاقى كما أنها تبلور بدون انقطاع لا تتوقف بواسطة الكلام الحركة والتعارف في حياتنا اليومية"³

ومن المعلوم أن التمثلات غير ثابتة ولكن في تغير مستمر يكتسبها الفرد خلال حياته اليومية التي تنتج نماذج جديدة بالتخلي عن النماذج القديمة، وهذا ما سماه فلامو C. Flament "حرق التصورات وظهور تصورات جديدة بدون قطيعة مع الماضي في كثير من الأحيان"⁴، وأشار مؤكداً على التغيير البيوي للتصورات، وعلى هذا الأساس هي في حركية دائمة يلغى بعضها ويضاف البعض الآخر، وتبنى باستمرار وداخل صيرورة عابرة عن طريق التفاعل بين الأفراد والجماعات. وما يجدر الإشارة إليه أن التمثلات تتغير بتغير الحياة الاجتماعية، ولها دور في تشكيل هذه الحياة الاجتماعية. وهو الأمر الذي كان يصبو إليه سبربر D. Sperber وأكد أن التصورات تظهر على شكلين وهما:⁵

- منها ما ينقل بسرعة من جيل إلى جيل آخر، وهذا ما يسميه الأنثروبولوجيون بالتقاليد

¹ ABRIC J. C., "L'étude expérimentale des représentations sociales", In : JODELET D., Les représentations sociales, Puf, Paris, 1989, P.203.

² JACOB C., « La représentation de l'espace :projet pour une réflexion théorique », Espace des autres lectures anthropologiques d'architecture, op. cit, P. 213.

³ HEWSTONE, M., « Représentation sociale et causalité.", In : JODELET, D, Les représentations sociales, Op.cit, P. 261.

⁴ FLAMENT C., «Structure et dynamique des représentations sociales », In : JODELET, D, Les représentations sociales, Ibid, P.231.

⁵ SPERBER Dan., « L'étude anthropologique des représentations. Problemes et perspectives », In : JODELET, D. Les représentations sociales, Ibid, P.P. 115-130

- نماذج من التقاليد العصرية تنشر لدى الأفراد عن طريق الاحتكاك، لكن وقتها قصير إذا ما قورنت بالشكل الأول، وهذا ما سماه سبربر بالنماذج الجديدة -الموضة- (Les modes).

ومما شك فيه، فإن تمثلات الأفراد تظهر في الدين وفي الأمثال الشعبية خاصة، كما أنها تتبلور داخل المحيط الاجتماعي، الذي يتكون من عدد كبير من الجماعات والأفراد، ولكل منهم تصورات وتمثلات خاصة به، وكل عضو في الجماعة يحمل الملايين من التصورات منها سريعة الزوال، ومنها ما يبقى في الذاكرة إلى أبعد مدى وهي تكوّن معرفة الفرد، وذلك فيما أشار دوركايم E. Durkheim بقوله: " إن ما يوجهنا في حياتنا اليومية ليس فقط النزر القليل من الأفكار التي تشغل بالنا الحاضر بل كل الرواسب المتبقية من حياتنا السابقة، والعادات المضمرة والقيم والميولات التي تحركنا، دون أن نأخذها بعين الاعتبار، بكلمة واحدة هي ما يكون مزاجنا الأخلاقي"¹، فللوسط الاجتماعي تأثير كبير في بناء تصورات وتمثلات الساكن وبالتالي في ممارسات هذا الأخير داخل محيطه الاجتماعي. كما أن وضعية الساكن السوسيوثقافية أساس في بلورة التمثلات. وهي جملة الخصائص المرتبطة بعينة الدراسة.

2. الخصائص السوسيوثقافية وبلورة التمثلات الاجتماعية

يقصد بالخصائص السوسيوثقافية الوصف المونوغرافي والتركيبية الاجتماعية والثقافية لسكان الحي المدروس، فكل من الأصل الجغرافي والسن، والمستوى التعليمي، والاقتصادي والمهني، والتركيبية الأسرية وعدد أفرادها وغيرها أثر في خلق وبلورة تمثلات الأفراد، ولا بد من الإشارة إلى أنّ التمثلات الخاصة بعلاقات الجيرة تختلف حسب المتغيرات السابقة، الاختلاف قد يحصل أيضا داخل الأسرة الواحدة.

¹ DURKHEIM E., *Sociologie et Philosophie*, op. cit, P. 14.

1.2. الأصل الجغرافي ومسارات السكن

إنّ سكان الحي المدروس يتباينون في أصولهم الجغرافية، فمنهم سكان الأصليين لمدينة أرزيو ومنهم من نزحوا إليها بحكم ظروف عدة، هذه الحركة السكانية لا تشمل تنقل الريفيين إلى المدن فقط أو ما يسمى بالنزوح الريفي، بل هناك مسار آخر متمثل في تنقل الأفراد بين مختلف المدن والبلديات. واتضح من خلال المعاينة الميدانية أن الوالدين في 20 أسر مبحوثة تتشابه في الأصول الجغرافية، وتنقسم إلى تسعة (9) أسر بالمساكن العمودية وإحدى عشرة (11) أسر بالمساكن الفردية، أما الأسر التي يختلف الوالدين فيها في منطقتهم الأصلية وصلوا إلى 12 أسر، سبعة (7) منها بالمساكن العمودية وخمسة (5) بالمساكن الفردية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تنحدر جل الأسر من أصل ريفي وهذا ما يطرحه الجدول الموالي.

الجدول رقم (09): توزيع العينة حسب الأصل الجغرافي

المساكن الفردية						المساكن العمودية					
الأصل الحضري			الأصل الريفي			الأصل الحضري			الأصل الريفي		
التكرارات		الولايات	التكرارات		الولايات	التكرارات		الولايات	التكرارات		الولايات
الأم	الأب		الأم	الأب		الأم	الأب		الأم	الأب	
4	1	وهران (أرزيو)	3	3	تيارت	3	3	وهران (أرزيو)	1	1	تيارت
2	1	تيارت	3	3	غليزان	1	-	وهران	2	1	تلمسان
-	1	تموشنت	2	2	معسكر	1	-	مستغانم	-	1	سكيكدة
-	1	عناية	-	1	عين الصفراء	3	-	معسكر	2	1	تيزي وزو
1	-	مستغانم	1	1	بجاية				1	1	مستغانم
									-	1	تبسة
									1	-	شلف
									1	-	غليزان
7	4	المجموع	9	10	المجموع	8	3	المجموع	8	6	المجموع
11			19			11			14		

* تسع أسر الأب فيها غير موجود بالوفاة أو بالطلاق (أنظر الملاحق)

وفي البحث عن سبب الهجرة والسكن بمدينة أرزيو، اتضح أن التصنيع - الذي عمل على فتح فرص ومجالات للعمل - كان أهم سبب لتوافد العديد من أيدي العاملة إلى المدينة وبالتالي البحث عن سكن بها. إن هجرة الكثير من الأفراد كانت بسبب البحث عن العمل والاستقرار من أجل حياة أفضل، وهؤلاء الأفراد وبعد حصولهم على العمل فكروا بالاستقرار في المدينة وتزوج البعض منهم من بنات المدينة حتى تكون لهم شرعية أكثر في امتلاك المجال، وقد أسفرت الدراسة الميدانية على 6 حالات تزوجت ب"أرزويات" (أنظر الملاحق الأسر رقم 09، 18، 20، 23، 26، 29)

بالإضافة إلى العمل والبحث عن الاستقرار، برز عامل آخر هام أثر بصورة واضحة على نزوح الأفراد وخاصة من الريف إلى المدينة وهو العامل الأمني، فقد لعبت الأحداث السياسية في الجزائر في فترة التسعينات دورا لا يستهان به في تحريك السكان ودفعهم إلى الهجرة نحو التجمعات الحضرية، وكان الإرهاب سببا في الهروب لأنه يهدد أمن وراحة السكان مما حملهم هذا الأمر أن يتركوا قراهم ويتجهوا نحو المدن وخاصة مدينة أرزيو لما توفره من مناصب عمل بالمنطقة الصناعية، أو حتى العمل الحر، فالأوضاع الأمنية التي عاشتها الجزائر في فترة التسعينات كانت عاملا أساسيا لهجرة السكان ونزوحهم على المدن وخاصة مدينة أرزيو.

لقد كانت أغلب هذه التحركات السكانية من المناطق الريفية، أو من المجتمعات المجاورة إلى مركز التصنيع الجديد. وفي هذا الموضوع يمكن أن نحدد عاملين للهجرة وتوافد السكان على مدينة أرزيو هما: التصنيع والعمل بالمنطقة الصناعية وكذا العوامل الأمنية التي مرت بها البلاد في فترة التسعينات. إذن الانتقال إلى الحمي لم يكن ناتجا عن الصدفة، هدفه الرغبة في التخلص من مشاكل الفقر وتدني مستوى الخدمات أو من مشاكل أمنية، والحصول على عمل أفضل ورفع مستوى المعيشة بوجه عام.

وتصادمت جميع الجماعات المختلفة التي نزحت إلى المدن هرباً من الفقر والإرهاب مع نظام جديد قائم على مؤسسات وقوانين جديدة ووسط جديد لم تعهده من قبل، وانتقلت القوة التي كانت تمتاز بها الجماعة التقليدية إلى الدولة باعتبارها المؤسسة الرسمية التي تهيمن على جميع التراب الوطني. هذه السلطة الجديدة دفعت كل الجماعات التقليدية التي كانت مغلقة على نفسها بفضل تضامنها الطبيعي إلى إعادة شكلها لكي يتلائم مع الوسط الجديد، على إثر هذا الوضع "تتغير ممارسات السكان وحتى رغباتهم"¹ من أجل عملية الاندماج الاجتماعي.

ولما كانت عينة الدراسة من الوافدين على المنطقة، وجب علينا تحديد مختلف المسارات التي تبنتها هذه الفئة في هجرتها، حيث كانت الهجرات الأولية فردية يختص بها أحد أفراد الأسرة، سواء رب الأسرة وظروف العمل التحق بأرزيو وبعدها استقر فيها جلب أفراد أسرته كما يظهر في الأسر رقم 01، 16، 25، 32 (أنظر الملاحق)، أو أن أحد الأبناء كان سبباً في الهجرة كما في الأسر رقم 06 و22 (أنظر الملاحق) ففي الأسرة الأولى الابن "ميلود" وفي الثانية "تامر" واللذان يعملان بقطاع الأمن الوطني أحقاً عائلتهما بالحى السكني الحالي لظروف أمنية محضة، والتي تماشت مع العشرية "السوداء"

أما فيما يخص التنقلات الداخلية للأسر المبحوثة - هذه التنقلات كانت خاصة بـ 24 أسرة مبحوثة فقط - سواء كان هذا الانتقال من حي إلى حي آخر بالمدينة مجال الدراسة أو تغيير السكن داخل حي الهضاب. فالرغبة في البقاء بأرزيو راجع إلى أن وجودهم أصبح مرتبطاً بالمدينة. وتلخصت الأسباب التي أدت بالسكان لتغيير مساكنهم في ضيق المسكن كسبب أولي، ثم الرغبة في تملك مسكن خاص؛ إذ أن الطبيعة القانونية للمسكن تلعب دوراً في استقرار الساكن، والرغبة في امتلاك سكن مستقل عن العائلة الموسعة كان سبباً أيضاً لهذه التنقلات، ويظهر سببين تنفرد بهما المساكن الفردية وهما الرغبة في امتلاك الحوش، النابع

¹ MAGRI S., « L'émergence du social : objectifs et moyens d'une réforme (1894-1930), In : Segaud Marion et autre (sous direction), Logement et l'habitat : l'état des savoirs, La découverte, Paris, 1998, P. 35

من ثقافتنا وهويتنا للحفاظ على حرمة وخصوصية الساكن، بالإضافة إلى ما نجم عن مشاكل بين الجيران بسبب المساكن العمودية على حد تعبير الباحثين. وهذا ما يطرحها الجدول الموالي.

جدول رقم(10): أسباب تغيير السكن

المجموع	التكرارات		الأسباب
	المساكن الفردية	المساكن العمودية	
05	01	04	الرغبة في سكن مستقل
06	04	02	الرغبة في سكن ملك خاص
07	04	03	ضيق السكن
04	04	00	الرغبة في حوش
02	02	00	المشاكل مع الجيران
24	15	09	المجموع

ولفهم هذه العوامل أكثر حاولنا التطرق إلى مميزات الإقامة السابقة، لأنها تعكس حالة هذه الأسر والحيز السكني الذي شغلته قبل تنقلها إلى المسكن الجديد. وقد اتضح من خلال المعاينة الميدانية أن معظم أسر العينة القاطنة بالمساكن العمودية كانت تسكن مع أهل الزوج إلى أن استفادت من المسكن الحالي، كما تبين لنا أن أغلب إقاماتهم السابقة عبارة عن مساكن تقليدية (حوش)، لم يتعود أصحابها على شقق بالعمارات، وتساكنهم كان بسبب إقامتهم في بيوت قصديرية هشة وبيوت آيلة للسقوط لا تتوفر على أدنى شروط الحياة الكريمة، أو أنهم عانوا من الضيق وسط العائلة الموسعة. أما عن سكان المساكن الفردية فأغلبهم سكنوا النمط الجماعي (حوش) سكنوا منفردا عن العائلة الموسعة، هؤلاء قاموا بشراء المساكن الحالية، فكلهم مالكين لمساكنهم ما عدا حالتين فقط - الأسرتين رقم 20 و28- (أنظر الملاحق)، اللتان تسكن بعقد كراء. والجدول التالي يوضح توزيع أسر العينة حسب الإقامة السابقة.

جدول رقم (11): نمط الإقامة السابقة لأسر العينة

حوش			شقة			نمط الإقامة السابقة
المجموع	مسكن منفرد	مع أهل الزوج	المجموع	مسكن منفرد	مع أهل الزوج	
13	05	08	03	02	01	المساكن العمودية
10	08	02	06	05	01	المساكن الفردية
23	13	10	09	07	02	المجموع

وتعتبر مدة إقامة الأسر بالفضاء السكني الحالي متغير هام لفهم علاقة الساكن بوسطه الاجتماعي، ومدى اندماجه في الحي والمدينة بشكل عام. ومن خلال الجدول الموالي يتضح أن أغلب الأسر تتجاوز مدة إقامتها عن 21 سنة بالمساكن العمودية، نظرا لسياسة الترحيل التي طبقت على الأحياء غير اللائقة والقصدية، هذا الترحيل الجماعي للسكان من أحيائهم القديمة إلى هذه المنطقة جعلهم يحافظون على جيرانهم القدماء أو على الأقل يحافظون على العلاقات الطيبة بينهم وبقيت هذه الصلة قائمة بحكم أنهم تعايشوا مع بعض فترة أطول.

وتجاوزت المدة بالمساكن الفردية 6 سنوات، وهي مدة في رأينا كافية لتكيفهم مع المجال السكني والوسط الاجتماعي وخلق علاقات بين الجيران، بالرغم ما يسود هذه العلاقات نوع من الخوف والحذر والحيطه.

الجدول رقم (12): مدة إقامة الأسر

التكرارات		السنوات
المساكن الفردية	المساكن العمودية	
01	02	5-1
11	02	10-6
03	02	15-11
01	-	20-16
-	06	26-21
-	04	أكثر من 26 سنة
16	16	المجموع

2.2. المستوى التعليمي

تختلف طريقة التفكير وتمثلات الأفراد باختلاف مستوياتهم التعليمية، والتي تنعكس دون شك على ممارساتهم، فللمستوى التعليمي لأرباب الأسر تأثير على بنيتهم المهنية والاجتماعية، قد يؤثر إلى حد ما في تكوينهم علاقات جوار، والجدول التالي يوزع الأسر المبحوثة حسب المستوى التعليمي للوالدين.

الجدول رقم (13): المستوى التعليمي للوالدين

الأم			الأب			المستوى التعليمي
المجموع	المساكن الفردية	المساكن العمودية	المجموع	المساكن الفردية	المساكن العمودية	
17	07	09	04	03	01	أمي
05	04	02	09	05	04	ابتدائي
05	02	03	06	04	02	متوسط
03	02	01	03	02	01	ثانوي
02	01	01	01	00	01	جامعي
32	16	16	23	14	09	المجموع

* تسع أسر الأب فيها غير موجود بالوفاة أو بالطلاق (أنظر الملاحق)

من خلال الجدول يتضح أن أغلب الآباء لهم مستوى تعليمي أقل من المتوسط، أما عن ربّات البيوت التي تبرز ظاهرة الأمية لديهن بوضوح، مستواهن التعليمي محدود. وهذا راجع لكون أن أغلب المبحوثين من أصول ريفية عانوا الكثير من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المزرية كالاستعمار والفقر وغيرها.

3.2. الوضعية السوسيو مهنية

تعد المهنة مؤشرا هاما للوضعية المعيشية للأسرة، والجدول الموالي يوزع الأسر المبحوثة حسب مهن الوالدين.

الجدول رقم (14): مهنة الوالدين

الأم			الأب			المهنة
المجموع	المساكن الفردية	المساكن العمودية	المجموع	المساكن الفردية	المساكن العمودية	
-	-	-	02	01	01	رئيس مصلحة في سوناطراك بجار (Navigateur)
02	02	-	-	-	-	معلمة، أستاذة بالاكاديمية
-	-	-	07	04	03	حداثي، سباك بشركة حكومية، عون صيانة، سائق بشركة المحروقات EPA، لحام بشركة خاصة، طباط في شركة حكومية.
02	-	02	-	-	-	موظفة إدارية
-	-	-	02	01	01	ع.غ. م بعقود مؤقتة أمين مخزن
-	-	-	06	05	01	لحام، تاجر، نجار، سائق أجرة، بناء، سباك،.
01	01	-	-	-	-	تاجرة مواد غذائية عامة
02	02	-	06	3	3	متقاعدین
25	11	14	-	-	-	بدون عمل
32	16	16	23	14	09	المجموع

* تتقاضى سبع أسر معاش التقاعد للأب المتوفي، أما حالتين الأم مطلقة فتعتمد على دخل أولادها.

من خلال الجدول رقم (14) يتضح أن النشاطات (أو المهن) الحرة تكثر لدى أصحاب المساكن الفردية، وأن أغلب النساء ربات البيوت في المساكن العمودية مأكثات بالبيت، وهذا ما يعكس بشكل أو بآخر محدودية المستوى المادي للأسر، لكن هذا الأخير قد يقاس أيضا -بالإضافة إلى دخل أرباب الأسر الفردي-، بما تجره الأملاك الخاصة من فوائد، العمل

الإضافي، عمل الأبناء وغيرها من العوامل التي تعمل على تحسين المستوى المعيشي للأسرة بشكل عام.

ما يمكن قوله عن المستوى المعيشي للأسر هو في عمومته متوسط يلي الاحتياجات الأساسية للأسر، وينفرد بعض ساكني المساكن الفردية بمستوى معيشي مرتفع، ما يظهر جليا في الشكل الخارجي والداخلي للفضاء السكني، وهذا أيضا بسبب مهن المرموقة ذات الدخل المرتفع، أو مهن أولادهم، وبعض الأملاك الخاصة في منطقتهم الأصلية.

4.2. التركيبة الأسرية

يقصد بالتركيبة الأسرية حجم الأسرة، فالفضاءات السكنية بالحي المدروس تضم أسر نووية (بسيطة) أي زوج وزوجة وأطفال، وأسر موسعة (ممتدة)، التي تضم خليتين أسرتين أو أكثر¹، وهذا ما يطرحه الجدول رقم (15)

الجدول رقم (15): نوع الأسرة

نوعية الأسرة	أسر نووية	أسر موسعة	المجموع
المساكن العمودية	11	05	16
المساكن الفردية	11	05	16
المجموع	22	10	32

إن البناءات من النمط الجماعي لا يشغله أكثر من أسرة في الظروف العادية لضيقه، فبالرغم من ذلك تتواجد فيه خمس أسر موسعة (المقابلة رقم 05، 06، 07، 13، 14)، أما المسكن الفردية فعرفت أيضا تواجد لخمس حالات من الأسر الموسعة وهي الأسر رقم (18، 21، 26، 27، 32)، وهذا يعد مؤشرا إلى أنه مازالت الثقافة التقليدية والارتباط بالعائلة قائما في مجتمعنا. ويتراوح عدد أفراد الأسرة الواحدة ما بين 3 و9 أفراد كما يبين

¹ للتوسع أكثر في تعريف الأسرة الممتدة وأشكالها أنظر: هداوي محمد، مرجع سابق، ص. 451.

الجدول رقم (16)، العدد يختلف في الساكن العمودية عنه في المساكن الفردية، ففي النمط الأول يتراوح أفراد الأسرة ما بين الثلاثة والسبعة أفراد، بينما في النمط الثاني يزيد عن ستة أفراد، باعتبار أن البناءات من النمط الجماعي يحدد عدد أفراد الأسرة فضيقه لا يسمح إلى أكثر من ستة أفراد في الظروف العادية، أما بالنسبة للمساكن الفردية يعد الساكن هو المتحكم في حجم مسكنه فيمكن زيادة الطوابق والغرف حتى يتناسب حجم المسكن مع حجم وعدد أفراد أسرته.

الجدول رقم (16): عدد أفراد الأسرة

التكرارات		عدد أفراد الأسرة
المساكن الفردية	المساكن العمودية	
02	03	3
-	03	4
-	02	5
04	04	6
05	03	7
03	00	8
02	01	9
16	16	المجموع

ما يمكن استخلاصه من الأرقام التي يتضمنها الجدول السابق هو أن الأسر مازالت محافظة على البناء العائلي الريفي الذي يتمتع بكثرة الأولاد، كما يعد سمة خاصة بالمجتمعات التقليدية، ولا شك أن وضعية الأسرة تتأثر بارتفاع عدد الأبناء وحجم الأسرة لما تفرضه متطلباتهم المعاشية بالنظر إلى حالتهم المهنية و ظروفهم الاقتصادية.

ومما لاشك فيه فإن عدد الأطفال يساهم بشكل كبير في خلق الروابط الاجتماعية بين الجيران، وكذا السن والمرحلة العمرية للأفراد، حيث يمثل عامل السن أحد أهم الخصائص الديمغرافية التي يقاس بها مركز ودور الإنسان في حياته الاجتماعية والاقتصادية، فهو نتاج

ثقافة المجتمع وممارستها من خلال أدوارهم ومراكزهم. ومن خلال الجدول الموالي يتبين أن معظم الوالدين ينحصر سنهم ما بين 46 سنة و55 سنة وهي الفترات الأكثر أهمية في حياة الأفراد، نظرا لكونها المرحلة الهامة في تكوين الأسر وتحمل مسؤولياتها، وهذه المجموعة تمتاز بتفاعلها مع المحيط الذي تعيش فيه خاصة على الصعيد الاجتماعي وفي نطاق العائلات والأسر.

الجدول رقم (17): توزيع الوالدين حسب الفئات العمرية

الأم			الأب			السن
المجموع	المساكن الفردية	المساكن العمودية	المجموع	المساكن الفردية	المساكن العمودية	
3	1	2	-	-	-	35 - 25
5	4	1	4	2	2	45 - 36
12	7	5	9	6	3	55 - 46
6	2	4	7	4	3	65 - 56
4	1	3	3	2	1	75 - 66
2	1	1	-	-	-	أكثر من 75
32	16	16	23	14	09	المجموع

قلنا تمثلات الأفراد تختلف حسب السن والفئات العمرية، ففي حديثنا مع الأفراد الذين يفوق عمرهم 55 سنة لمسنا بعض التحسر على العلاقات التي أصبحت تجمع الجيران الآن، والتي تختلف تماما عن العلاقات السابقة، والتي كانت تصل إلى درجة التفاعل كأفراد لأسرة واحدة، تتسم بالتضامن والتآزر اللامتناهي كما جاء على لسان الحاجة "العونية" (المقابلة رقم 32): "ياه ... كنا ندخلوا على جواريين في كل وقت تحسبي دار وحدة دروك. كلشي راه مزكرم. غي حنا والدار الأولى [تقصد أسرة المقابلة رقم 19]، لا زواج في رحبة ولا حاجة موليمة في رحبة، لي مازلنا مع بعض، يجوا لدروك يطلوا عليا في كل وقت الحق" يبدو جليا من خلال هذا التصريح الحنين للماضي والأصول وإلى العلاقات السابقة التي

كانت تجمع الجيران، فالرغبة في الرجوع إلى نمط الحياة الاجتماعية السابقة من أجل الافتكاك من التباعد الحاصل على مستوى علاقات الجيرة، يفسرها هنري كوانغ H. Coing على أن "هذا الحنين إلى الماضي هو رفض للحياة المعاصرة محاولة لإعادة خلق جماعة بنموذج ريفي داخل الوسط الحضري"¹

و في شرح التحولات الاجتماعية التي أصابت علاقات الجيرة تقول سيدة أسرة (المقابلة رقم 06) : "جوارين بكري مكانوش هكذا. لا الواحد طاحله قشه يدخلوهله. وإذا أنا خرجت. الجوارين يدخلوا ولادي مع ولادهم يشربوا القهوة مع ولادهم. ولا درنا ماکلة مليحة ناكلوا في رحبة حنا وجوارين. دروك مارنا ندخلوا على الجوارين. لكان ما نسمع كاش خبار ما ندخلش. ولا كاش حاجة ما ندخلش. يا لطيف. بكري كنا مين يمرض واحد ولا يخرج من السيطار نترافقوا. دروك لا، كل واحدة دير جلابتها وتروح وحدها. كنا ناكلوا في رحبة، نخرجوا في رحبة، نشروا لولادنا في رحبة ... لكان نصيبوا ما نبدلوهاش بساح كي نديروا تبدلت، حنا كانت عندنا النية"، هذه التحولات الفردية والتي مست علاقات الجيرة هي "نتيجة وانعكاس للحياة الجماعية، التي تغيرت إلى حد بعيد، حتى على الذين لا يرغبون في هذه التغيرات"² بمعنى أصبحت شيء محتوما لأنه متعلق بالجماعة وليس على المستوى الفردي.

هذه التحولات في العلاقات وتضييقها تؤدي إلى انكسار وإفراغ المنظومة القيمية عن محتواها؛ حيث ذكر أحد أرباب البيوت بنوع من الأسى والتحسر (المقابلة رقم 29): "بكري كانت وحد العلاقات... وحدة جارتنة مات راجلها في معسكر alors رحنة حتى لمعسكر نعزوا، دروك تخطيني وتفوت ... أختي هذا راجع للتربية تاع بكري وتاع دروك ماشي كيفكيف دروك كلشي مباح. دروك تكذبي لكبير وتصدقني ولدك. شايقولك. راهي غي تزيد

¹ COING H., Rénovation urbaine et changement social, Les éditions ouvrières , Paris, 1966, P. 182.

² Ibid, P. 173.

تحسر الله يلفظ بنا"، هذا التصريح يؤكد على أن ما نعيشه اليوم على مستوى الجيرة سيزيد تأزما في الغد القريب.

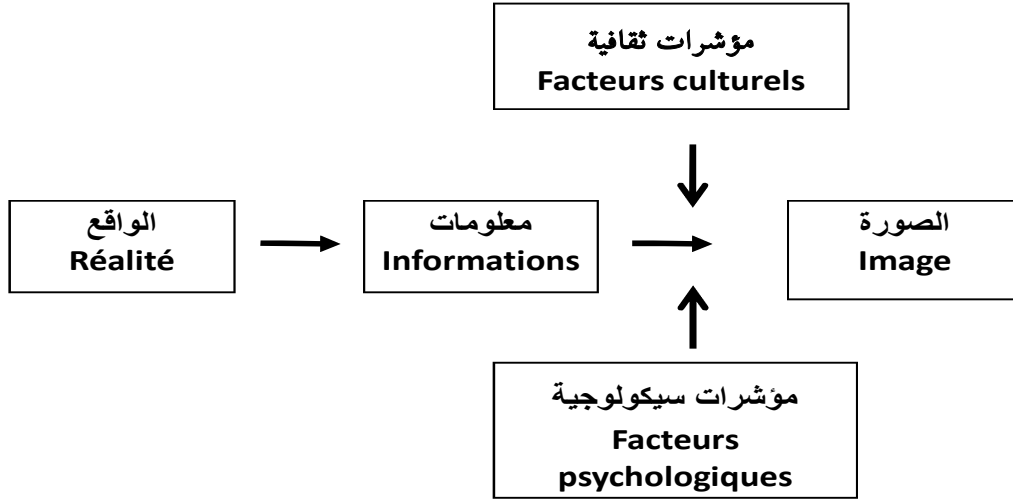
أما عند الشباب فالأمر يختلف تماما الذي وجدوا وسائل أخرى استبدلوا بها علاقات الجيرة، تقول زكية (المقابلة رقم 22): "أنا باش نتبع مسلسل روح لجارتي؟ ماتسراش. نجمع مع الجارة ونخلي مسلسلي؟ مكانش منها (...). الوقت راه مع التلفزيون والانترنت... زيدي الشغل. كل واحد لاهي في شغاله، الهدرة معاهم [وتقصد الجيران] تلهي. أختي دسارة خسارة"، هذا ما يؤكد أن وسائل الإعلام والاتصال الجديدة خاصة التلفزيون والانترنت، ساهمت من جهتها أيضا في تغير الروابط الاجتماعية بين الأفراد.

3. تمثلات الجار لجاره

ترتبط التمثلات الاجتماعية بالمحيط، وإنّ "الممارسات الحضرية ما هي إلا نتاج صورة"¹، وكل حي "يحمل صورة جماعية (une image collective) التي تنتج مجموعة كبيرة من الصور الفردية (d'images individuelles)"² تدل على هوية الحي وسكانه، وهذه الصورة تسمح للأفراد بتكوين حكم أو تقييم عن موضوع ما انطلاقا من الواقع، أو المعلومات التي تنتشر بحكم التفاعل الاجتماعي، إضافة إلى تدخل مؤشرات ثقافية أو نفسية كما هو مبين في الشكل الموالي. ومن هذا المنظور فإن تمثلات السكان لعلاقات الجيرة ما هي إلا صورة يحملها الأفراد تجاه الحي، والذي يعتمد بناؤها على جوانب عدة منها ما هو عاطفي نفسي، ومنها ما هو اجتماعي ثقافي، هذا بالإضافة لما يطرحه الواقع والمعلومات التي يملكها كل فرد، على إثر هذه الصورة تتكون تمثلات الأفراد التي تنعكس على ممارساتهم.

¹ BAHRI N.- ROUAG A., « Les grands ensembles, entre configuration spatiale et comportement humain ». In : **Algérie France (Jeunesse, ville et marginalité)**, op. cit, P. 25.

² LYNCH K., **L'image de la cité**, Traduit par M.F. Vénard et J. L. vénard, Dunod, Paris, 1976, P. 53.

الشكل رقم (04): كيفية تكون الصورة¹

إنّ الصورة التي يحملها أفراد عينة الدراسة على حيهم لا تجعلهم يكونون علاقات حميمة، وعميقة مع الجيران خوفا منهم، واعتبارهم غرباء لا يمكن أن يتعرفوا على خصوصيتهم لكي لا تنتهك حرمتهم ووقورهم، فيحافظون على احترامهم بشكل مستمر، وهنا أشار عمشاني إلى أن الأحياء الجديدة أصبحت موضع استراتيجية جديدة تهدف في أغلبها إلى رفض الآخر ونقص التواصل، أي الانقطاع عن المحيط الفيزيقي - الاجتماعي والانغلاق والخوف الذي يتجسد في أبواب الحديد المغلقة باستمرار، هذا الوضع ناتج عن سياسة الإسكان غير المدروسة²، وما يزيد من هذه الهوة وجود وتكون جماعات وأفراد يمارسون نشاطات السرقة والمتاجرة في المخدرات وأعمال العنف التي تصاحب ذلك، وفي هذا الإطار يذكر رب أسرة (المقابلة رقم 26) ما يلي: "راح نبذل من هذي السكنة، رانا دايرين projet باش نبدلوا، هنا عندنا في بلاطو المافيا، ماراناش نصلوا التراويح في هذا الجامع [ويقصد مسجد حي بلاطو] لكان تجي تشوفي تلقيه حاوي.

¹ BAHRI N.- ROUAG A., op. cit, P. 25.

² Cf. Projet de recherche CNEPRU N° 01820080049, Djounid HADJIDJ (chef de projet), op. cit.

مور الفطور راهم يدابزوا بالسيوفة. مكانش الأمن. الجامع complètement خاوي ومكانش لواطابرا، la mafia عندنا حنايا" فقد شهد الحي في رمضان 2012م مشاجرة كبيرة بين جماعتين من الشباب، الجماعة الأولى ما يسمون ب"الحمراوة" نسبة إلى حي الحمري الموجود بولاية وهران، والجماعة الثانية يلقبون ب"القيطنيين" نسبة إلى حي القيطنة المتواجد بأرزيو، يعتبرون أنفسهم السكان الأصليين للمدينة، كل من هذين الجماعتين تحتل مجالا سكنيا خاص يتوسط كل من المجالين مسجد حي الهضاب، الذي كان يتوسط أيضا العراك الحاصل بين هؤلاء الشباب، والذين اتخذوا من الحجارة والسيوف والخناجر والسكاكين الحادة وسائل لفرض الوجود واثبات للرجولة وردا للاعتبار حيث اعتدى في البداية شاب من القيطنيين على آخر في المجموعة الثانية بالضرب والسب، ليتحول هذا على المستوى الجماعات.

وتعد السرقات المنتشرة في الحي، والتي يكون للجار يدا فيها في أغلب الأحيان إلى أخذ الاحتياطات وترصيص الأبواب، وهذا ما يبدو جليا في التصريح التالي لإحدى السيدات (المقابلة رقم 03): "جارك هو لي يخونك، تأميني بنتي في 774 واحدة لقات جارها الداخل يخونها c'est grave (...). دروك وراهم الجوارين لكان الواحد يتكل عليهم مين يخرج (...). obligé نبلع بابي"، وفي استشهاد رب أسرة (المقابلة رقم 09): "يخونوا فيك وهما يشوفوا. Normal. بكري جارك تعطيه مفتاح دارك يعسها. ودروك هو لي ييدا بيك"، وعليه الجار اليوم أصبح مصدر قلق وخوف.

وأصبحت العلاقات بين الجيران في عمومها تتصف بنوع من الحذر وعدم الثقة في الآخر، كما برزت ضرورة اتخاذ الحيطة والحذر في العلاقة مع الجار حتى لا تتوتر العلاقة وتحافظ على سلامتها بالرغم من لاعمقها. تقول سيدة (المقابلة

رقم 19): "كنا ملاح. غير مين الحية تخلطت. جاو جوارين جداد وراحوا جوارين القدام. مع جوارينا القدام ماكناش هكذا ومازلنا على علاقة مع القدام لي كل واحد وين راح" وفي مقابلة أخرى تقول سيدة أسرة (مقابلة رقم 12): " في بلو كنا قاع ملاح. علاقتنا بهم ملححة بزاف. بلو كنا قاع مشاء الله. الحمد لله. مكانش البرانين في البلوك مكانش لي يهلكننا" أي أن هناك تخوف وعدم الثقة من الجيران الجدد، والذين ينظر إليهم على أنهم السبب الرئيسي في فتور روابط الجيرة.

ويبدو أن عامل الثقة شرط أساسي في تكوين الروابط الاجتماعية بين الجيران، فكلما انعدمت الثقة اتجه الأفراد أكثر نحو الفردانية، وعدم تعميق الصلات بين الجيران. فبروز مسألة الشك من الجار يقتضي عدم مخالطته، كما يظهر التصريحات التالية لسيدات الأسر:

رقم (10): "بكري قاع دار وحدة شيرات العزبات مع الرجال قاع مع بعض"، وتقول أخرى (المقابلة رقم 02): "أنا خطيني وخطي الجوارين، البعد يجيب السلام والقرب يجيبو الكلام"، وتضيف أخرى (المقابلة رقم 28): "ما مدخلاش روعي في الجوارين. قابدا روعي. نخاف. أنا بروحي خوافة مين مخالطة".

إن طغيان الشعور بعدم الثقة يجعل الجار يخاف ويحتاط من جاره، ويأخذ نوعاً من الحيطة والحذر كوسيلة للتعامل، ولعل الظروف الأمنية التي عاشتها الجزائر في فترة التسعينات سبباً في ذلك، التي خلقت جو اللأمن واللاطمأنينة، ما أدى إلى تراجع العلاقات الاجتماعية بما فيها علاقات الجيرة، ما استدعى عدم المخالطة وزاد من تباعد الجيران، وأصبح الفرد لا يحس بالاستقلالية داخل مسكنه كما كان يحسها في الماضي، بل يشعر بأنه مراقب يسمع الجيران في بيوتهم ويدرك أنهم يسمعونهم. ومن هنا صار الجار مصدر إزعاج وانزعاج في نفس الوقت، وأصبح كل واحد يعيش وراء باب بيته، ويلغي جيرانه الذين يشكلون دائماً بالنسبة إليه مصدر انزعاج

أكثر من كونهم أصدقاء؛ وكل محاولة تدخل في الشؤون الخاصة للجار خلق اللامبالاة والتباعد الاجتماعي والاستقلالية أيضا.

والأمر نفسه بالنسبة للأسر التي كانت تعرف بعضها في السابق أصبحت تخاف من الجيران على حد تعبير كريمة (المقابلة رقم 15): "ميغوش حاجة تزيد عندك يحسدوك ياختي"، وقد صرحت إحدى ربات البيوت (المقابلة رقم 26) بذلك أيضا؛ حيث قالت: "الجار غدار لابد من الحذر منه الجيران اليوم يفرحوا لأحزانك ويحزنوا لأفراحك (...). ياختي يحسدوك لكان تزيد عندك حاجة يحسدوك"، وعليه وخوفا من العين الشريرة، التي أصبحت راسخة في المعتقد ومخيال الأفراد كان لا بد من وضع مجموعة من الرموز وإقامة البخور في حالة زيارة لأحد الجيران كما لاحظنا من خلال دراستنا الميدانية، وأصبحت تتحكم في العلاقات قيمة المنافسة والمفاخرة وما يتبعها من قيم متصلة بها مثل: الحسد، والغيرة، والبغض، والضعينة، التي قد تصل إلى خلق التوثر والكراهية.

وهناك تفسير آخر وبالرغم من أنه تفسير ميتافيزيقي أكثر منه وضعي، إلا أنه راسخ هو أيضا في تمثلات الأفراد ويفسرون من خلاله سطحية العلاقات التي تربطهم بجيرانهم وهو قلة أو غياب "النية"، ما يظهر في التصريح الموالي لإحدى المبحوثات (سيدة الأسرة رقم 01): "ما بقاتش النية كيما كانت بكري كلشي تبدل حتى جوارين. بكري كانت النية . الناس مكاتش تخاف من بعضها. العقلية تبدلت. بكري كانوا قاع كيفكيف. دروك كاين لي عنده وكاين لي ما عندهش. يدخلوا يشوفوا حية يقولوا عندها"، أي أن عدم التجانس الاجتماعي خلق نوع من التباعد الاجتماعي، وإن غياب النية معناه إدخال كل شيء إلى مجال العقل فالعلاقات وتكوينها، التفاعل والتواصل الاجتماعي أصبح خاضعا لمبدأ العقلانية وإدخال الحساب في كل شيء، فيقول سيد الأسرة (المقابلة رقم 19): "تبدلت

الجورة. الحسد بزاف. مكانش النية تاع بكري وين كانوا يدخلوا عندك بالصفاء. في الوقت الحالي المصلحة. ما يصاحبكش باش يفيدك. لا باش يدي منك. يدخل فيك باش يعرف شراك الدير. شغل مخبرات H24 ما يغفلوش "

وفي بعض تمثلات أفراد العينة اعتبرت التية مرادفة للثقة كما يبرز في الاستشهاد الموالي لسيدة (المقابلة رقم 27): " Il a trop de changer par ce que avant كانت النية، المرأة تحليلك دارها وسوالها طيبيلها وتفطريلها ولادها. ديريلها كلشي دير فيك النية confiance تدخلها راجلها pour elle أنت Mais maintenant .sœur باش تدخلها للدارها وطيبيلها je pense pas دير فيك الثقة. بكري كان شد السر par exemple تدخلها للدار تشوفي ما تشوفي متخرجيش برا متخرجيش للناس الحاجة المليحة ولا ماشي مليحة راهي في قلبك. دروك لا. أدخلني وحدة لي تشوفه راه برا. هذا le malheur تجمع وحدة في داري تروح تنشرني برا" وتضيف ذات المبحوثة: "كانت النية خالصة. ولاد الجوارين يدونا يوصلونا. نهودوا مع بعض للبلاد (centre ville) في الليل. والديك مين يشوفوك مع جارك راهم مهنيين. Mais maintenant لا. جارك هولي يتوشيك في عرضك "

وما لمسناه من خلال دراسة التمثلات تناقض واضح بين ما يؤمله الفرد وبين ممارساته، تقول سيدة (المقابلة رقم 17): "نتمنى أن ترجع العلاقات بين الجيران كما كانت في السابق دار وحدة بساح الواحد اليوم ولا يخاف دخله لدارك ومبعد يدور عليك". وأضاف آخر (المقابلة رقم 03): "جيران تاع بكري ماشي كيما تاع دروك تبدلت الحالة". وهذا دليل على التغير الاجتماعي أثر بالفعل على الروابط الاجتماعية، فتغير الظروف الاجتماعية هي التي فرضت على الأفراد قيما ومعايير جديدة وكذا تشكيلهم للنسيج العلائقي ، فقد ذكر شمبار دو لو

P. H. Chombart de lauwe "التفاوت بين الرغبات والواقع كبير ينتج عنه عدم الرضا، لأن المدينة تفرض معايير وقواعد خاصة بها على السكان التقييد بها"¹ وهذا ما تبين بشكل جلي في حديث مبحوثينا؛ إذ نلمس من جهة تمثلاتهم في ضرورة إقامة علاقات بين الجيران ومن جهة أخرى يرفضون إقامة روابط حميمة لاعتبارات عدة. من جهة يؤكدون على المثل القائل "الجار القريب أحسن من الأخ البعيد"، ومن جهة أخرى يؤكدون على "بلع باب دارك أحسن لك ولجارك" هذا كله للتأكيد على محدودية العلاقات بين الجيران.

ومن خلال المعطيات والتحليلات الميدانية تبين أنه لا يوجد اختلاف بين تمثلات السكان للجيرة حسب المجال السكني (أفقي أو عمودي) داخل حي حضري واحد، فالاختلاف كان حسب خصائص السوسيوثقافية للأسر المبحوثة كما ذكرنا أنفاً، أو حسب تجربة كل منها، فما عايشه الفرد في الماضي يكون له أهمية؛ حيث يستدعي الفرد أحداثاً معينة ترتبط بالموقف الحاضر الذي يعيشه، تقول سيدة أسرة (المقابلة رقم 22): "تدخلني فيه تحصيلي، تقعدني بعيدة خير. رانا مدعورين. منيش عارف الجار مين يعرفك مليح يولي ما علباهش بيك، ومين يكون ما يعرفكش يحترامك"

وفي تحديد مفهوم الجيرة عند سكان الحي يتلخص في الذين يقطنون بالقرب من سكناهم، يحددون الجيران في الذين يحيطون بمنزلهم، أو الذين يقطنون نفس العمارة. وعليه تنبنى علاقات الجيرة على أساس التقارب الفيزيقي للسكان.

¹ CHOMBART DE LAUWE P.H., « Les hommes et la société urbaine », In : L'homme et la révolution urbaine, Ed Gamma, Paris, 1965, P. 69.

- خلاصة

إن الجيرة تستمد قيمها الاجتماعية من الدين الإسلامي أساسا والأمثال الشعبية التي تجرد الجيرة وتطرح ضرورتها، فيعملان على تقنين العلاقات والروابط الاجتماعية بين الجيران.

هؤلاء الفاعلون الاجتماعيون يبنون تمثلات للجيرة انطلاقا من عدة متغيرات، والخاصة أساسا بميزاتهم وخصائصهم السوسيوثقافية، وكذا وضعياتهم الاجتماعية، وتمثلاتهم للمحيط والمجال السكني، وعليه تختلف تمثلات الأفراد للجيرة حسب هذه المتغيرات، فمنهم من يراها ضرورية وأساسية، ومنهم يراها غير ذلك للحفاظ على خصوصيته واحترامه وحميمية أسرته. كما أن هذه التمثلات تتشكل انطلاقا من التجارب اليومية لكل فرد، وأن الروابط الاجتماعية تتشكل وتنمو انطلاقا من تاريخ كل واحد، فتحييد أو عدم تحييد تكوين علاقات الجيرة مرتبط بسيرة كل فرد وتجاربه اليومية، وما عايشه من روابط سابقة.

الفصل الرابع

الممارسات الاجتماعية للجيرة

- تمهيد

I. التفاعل الاجتماعي بين الجيران

1. تبادل الحوار

2. تبادل الزيارات

3. تبادل المساعدات

4. تبادل الهدايا، الأطعمة والأطباق

II. علاقات الصداقة بين الجيران وسيرورة تكونها

1. مفهوم الصداقة

2. سيرورة تكون علاقات الصداقة بين الجيران

3. تصنيف الجيران

III. نحو إنتاج نموج علائقي جديد

1. التلفاز كوسيلة إعلامية، ترفيهية تواصلية

2. الانترنت كوسيلة للاتصال

- خلاصة

- تمهيد

إنّ حاجة الإنسان الطبيعية تحتم عليه العيش داخل النسق الاجتماعي فلا يمكنه العيش بمعزل عن الآخرين، وعليه تنبني علاقات الأخذ والعطاء بين الفرد ومحيطه، وتشكل التفاعلات المختلفة، وتبنى الممارسات الاجتماعية، ويظهر التفاعل الاجتماعي بين الجيران أمر ضروري، لأن هؤلاء يتقاسمون نفس المجال السكني، ونقصه به السكن داخل حي واحد، فيلتقون ويتحاورون وغير ذلك، ما يطرح تبادل في مستويات عدة. هذا التفاعل من شأنه خلق علاقات صداقة، أو خلق نوع من التباعد الاجتماعي.

I. التفاعل الاجتماعي بين الجيران

تبدأ العلاقات الاجتماعية بفعل اجتماعي يصدر عن شخص معين يعقبه رد فعل يصدر من شخص آخر، ويطلق على هذا التأثير المتبادل بين الشخصين أو بين الفعل ورد الفعل اصطلاح التفاعل، فالتفاعل يعد محور العلاقات الاجتماعية يمكن الإنسان من التواصل مع الآخرين، ويعني الأخذ والعطاء أو تأثيرا متبادلا بين فردين أو أكثر. إنه علاقة مواجهة مباشرة بين شخصين أو أكثر بحيث يتعين عن كل فرد أن يضع الآخرين في اعتباره وتقديره عند قيامه بفعله.

إن التفاعل الاجتماعي هو عملية تشكل مستمر وليست استجابة لمعايير وقواعد يحكمها الفاعلون وتلمي عليهم سلوكهم ومواقفهم، وهو لا يتم من خلال اللغة والخطاب فقط، بل يتعلق كذلك برمزية الحركات الجسدية المرافقة للكلام أو بدونه، وحسب قوفمان E. Goffman لو استطاع الفاعل التوقف عن الكلام فإنه لا يستطيع أبدا التوقف عن التواصل عبر لهجة الجسد. لقد عمد قوفمان في اقترابه ودراسته للمجتمع إلى التركيز على الأفعال والنشاطات المتبادلة للأفراد، بحيث صب اهتمامه على التفاعلات الاجتماعية وعملية الإخراج (التمسرح) *la mise en scène* للنظام الاجتماعي (*ordre social*)¹ تكون فيه القواعد والطقوس والممارسات مضبوطة ومقننة *ritualisées*²، ويضيف قوفمان E. Goffman بأن التفاعلات وجها لوجه تشكل شبكة الاجتماعي، والتي يتم ضبطها عن طريق طقوس التفاعل (قواعد اللياقة، كيفية التحدث والكلام....) والتي تسمح للأفراد بتقديم صورة حسنة، وعليه يشبه الحياة الاجتماعية بالتمسرح يلعب فيه الأفراد أدوارا على خشبته حتى لا يفقدون ما أسماه بماء وجههم، فالمجاملة الاجتماعية ضرورية في التفاعل الاجتماعي بين الأفراد. ويسعى كل فاعل في كل لقاء على

¹ Cf. GOFFMAN E., La mise en scène de la vie quotidienne, Les éditions de minuit, Paris, 1973.

² Cf. GOFFMAN E., Les rites d'interaction, Les éditions de minuit, Paris, 1974.

تقديم صورة قيمة عن نفسه حتى يحض بقبول الآخرين، مع الحرص على عدم الكشف عن حقيقته لهم، فهي أحد الرهانات الرئيسية للتفاعل الاجتماعي.

ويقول قوفمان E. Goffman في هذا المجال إنه "يدخل الأفراد في علاقات متبادلة ومضبوطة، وإلى استعمال وتوظيف نماذج تكيف والقواعد الجارية والسارية، والتي تحمل في طياتها بعض الانحرافات الخفية وحتى التجاوزات العلنية والواضحة"¹، وفي هذا الإطار يطرح هذا المفكر شكلين من الاتصال الأول صريح واضح علني، والثاني مخفي غير مباشر، يسعى من خلاله الفرد على تمثيل نفسه لغيره من الناس على الصورة التي يريد هؤلاء أن يروه عليها.

وعلى هذا الأساس يقسم قوفمان الروابط الاجتماعية إلى منطقتين أساسيتين، الأولى المنطقة الأمامية أو الواجهة (خشبة المسرح)، أين يتفاعل فيها الفاعلون مع الجمهور وعليه احترام أدوارهم الاجتماعية، والثانية هي المنطقة الخلفية (الكواليس) تعتبر مغلقة على الجمهور، ولا يسمح لهم بدخولها، وهنا الفاعل يمكنه الاسترخاء أو التحضير لعرض جديد، هذه المنطقة تحمل بعض الأسرار والخصوصية. والشيء نفسه ينطبق على الأفراد في تفاعلهم، فهناك صورة إيجابية يحرص الفرد على تقديمها والظهور بها، وهناك صورة غير مضيئة يحاول الفرد إخفائها، كما "تحدد مكانة الفرد في ضوء إشارات اصطلاحية كاللباس والمظهر، ويتضاءل فن الحياة بالتدرج ليصبح مجرد لعبة على أسطح رقيقة أو مجرد دراسة فضولية للأزياء وأنماط السلوك"²

وباعتبار أن التبادل والاشتراك في مواجهة بعض الاحتياجات أو المصالح المشتركة يؤدي إلى وجود التفاعل الاجتماعي من شأنه أن يخلق الروابط الاجتماعية بين الجيران، إذ أن

¹ GOFFMAN E., La mise en scène de la vie quotidienne, op. cit, P. 12.

² برك روبرت -ارنست برجس- رودرك ما كينزي، المدنية، تعريب: سيد عبد العاطي وأبو بكر أحمد باقادر، ط 1، وكالة تبر للدعاية والنشر والإعلام، جدة، 1988، ص. ص. 52-53.

التبادل "رابط اجتماعي أساسي Primordial"¹، كما أن "فعل الفرد الواحد يجري تعريفه وتحديد جزئيا من خلال أفعال الآخرين"²، فلا يمكن فهم ممارسات الأفراد للجيرة إلا من خلال ما يحصل بينهم من تبادل. من شأن هذا التبادل أن يولد لدى الفرد "أفكار ومعتقدات وردود فعل شعورية وحاجات وطباع (...). كل ذلك هو تعبير عن شبكة العلاقات التي ينبثق عنها الفرد ويندرج ضمنها"³. ويمكننا تحديد هذا التبادل من خلال الدراسة الميدانية في عدة مستويات نجملها في: الحوار، الزيارات والمساعدات، تبادل للهدايا، والأطعمة والأطباق.

1. تبادل الحوار

يعد الحوار أداة تواصل فعالة تساهم في تكوين الروابط الاجتماعية، فالمحادثة وتبادل الحوار مجال للتبادلات الرمزية، تسمح لنا كممارسة لغوية بفهم كيف يشيد المتكلمون عمليات التواصل المهيمنة على التفاعل، فأية دراسة عن الحياة الاجتماعية يقول هابرماس Habermas- الذي يعتبر من رواد تجديد التوجه النقدي- "لا يمكنها أن تستغني عن دراسة اللغة كعنصر أصلي مشكل للشخصية الإنسانية، وكعنصر يعيد إنتاج الحياة الاجتماعية"⁴

تعتبر اللغة من أهم الرموز التي يتم استخدامها في عملية التفاعل الاجتماعي اليومي، كما قد تستخدم الإشارات ولغة الجسد كذلك في التعاملات اليومية، فالفرد في تفاعله مع العالم يجد نفسه أمام جدار سميك من الدلالات الرمزية، وعليه أن يتوفر هذا الفاعل على أدوات مرجعية اجتماعية وثقافية تساعد في عملية التأويل التي يقوم بها في تفاعله مع الآخرين. فما يهمنا أيضا في هذا المقام إدراك المعاني الكامنة وراء هذا التبادل.

¹ ETIENNE J. - MENDRAS H., Les grands thèmes de la sociologie par les grands sociologues, Armand colin, Paris, 2004, P. 101.

² دوبريه بودوان، "تواصل الذوات والمؤسسات والتاريخ. حاشية على التفاعل والاكراه"، ترجمة إيمان فرج، متون عصرية في العلوم الاجتماعية: نوربرت إيلياس-التمدد بين الاجتماع والتاريخ-، العدد 2، المطبعة الذهبية، القاهرة، 2001، ص. 51.

³ ELIAS N., La société des individus, Traduit de l'allemand par Jeanne Étoré, Fayard, Paris, 1991, P.72.

⁴ Cité par : MARTUCCELLI D., sociologies de la modernité, Folio essais Gallimard, Paris, 1999, P. 324.

إن تبادل الحوار ينطلق في البداية من تبادل للتحايا، وإن سكان الحي المدروس يتبادلون التحيات تارة بالكلمات والقبل، وتارة لا تتعدى فقط رفع الأيدي أو بحركات مثل هز الرأس، هذه التحيات أصبحت تخلو في عمومها من أي جانب وجداني، وأضحت تلقائية آلية تحدث من باب الحفاظ على الأمان أو الابتعاد عن العداوة، أو كما سماها قوفمان E. Goffman الحفاظ على ماء الوجه، فعيب وعار إذا مر الجار بجانب جاره دون إلقاء التحية. لكن وفي مقابل هذا نجد كذلك بعض السكان الذين يسكنون سواء في العمارة السكنية الواحدة، أو في الشارع الواحد لا يعرفون بعضهم البعض، وبالتالي لا يلقون التحية على جيرانهم، كما جاء على لسان إحدى ربات البيوت (المقابلة رقم 13): "جوارين الجدد ما نعرفوهمش الحية تبدلت"، فمسألة تغيير المساكن باستمرار حسب ظروف معينة كتغيير العمل أو مكانه، أو راجع إلى توسيع المسكن وغيرها. من العوامل التي تجعل الجيران غير متبعين لهذه العملية فلا يعرف الجار جاره، فيمر بجانبه دون تبادل التحية. لكن هذا قليل في مجتمع بحثنا لكنه موجود لا يمكن التغافل عليه.

هذا فيما يخص الالتقاءات العابرة أما عن الالتقاءات المقصودة، والتي تكون على إثر دعوة لمناسبة معينة، تختلف التحية، فتأخذ نوع من الحميمية، حسب ما تم ملاحظته في كثير من المناسبات، فتختلف طريقة القبل لتصل إلى العناق الحميمي.

ويعتبر كذلك الحديث المتبادل بين الأفراد مقياساً هاماً يبين مدى قوة الروابط الاجتماعية فيما بينهم، فإن كان حديثاً يسوده التفاهم والمناقشات الهادفة، دل ذلك على قوة هذه الروابط، أما إذا كان مضمون الأحاديث خلاف دائم أو نقاش لا يسوده التفاهم العام دل ذلك على ضعف الروابط الاجتماعية. ومن خلال المعاينة الميدانية اتضح أن أفراد عينة الدراسة يتحاورون مع بعضهم البعض عن أمور تتعلق بالحياة اليومية للأفراد وفي مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وحتى المشاكل الخاصة بالحي إضافة إلى أمور أخرى كالدين على سبيل المثال.

وهذه الأمور يختلف النقاش فيها حسب أهمية الموضوع لدى الأفراد ومدى معاشتهم للأوضاع السائدة، كما تختلف باختلاف خصائصهم السوسيوثقافية، ولو أردنا ترتيب مجالات الحوار والمحادثة فإن الأمور الاجتماعية والتي لها علاقة بالحياة العائلية ومشاكل الأطفال وتدرسهم، أمور الطبخ والتدابير المنزلية تحتل الصدارة في حوارات نساء عينة الدراسة، وهذا لأنها تدخل من الاهتمامات النسائية. وفي المرتبة الثانية حديث عن الحي وسكانه، والذي فيه نوع من تتبع الأخبار عن الجيران وتناقيلها، مشاكل الحي: كتحدث عن الإنارة أو تنظيف العمارة وغيرها. وبالنسبة للمساكن الفردية الحوار يتم حول كيفية تنظيف الشارع من الأوساخ والقمامات وغيرها من مشاكل متعلقة بالحي، بعدها تأتي الأمور الاقتصادية كارتفاع أسعار المواد الاستهلاكية وأمور سياسية التي تعد أقل أهمية في حوار الأفراد وغيرها من المواضيع.

تبرز هذه الحوارات بدرجات متفاوتة وفي أوضاع متباينة، وهذا راجع لوعي هؤلاء السكان وتطلعهم على التغيرات والمستجدات وإلى خصوصية كل منهم. وتتم هذه الحوارات في سلام العمارة أو على سطوح المنازل أو عند الالتقاء صدفة خارج الفضاء السكني، أو عند التزاور.

2. تبادل الزيارات

يعد عنصر التزاور من أهم العناصر التي تؤكد على استمرار التواصل والمودة بين الأفراد، وهو سلوكا اجتماعيا يحمل في مضمونه تأكيد استمرارية الروابط الاجتماعية، كما يعد من الواجبات الاجتماعية المنوطة بالجار والمستمدة من النص الفقهي الشرعي. وعليه حاولنا من خلال هذا العنصر معرفة مغزى وأهمية هذه الزيارات وحجمها لدى أفراد العينة.

واتضح لنا من خلال المعاينة الميدانية أن هذه الزيارات أصبحت مرتبطة بالمناسبات فقط وهذا ما أكده أغلب أفراد العينة، وجاء في التصريح التالي لسيدة (المقابلة رقم 18): "علاقتنا بالجوارين très bien ندخلوا بالمناسبات. كل واحد لاهي في روحه لاهي في داره.

يسمعوا بكاش حاجة يجو يطلوا (...). أنا نخرج عند الناس نحمد ولا في غير وجهك نعزي"، وقد اعتبر التزاور في كل الأوقات مضيعة للوقت وسبب للتجسس على خصوصيات الجار وكذا سببا في المشاكل والتنافر؛ حيث صرحت إحدى المبحوثات (سيدة الأسرة رقم 17): "ندخلوا غي في المناسبات. باش الدخول والخروج في كل وقت لا. البعد يجيب السلام والقرب يجيب الكلام"، وفي اسشهاد لرب أسرة (المقابلة رقم 10): "ما عندناش روح ورواح، أنا عندي المراة خطيها الدخال والخراج. خواتاتي لي كبروا هنا وخاطيهم المشاكل"، وذكرت سامية (المقابلة رقم 03): "حنا خاطينا الدخول كل وقت. مين نتلاقوا quotidiennement خير كيراك. نتزاوروا غي بالمناسبات. مين تسمعي بكاش حاجة. مرض تروحي ترقبي. ولا مناسبة تاع عيد تروحي تغافري (...). علابيها علاقتنا طيبة مع الجوارين"، وذكرت سيدة الأسرة رقم (14): "خاطينا وخاطي الجوارين. أنا مندخلش غي هاك. هذيك تاع الدايقنت نطبطب ونجي نجمع ما عندناش"، وتقول سيدة الأسرة رقم 26: "مين يدخلوا في بعضاهم، ويعرفوا اسرار بعضاهم تكثر المشاكل، كيما يقولوا البعد يجيب السلام والقرب يجيب الكلام، كيما البارح دابزوا زوج، هدرنا les truques لي كانوا بناتهم"

إذن ومن خلال كل التصريحات السابقة يتبين أن الزيارات المتبادلة من وجهة نظر الفاعلين لا ينتج عنها إلا المشاكل هم في غنى عنها، فقلة الزيارات اليومية وارتباطها بالمناسبات ترجع أساس إلى المحافظة على العلاقات الطيبة، وكذا على الاحترام المتبادل. كما أن عدم رد الزيارة يعني توقيفها فقد صرحت سيدة أسرة (المقابلة رقم 03): "جوارين كل واحدة وبلاصتها وقيمتها عندي. كاين لي تسمعي بها أي حاجة تروحيلها. وكاين لي تسمعي بصاح خاطياتك. ما تجيش عندك ما تقدريش تروحيلها"، وهنا تصنيف واضح للجيران على حسب الزيارة، وتصريح واضح لهذا التبادل، فالزيارة تتطلب ردها، وإذا لم يتم ردها يؤدي إلى قطعها.

إن الزيارات المستمرة التي كانت بين الجيران سابقا قد تغيرت، وأصبحت اليوم محتشمة، فقد قالت إحداهن (المقابلة رقم 01): "بكري كنا ندخلوا على بعضانا في كل وقت أصلا ما كانش باب دار يتبلع، ودروك كل واحد مبلغ على روجه خترات تروحي ططبي ما يجلوش عليك، أيا كل واحد يشد حرمة نتلاقوا سلموا على بعضانا. بصح هذاك دخول ولخروج بزاف ماشي مليح ينعاف ملاه، وناس بكري قالوا خفيف لقدام ينمل لكان في وجهه مرايا...". وقالت أخرى (المقابلة رقم 13): "ماراهمش يبغوا لي يدخل عليهم ياختي هنبلع داري ونقعد مع ولادي خيرلي" وأضاف سيدة الأسرة (المقابلة رقم 04): "نبلع بابي، ونبلع فمي. الفم المبلع ماتدخله دبانة"، وهذا كله تفديا للمشاكل التي قد تنشأ من الدخول المستمر للجيران.

وتشير التصريحات السابقة أن سبب عدم تبادل الزيارات بين الجيران يرجع إلى الحبيطة والحذر والتخوف من الجار باستمرار، والسبب الكامن وراء ذلك - حسب رأي الفاعلين الاجتماعيين - راجع لاختلاف الثقافات والعادات والتقاليد لذا أرادوها علاقات سطحية غير عميقة للمحافظة على العلاقات الطيبة بين الجيران، فكما أشار هنرز Hannerz أن "الإغلاق الجيد يصنع جيرة جيدة"¹، بمعنى كلما قلت الزيارات وتبادلها كلما حافظ الجيران على الاحترام المتبادل. كما أن العمل وكثرة التزامات الأفراد لا تمكنهم من تبادل الزيارات مع جيرانهم، كما يظهر في استشهاد سيدة (المقابلة رقم 09): "مكانش الوقت باغي نزور جارتي بساح الله غالب"، إذ أن كثرة انشغالات الأفراد والتزاماتهم المهنية قد تقف عائقا أمام زيارة الجيران بالرغم من وجود رغبة شديدة لذلك.

وأصبحت الزيارات تأتي تلبية لواجب "المجاملة" في معظم الأحيان، ومن مناسبات التزاور مناسبات الأفراح وتقديم التهئة بمناسبة نجاح مدرسي أو ازدياد مولود وغير ذلك، أو في مناسبات المآتم والأحزان، فيتم تقديم الإعانة والدعم المادي والمعنوي خاصة وتقديم

¹ HANNERZ U. , Explorer la ville, Ed. de minuit, Paris, 1983, P. 326.

العزاء في حالة ما توفي أحد أقارب الجيران وكذا المرض باعتبار زيارة المريض واجب ديني. ومن المناسبات أيضا تهنئة الجار الجديد والتعرف عليه لكن هذه الممارسة أصبحت تتلاشى، تقول سيدة أسرة (المقابلة رقم 31): "منعرفش جواريني لخاتش واحد مجاش باركلي بالسكنة الجديدة عرفت بلي واحد ماباغي يدخل على لآخر شديت روجي سلام بناتنا منقطعوهاش بساح كل واحد في حده" نفس الطرح نجده أيضا في استشهد السيدة (المقابلة 22): "مين سكنت جات عندنا وحد الجارة تيارتية وقالتنا جيت رحب بكم مين عتو من البلاد وكل واحد يشد قدره. ومبعد قالتنا راجلي ما يبغيش الخلطة"، فبالرغم من أن الحالة الأولى تختلف عن الثانية لكن رسالة الجيران واضحة في عدم المخالطة، الأولى كانت بطريقة غير مباشرة، أما الثانية فكان مضمون الرسالة واضح وصريح، ما يفسر التخوف من الجار الجديد، فإما عدم زيارته وتهنئته عند السكن وهذا دليل عن رفض مخالطته، أو زيارته للتهنئة لكن في ذات الوقت تحذيره من رد الزيارة.

كل هذا لا ينفي وجود فئة قليلة من أفراد العينة تقوم بواجب زيارة الجيران بصفة دورية، كما هو الحال بالنسبة للأسرتين رقم (32) و(19) فكل منهما أكدا العلاقة الحميمة بينهما وعلى الزيارات الدائمة والمستمرة بينهما؛ حيث قالت زوجة الابن توفيق (المقابلة رقم 32): "حنا ما ندخلوش على تا واحد. غي لكنت مناسبة تدخلي تعزي ولا تحمدي هذا مكان. ولا يجو يرقبوا على 'ما' مين مريضة وهي الكبيرة في la cité بصاح مع التيارتية [تقصد الأسرة رقم 19] حنا وياهم دار وحدة"، فهي بهذا ترى أن زيارة الجار لا تقتصر على المناسبات فقط، بل يجب أن تكون يومية، ولو مع جار واحد، فلا يمكن أن يعيش الواحد منعزلا عن الآخر؛ حيث ذكرت سيدة أسرة (المقابلة رقم 05): "الواحد ما ينجمش يعيش مع روجه. محتاجي محتاجي للجار. ما تعياي تقوي دارك غاية محتاجي للجار. أصلا متنجميش تعيشي وحدك بلا ما يطبب عليك جار، ولكان مكانش جورا مايعرف الواحد خوه شاعنده. ولكان كل الواحد يبلع بابه نجيبوها غي في روحنا"، وعليه فحق الجار على جاره زيارته وسؤال عليه على حد تعبير ذات المبحوثة.

3. تبادل المساعدات

تعتبر المساعدات التبادلية مؤشرا آخر من المؤشرات الهامة لفهم أنماط العلاقات والروابط الاجتماعية التي تربط الأسر بجيرانهم داخل الوسط الحضري. ونقصد بتبادل المساعدات التبادل السلعي أو الخدماتي بين الجيران، إذ أن التبادل يقتضي الانتفاع المعتمد في إشباع مختلف الحاجات، وهو ما يعبر عنه بالتساند الوظيفي.

يتمثل التبادل السلعي في اقتراض أو إعارة بعض الأدوات المنزلية أو المواد الغذائية والمواد الاستهلاكية البسيطة كالمح، السكر، الثوم، وبعض الخضراوات في الحالات الاضطرارية لإعداد الوجبات الغذائية، ومن خلال المعاينة الميدانية اتضح أن القلة من أفراد العينة من يعيرون بعضهم البعض هذه المواد، راجع أولا إلى وجود محلات المواد الغذائية العامة إحداها لأحد سكان الحي ما يجعلهم بدلا من الاستعارة يقومون بعملية الشراء من محل الجار (هذا فيما يخص المساكن الفردية). أما في المساكن العمودية تتم عملية التبادل في حالات الاضطرارية وبصفة محتشمة مع الجار القريب وخاصة المقابل للمسكن.

ويرجع السبب الأهم في قلة هذا التبادل إلى الظروف الاقتصادية وغلاء المستوى المعيشي كما يظهر في الاستشهاد الموالي لأمينة (المقابلة رقم 05): "طَلَبْتُ السوالح كانت Mais dernièrement .avant راحت مين غلاة المعيشة دروك je crois هذي n'existe plus. لا كفى الواحد روحه راه غاية" إذن الوضع السويواقتصادي أدى إلى تغيير في بعض أشكال الرابطة الاجتماعية.

إلا أن هناك بعض الأسر مازالت لحد الآن تعير بعض السلع الضرورية لبعضها البعض، ما يظهر جليا عند كل من الأسرتين (11) و(12)، فقد صرحت سيدة الأسرة الأولى: "مازلنا لدروك نتسلفوا السوالح، الزيت، البطاطا، ملح. نقوللها يرحم بوك ما قولتش لجارك. ولكن قولتله يتنارفا عليا. أعطيني ديبانيني (dépanné) ومبعد ردلك. نتسلفوا الكثيرة الاحتياجات اليومية. يا أختي مول التاج ويحتاج" وقالت سيدة الأسرة

الثانية: "مازلنا كيما بكري نتسلفوا les épices القش، الصياغة، كلشي. لي يقصدونا فيها نعطوهاهم" ما يعني أن الاعتماد على الجار في مسألة التبادل السلعي مازال قائما بالرغم من قلته.

ويعبر التبادل الخدماتي عن تقديم خدمة تكون بمثابة مساعدة إدارية أو صحية أو اجتماعية وغيرها، كمساعدة في استخراج الوثائق من البلدية أو التكفل بالتحاق طفل بالمدرسة، أو التوسط للحصول على العمل والتوظيف، أو تقديم خدمة معينة كالحصول على قفة رمضان.

ومن التصريحات التي تثبت ذلك استشهد أمينة (المقابلة رقم 18): "يقصدوني بزاف باش نخرج لهم الكواعط من البلدية ولا extrait de naissance, fiche familiale وخديجة أختي تقري ولادهم مين يقصدوها. ما فيها والوا الجار للجار" وقالت فاطمة (المقابلة رقم 07): "شعال من وحدة دخلتلها ولادها يخدموا في البلدية، لي تقصدني ما ردهاش"

وصرحت سيدة الأسرة رقم 13 بأن البنت المتزوجة للأسرة رقم 02 أحضرت لها قفة رمضان إلى غاية مسكنها، بعدما قصدتها وطلبت منها ذلك، كما يشهد جيران الأسرة رقم 29 بتفاني ربة هذه الأسرة في تقديم خدماتها فيما يخص توفير الكتب المدرسية، ومساعدتهم للاستفادة من المنح الدراسية، تقول ربة الأسرة رقم (29): "الخلطة منبغهاش، بساح لقصدني الواحد على حاجة ماردهش. حنا متربين هكدا في دارنا. مربين على هذه السيرة. لكان تكون الحاجة التالية نمدها ومانقولش ما عنديش. بساح الخلطة تاع روح ولي لا. يسحقوني ندير لولادهم les cours نجيب الكتب، des renseignements تاع 300 mille، ولا تاني dépanage تاع الدراهم". والأمثلة كثيرة في هذا المجال ما يؤكد وجود تبادل خدماتي بارز بين الجيران بالمقارنة مع التبادلات السابقة وبالرغم من عدم مخالطة الجيران.

وفيما يخص المساعدات المالية فهي تخضع بالضرورة لمبدأ التبادل، كما جاء في تصريح رب أسرة (المقابلة رقم 20): "أنا كانوا يسحقوني في الدراهم باش نسلفهم. أنا نعطيهم ومين يكون خاصني نقصدهم يقولولي ما عندناش، من عندي ومن عندك تنطع ولكن غير من عندي تنقطع. واحد كنت نعطي له دائما مين يقصدي وختره كنت مسحق تاع بصاح قالي ما عنديش. حلفت ما نسلف ما نسلف. كل واحد يدبر راسه"، يذكر هذا المبحوث بأنه كان يعير جيرانه المال عند طلبهم، لكنه عندما احتاج لم يجد من يعيره، لهذا توقف عن إعارة الأموال.

4. تبادل الهدايا، الأطعمة والأطباق

كان من الضروري قبل تناول هذا العنصر طرح دراسة مارسل موس M. Mauss عن الهبة أو العطاء، والتي أكد فيها ضرورة إعطاء هدية وانتظار أخرى، معبرا عن أن الهبة تعد أحد الاكتشافات البشرية المذهلة التي ابتدعها الناس للتواصل فيما بينهم وإقامة علاقات تبادل بين الأفراد والجماعات تعزز من فرص التعايش السلمي بينهم، كما توصل إلى أن الهبة في المجتمعات القديمة لم تكن مجرد أفعال ثنائية ينخرط فيها طرفان (أفراد أو جماعات) عشوائيا، بل هي نظام شامل شديد التعقيد من المبادلات ينتقل بموجبه جميع أنواع الممتلكات والحقوق بين الأطراف المعنية دونما حاجة إلى السوق وإلى العقود الوضعية. ويفسر موس M. Mauss هذا النظام التبادلي في ثلاث ضرورات الأولى إلزامية تقديم الهبة يقابلها إلزامية تقبلها، إذ أن هذه الهدية إذا لم تقبل، يجعل "المستقبل يفقد مكانته فهي إعلان واعتراف بالهزيمة سلفا"¹، وهناك إلزامية الرد عنها، فالهدية التي لا يرد عليها تجعل متقبلها في وضعية دونية، خصوصا عندما تقبل الهدية من دون أن تكون هناك نية للرد عليها. ويكون الرد على الضيافة بالضيافة، مثلما هي الحال بالنسبة إلى التحية، ويجب الرد على الهدايا بأحسن منها.

¹ MAUSS M., *Sociologie et anthropologie*, Puf, Paris, 1968, P. 210.

إذن الهبة من هذا المنظور تؤسس لعلاقة التبادل وتعزز العلاقات بين الأفراد، كما يقال في فضل الهدية "تهادوا تحابوا"، بمعنى أن الهدية تعمل على استمرار العلاقة وتوطيدها، قال رسول الله ﷺ: ﴿تَهَادُوا بَيْنَكُمْ فَمَنْ أَهْدَى لَهُ أَخُوهُ هَدِيَّةً فَوَجَدَ مَا يُكَافِئُهُ فَلْيُكَافِئْهُ﴾¹، ويقال في المثل الشعبي: "لي جا وجاب، يستاهل الفراش والجواب. ولي جا وما جاب، يستهال تحريشة من الكلاب"²، هذا المثل يؤكد ضرورة التبادل في خلق الرابطة الاجتماعية، ويقال أيضا: "من عندي ومن عندك تنطبع ولا من عندي تنقطع". وهذا الأمر يتعداه ليشمل التضامن الذي سيتم مناقشته في حينه.

تخضع الهدايا وتبادلها لمتغيرات عدة وتختلف هذه الهدايا على حسب طبيعة العلاقة بين معطي الهدية ومستقبلها إن كانت عميقة أو سطحية، أو حسب المناسبات التي تقدم فيها الهدية (زواج، ميلاد طفل، نجاح مدرسي وغيرها)، تجعل مانح الهدية في موقف الدائن أما من يتقبلها يصبح في موقف المدين، على هذا الأخير رد الهدية في إحدى المناسبات، وهذا ما يجعل من سيرورة التفاعل تتواصل وتستمر فكما أشار بورديو³ أن مانح الهدية يضيف لنفسه شرف اجتماعي أو رأسمال رمزي يتكاثر ويتضاعف، بينما الرأسمال الرمزي للمدين أو من أخذ الهدية يتناقص، وهذا ما يبدو في العبارات التي تتردد على ألسنة المبحوثين في مناسبات الأعراس و"التحماد" خاصة، ألا وهي: "رديت ديني" "الرد الدين لي عليا".

وفيما يخص تبادل الأطعمة والأطباق تعرف هذه الممارسات تناقضا ملحوظا، راجع بالدرجة الأولى إلى عدم الثقة والشك المتواصل في الآخر (الجار) والخوف من السحر، كما يبرز في تصريح زوجة الابن (المقابلة رقم 14): "كنت نمد لجارتي قاع الحاجة المليحة لي طيبها سمعت ماراهيش تاكلها تروح ترميه ماوليتش نمدلك" ثم أضافت ذات المبحوثة بنبرة من السخرية وبصوت هافت "زعمة راني نسحرها. ها نسحر لراجلي لراه مهبلي"، هذا

¹ مسلم أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، مصدر سابق، ص. 1054

² مرتاض عبد الله، الأمثال الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص. 33.

³ Cf. BOURDIEU P., Le sens pratique, Ed. de Minuit, Paris, 1980, P. P. 191 - 207.

التصريح يميلنا بالضرورة إلى موضوع السحر، والذي أصبح مرتبطاً بشكل كبير بتمثلات الأفراد، وينعكس على ممارساتهم، يعطي للروابط الاجتماعية منحى آخر، لن نتمق فيه، لأنه يحتاج دراسة أخرى، فقط نحاول أن نؤكد على أن هذا المعتقد يساهم بشكل كبير في تشكيل وإعادة تشكيل الروابط الاجتماعية، الناتج أساساً عن عدم الثقة والشك بالآخر كما سبق الذكر.

كل هذا لا ينفي وجود بعض الأسر التي مازالت تحافظ على تبادل الأكلات والأطعمة بين الجيران، نلمسه في تصريح سيدة الأسرة (مقابلة رقم 23): "مع الجارة المقابلة نرسلها وترسلي مين نطيبوا حاجة مليحة"، تدخلت بنتها في الحوار وقالت: "traditionnelle" كما البغري، البسمن والطعام*" ثم واصلت الأم حوارها قائلتا: "ثاني مع حياة [جارة تسكن معها في نفس الطريق] دير حاجة ترسلنا وحننا ثاني، وامرأة جبور** امرأة كبيرة مين نديروا حاجة نرسلوها، ندوقوها ثاني مين يكون عيد ولا حاجة نرسل بناتي عندها يديروها القاطو كل عام"، يكون هذا التبادل مقترنة بالاحتفالات الدينية، الخاصة بعاشوراء ورمضان وعيدي الفطر والأضحى، أو يكون يوم الجمعة، ويتميز بمحدوديته في الجيران المتقاربين اجتماعياً، كما نجد التبادل في الأطعمة والمأكولات عند كبار السن أكثر.

وإنّ عدم الرد على ما أعطي من طبق الأكل، أو الرد بأقل منه يفسر على عدم الاستمرار في العطاء كما جاء في تصريح إحدى السيدات (المقابلة رقم 08): "جارتني في رمضان مديتلها ماكله في الطابسي رجعتلي تفاح خامج في طبسيا، فهمت بلي ما تزيدش تمارلي. أيا حبست مرانيش نسرلها"، أي أن الأسرة المستفيدة من العطاء، وبإرسالها تفاحاً رديئاً غير قابل للاستهلاك كرد للعطاء الذي قدم لها، رفضت تماماً هذا التبادل.

* تعد أكلات تقليدية جزائرية

** هذه الجارة هي امرأة كبيرة في السن وليس لها بنات، فقد أنجبت أربع ذكور فقط.

وعليه يتم التأكيد على أن التبادل سواء على مستوى الحوار، أو الزيارات أو المساعدات أو فيما يخص الهدايا، الأطعمة والأطباق قد تناقص بشكل عام عما كان عليه سابقا، وبالرغم من ذلك مازال نشهد بعضه بطريقة محتشمة.

II. علاقات الصداقة بين الجيران وسيرورة تكونها

تعد علاقات الصداقة نوع من الروابط الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد والجماعات، تتميز بالتفاعل الدائم والتبادل المستمر بين مكوناتها. وعليه نتناول مفهوم الصداقة وسيرورة تكونها بين الجيران.

1. مفهوم الصداقة

تعتبر الصداقة علاقة اجتماعية حرة ومختارة، تخلق نوع من الحميمة بين أعضائها، وتمثل العلاقة أكثر تعقيدا، ولقد تأثرت كثيرا بالحضرية، وظهر ذلك على المستوى البنائي والوظيفي للعلاقات التي تربط الأفراد؛ إذ أن كبر المجتمع يعطي فرصة أكثر لاختيار الأصدقاء، فهي في المدن أكثر تنوعا واتساعا، ولا ترتبط بمجال جغرافي واحد، وإن "طرق تكوين الروابط بالوسط الحضري تتغير حسب موقع الفرد في دورة الحياة ووضعيته الاجتماعية، وحسب حجم المجتمع الذي يعيش فيه لتصبح المدينة آلة لشبكة العلاقات والروابط التي ينجم عنها نوع من الاختلاط وتبادل الأفعال"¹

وفي تحديد مفهوم الصداقة طرحت دراسة كل من مزونيف و J. Maisonneuve ولامي L. Lamy² ثلاث مواضيع كبرى: الأول خاص بالحوار والتواصل، والثاني متعلق بالتعاون والتساند، أما الموضوع الثالث فيخص الوفاء والأمانة؛ بمعنى تضع هذه الدراسة معاني الصداقة في الرغبة في التواصل

¹ GRAFMEYER Y. – AUTHIER J.Y., *Sociologie urbaine*, Armand colin, Paris, 2008, P. 93.

² Cf. MAISONNEUVE J. - LAMY L., *Psycho- sociologie de l'amitié*, Puf, Paris, 1993

الدائم مع الصديق، الصراحة وسهولة التواصل معه، التشابه والتكامل بين الأصدقاء، كما أن هؤلاء يعتمدون على بعضهم البعض في حل المشاكل ويمكن الاتكال على بعضهم البعض، إذ تتعدى المساعدات بينهم من مادية خدمانية وحتى معنوية، وتعتبر الصداقة علاقة مقدسة تبنى على الثقة المتبادلة. وتوصلت دراسة بدار¹ C. Bidart هي الأخرى في تحديد مفهوم الصداقة إلى طرح ثلاث فئات كبرى وهي: المساندة في المشاكل الكبيرة والاتكال على الصديق لحلها، والثقة، والصراحة.

أما لدى عينة الدراسة يرتبط مفهوم الصداقة بمفهوم الثقة لدرجة كبيرة، والتي ترتبط بحفظ الأسرار خاصة تختفي معها كل الحدود؛ فيصرح ويوحد الصديق لصديقه كل ما يخطر بباله دونما حرج وخوف، نجد هذا المفهوم عند النساء خاصة، وتردد كثيرا في تصريحاتهن؛ حيث جاء على لسان إحدى السيدات (المقابلة رقم 24): "الصحبات [توقفت قليلا] الصحبة هي الثقة، مين تقدري تحكيلها كلشي وماتخافيش تخرجك سرك، الصحبة مين تريجيلها وماتخافيش منها، تحكيلها على حياتك وحتى على دارك c'est la franchise". الصديق إذن هو الذي يحفظ أسرار صديقه، ويشعره بالراحة والطمأنينة النفسية، يمكن التعامل معه بكل صراحة دون إخفاء أمور أو حقائق، تقتضي تفهم الصديق لصديقه؛ كما يعني الصداقة مشاركة الصديق أفراحه وأحزانه وكذا مشاكله.

وإنّ الأصدقاء هم الذين يمكن الاتكال عليهم عند التعرض للمشاكل العويصة، تضمن الدعم المادي لهم، يقول سيد أسرة (المقابلة رقم 04): "صاحبي لي نلقاه وقت الشدة، غير هاك ما عندي ماندير بيه، نقدر نتكل عليه في كلشي، لا سحقيته نلقاه، ماشي كيما رانا نشوفوا، حبيبي بساح مين نقصده يبدأ يتهرب، ماشي

¹ Cf. BIDART C., L'amitié : un lien social, La découverte, Paris, 1997.

هاك، ماشي هذه هي الصحبة، الصحبة حاجة كبرى غي لي يفهمها"، فعند الرجال خاصة يرتبط مفهوم الصداقة بالدعم المادي خاصة، والمشاركة في المواقف الصعبة، والوقوف معا جنبا لجنب. وتؤخذ الصداقة صفة القداسة لدى أفراد العينة، وتعتبر رابطة اجتماعية مقدسة تخضع لشروط ومعايير، إذا انتفت تختفي معها هذه الرابطة، التي ترتبط بعامل الوقت خاصة. وعليه نتناول سيرورة تكون الصداقة بين الجيران.

2. سيرورة تكون علاقات الصداقة بين الجيران

تبدأ الجيرة من أضيق الحدود من شقة إلى أخرى تجاورها في نفس العمارة أو في نفس الطريق، ثم تتوسع فتتصل بباقي المساكن من داخل المجال السكني، ثم تخرج منه إلى مساكن أخرى داخل الحي، فالساكن الجديد "يرتبط بعلاقات مع الجيران على أساس علاقات شخصية مكتسبة، وهي أقل جبرية من التي كانت مفروضة عليه في الجماعة الريفية (...). تعمل المدينة على الربط بين الأفراد على أساس جغرافي، واجتماعي ومهني"¹، فهي علاقات اختيارية. وعليه تمر علاقات الصداقة وتكونها لدى أفراد العينة بمراحل ثلاث، وهي:

1.2. المرحلة الأولى

إنّ علاقات الجيرة لا تأخذ دائما نفس الشكل، تبدأ في المرحلة الأولى سطحية تأخذ شكل طقوس يومية (تحايا، زيارات مناسبة...) التي تحافظ على العلاقات الجيدة مع الجيران، هي علاقات الوجه لوجه وعلاقات تنشئ من خلال التفاعل مع بعض الجيران في الطريق أو على سلم العمارة، إضافة إلى تبادل التحايا في الصباح والمساء وذلك من باب الاحترام واللياقة والأدب، أو تتم عملية التلاقي بين الجيران في السوق، الحافلات، الطرق وغيرها. أو يكون الاتصال جراء المنازعات التي قد تنشأ بين الجيران بسبب رمي الماء من

¹ MASSABUAU J. P., *La maison, Espace social*, Puf, Paris, 1983, P. 116.

النوافذ أو الأوساخ، شجار بين الأطفال وغيرها من الأمور التي تدفع إلى الاتصال بين الجيران، ومن ثم يتم التفاعل بغض النظر عن محتواه ونتائجه، وهذا هو تفاعل عشوائي، يقوم على عملية التلاقي وجها لوجه. ومن الأمثلة الميدانية التي تؤكد على أهمية التقارب المجالي في خلق العلاقة بين الجيران نذكر استشهاد سيدة الأسرة رقم (25): "ماعنديش الحباب في الحومة. مخالطة غي زوج. هذه لي enface وهذه لي حدايا [يتقاسمان نفس الحائط] كي تكون حاجة روح ويجو عندي. نهدرروا من السطح (...). جاو يمدولي مين سكنت وقعدت العلاقة. ثاني رجالتهم يعرفوا راجلي"، مع العلم أن هذه الأسرة اشترت المسكن الحالي في مدة 20 سنة، وبعد استكمال تهيئته التحقت به، وكان الجيران سالفاً الذكر يجرسانه ويلتقيان باستمرار مع رب الأسرة 25 وتواصلت هذه العلاقة حتى مع أفراد أسرته. وتقول مبحوثة أخرى - فوزية - (المقابلة رقم 17): "علاقتنا مليحة مع لي حدانا"

كما تتكون الروابط الاجتماعية انطلاقاً من التزاور الأولي وهو طقس تقوم به الأسرة عندما يلتحق الجار الجديد للسكن بالحلي، فيتوافد عليه الجيران للترحيب به محملين بالحلوى رمز الضيافة، وبالرغم من أن هذا الطقس بدأ يفنى إلا أنه اعتبر ممارسة هامة لبدأ الرابطة الاجتماعية مع الجيران؛ حيث جاء على لسان سيدة الأسرة رقم (30): "كل واحد هنا لا هي في روحه، نعرفوا غي هذيك المعسكرة [تقصد الأسرة رقم 32] كي سكنة دخلت علينا كتتها، رحبت بنا وجابت معاها gâteaux"، وعليه شكل هذا التزاور الأولي بداية للروابط الاجتماعية، لكن بقيت في مرحلتها الأولى ولم تتطور.

ومن التفاعل العشوائي أيضاً التلاقي على أساس العامل الجغرافي، إذ يبحث الساكن الجديد عن من هو من منطقته الأصلية، دون مراعاة العامل الاجتماعي أو الاقتصادي أو المستوى التعليمي لهذه الأسر، مما يتسبب في ظهور نوع من الاختلاف نتيجة تباين انتماءاتهم الطبقية، ولا تلبث هذه العلاقات أن تتطور

بتدخل عنصر العقل في بنائها لتبدأ المرحلة الثانية، وهي مرحلة انتقاء الجيران واختيارهم على أساس المصلحة المتبادلة والإمكانات المادية والتجانس الاجتماعي.

إذن يتحكم في هذه المرحلة القرب *la proximité* أو التقارب المكاني الذي يهيء فرص التفاعل و الاتصال بين الأفراد ويسمح بتكرار المشاهدة والالتقاء، كما يتحكم فيها الاشتراك في الأصل الجغرافي، لكن علاقات التي يتم تكوينها في هذه المرحلة يمكن أن تقوى أو تفتت أو تنعدم، بناء على ما يتوفر من محددات أخرى في الموقف تلعب دوراً أساسياً في تمكين الرابطة.

2.2. المرحلة الثانية

تبدأ في المرحلة الثانية عملية اختيار واقتناء الجيران على أسس ومعايير معينة كتمائل الاتجاهات والمواقف، تقارب في الخصائص السوسيوثقافية والمجالية والمصلحية خاصة، وغيرها من العوامل التي تساهم في تكوين الروابط الحميمة، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

- العوامل الثقافية

تساهم العوامل الثقافية في تشكيل جماعات الجيرة، ويمكن تقسيم هذه العوامل إلى قسمين:

قسم يتعلق بالأصل الجغرافي وهي المكتسبات التي تدرج عليها فئة من الناس في منطقة ما، فتتميز بها كاللهجة الواحدة والعادات والقيم والمعتقدات المشتركة. فالانتماء إلى ثقافة واحدة يسهل عملية التلاقي وتكوين علاقة الجيرة، كما يظهر في تصريح سيدة الأسرة رقم (11)، والتي تجمعها علاقة مع جاريتها تتشارك معها في الأصل الجغرافي وتسكن معها في نفس الخيمة: "أنا مع بعض من واحد د، نخرج وانباركول ه، ولا حاجة تاع فرح ولا قرح نخرجوا كيف كيف

(...) السوق روجو مع بعض، نتلاقوا عند الباب تقدرى تقولى ماخرجش بلا بها وهي ثاني " وتضيف ابنتها حليلة: "حنا العزبات تدينا ماما للبحر، والخترة للقات روحنا حمامنا في بو حجر مع بعض، ثاني مين روحنا للتلسمان حوسنا كنا مع بعض. متفاهمين" فالجورة تتقاسم أيضا أوقات الفراغ.

وقسم آخر يتعلق بالمستوى الثقافي-التعليمي-؛ إذ يلعب هذا العامل دورا مهما في تكوين علاقة جيرة متينة لأن التقارب في المستوى الثقافي يقرب وجهات النظر ويوحد طريقة التفكير ورؤية الأشياء، مما يسهل عملية التواصل ويقويها، فإن انتفى هذا أصبحت العلاقة باردة وسطحية، وقد كان للمستوى التعليمي أهمية كبيرة في تقوية العلاقة بين سيدتي الأسر رقم (11) و(12)، هذه الرابطة امتدت إلى باقي أفراد الأسرتين، لكنها لم تعدو كونها علاقة حميمة غير صديقة من وجهة نظر الفاعلين الاجتماعيين.

- العامل الاجتماعي والاقتصادي

يتضح لدى عناصر عينة الدراسة وجود درجة عالية من التفاعل والاتصال بين أسر الميسورين اجتماعيا واقتصاديا، ومثلها بين أسر محدودى الدخل والذين يعيشون نفس ظروف العمل، ويتعرضون لنفس المشكلات الحياتية. هذا الطرح يحيلنا إلى التأكيد على أن تقارب مستويات الدخل والمستوى المعيشي يشجع الاتصال والتقارب بين الجيران. وعليه فالعلاقة بين الأسر من نفس الفئة الاجتماعية تكون أكثر ترابطا إذا ما قورنت بين الأسر التي لا تنتمي إلى فئة اجتماعية واحدة.

- ظروف أخرى

إنّ جماعة الجيرة لا تتشكل انطلاقاً من العوامل سالفه الذكر فحسب، بل هناك ظروف تدفع الأفراد إلى البحث عن إقامة علاقات حميمة مع الجيران، ومن هذه الظروف نذكر:

• البعد عن الأهل

إنّ الخروج من المنطقة الأصلية، والابتعاد عن الأهل والأقارب بسبب ظروف العمل وصعوبة الاتصال بهم لبعده المسافات والتكاليف الباهظة، وفقدان من يباح لهم بالأسرار، ومن يستشارون في الأمور... تولد لدى الساكن الشعور بالاغتراب والوحدة والخوف، وللتخلص من ذلك يلجأ هذا الساكن إلى البحث عن علاقة بديلة، ومعطي هذه العلاقة هم الجيران.

• طول مدة الإقامة

يلعب عامل الوقت والأقدمية بالمسكن وبالحي السكني دور هام في خلق الروابط الاجتماعية. فالجيرة تتقاسم الفترة (المدة) أكثر مما تتقاسم المجال (أو المكان)¹، فمعرفة الجيران خاصة قبل التحاقهم بالحي السكني قد تعزز الروابط الاجتماعية، فكما جاء في تصريح سيدة الأسرة رقم (16): "جواريني قاع ناس ملاح من الأول للتالي، قاع قدم نعرفوهم من بكري، غي لي تحتي جديدة بناتنا صباح الخير مساء الخير، مع هي خدامة المخلوقة ساكنة هنا عندها ثلاث سنين. خاطيتني ما ندخل ما نجمع عندها (...) مع الجارة لي enface [تلمسانية] ندخلوا على بعضانا البعض دائماً. وثاني الفوقانية (...) هذوا جواريني كانلو يسكنوا معيا في القيطنة. آه. جورة بكري متعوضتش"

¹ DOVIER APPRILL É.- GERVAIS LAMBONY P., Vies citadines, Belin, Paris, 2007, P. 66.

وهو ما تطرحه العلاقة التي جمعت كل من الأسرة رقم 07 وصديقة لها تسكن بالحي مجال الدراسة والذان يتقسمان المدة، فقد كانا يسكنان معا في حي القيطنة (بأرزيو) ليتم ترحيلهم إلى الحي الحالي واستمرت علاقتهم، وكنا كلما نذهب لزيارة الأسرة المبحوثة نجد صديقتها عندها، يتبادلان أطراف الحديث في المطبخ، فالاستقبال في المطبخ كفضاء حميمي يعني حميمية العلاقة، كما يتشاركان أحيانا في بعض الأعمال المنزلية.

إن ما يؤسس لهذه المرحلة أساسا التقارب الثقافي، الاجتماعي والاقتصادي وكذا الألفة، التشابه الوجداني، بمعنى التقارب على مستوى الطباع والميولات والرغبات الشخصية، الود المتبادل، الشعور بالتكامل، كما نجده لدى الأسر رقم 20، 29، 24؛ حيث تقول سيدة (المقابلة 20): "عندي زوج برك، المعلمة لي enface وامرأة navigateur لي مصاحبتهم والبقية بناتنا صباح الخير ومساء الخير. الجورة مبقاتش كيما بكري" فالذي ربط بين هذه الأسر حسب معايئتنا الميدانية تقارب طباع سيداتها، وكذا الاعتماد المتبادل بينهما وخاصة ما يلقيانه من دعم مادي عند الحاجة، فالمصلحة أساسا ما كونت هذه العلاقة.

لكن كل هذا لا يعني بالضرورة أن تكون صداقة فعلية (البوح بالأسرار وغيرها) لتبدأ مرحلة ثالثة.

3.2. المرحلة الثالثة (الصداقة الفعلية)

تتكون علاقات الصداقة بين مجموعة من الجيران ليكونوا جماعة اجتماعية تكون وثيقة بفعل الأصل الاجتماعي الموحد بتمثلات وممارسات موحدة ولهجات وثقافة محلية مشتركة (القبائل، السكان المحليين...). أو أنها تكون لتشابه التفكير والميول والاتجاهات والمصالح الفردية. ففي حالة الأسرة رقم 11 وصديقتها التي تسكن معها في نفس العمارة، اجتمع كل من عامل الأصل الجغرافي، والوقت وكذا

معرفة أرباب الأسرتين في تمتين الرابطة الاجتماعية والتي تحولت إلى صداقة فعلية، فكما ذكرت ربة الأسرة سالفة الذكر قائلتا: "جيت عروسة وسكنت هنا كنت نخاف من مداصرة، لقيت وحدة من دشرتنا راجلها يعرف راجلي بدات تدخل علينا وهي لي عرفني على الجوارين، ودروك هي حيبتي تاع الصبح تمتنت علاقتي معاها. أصلا ولادي يقولوها ماما خيرة. عندي لأحاب de la part حيبتي خيرة روجو في رحبة للسوق ونخرجوا مع بعض ندوا الدراري (...). ثاني يدوا معاهم بدر الدين ولدي مع ولادهم للبحر ولا لل manège"، في هذه الحالة اعتبر العامل الجغرافي وانتماء الأسرتين إلى نفس الوسط الريفي عاملا مهما عمل على خلق الرابطة الاجتماعية، وشجع على تماسكها واستمرارها عامل الوقت، لما يمنحه في معرفة الآخر على حقيقته، من خلال التجارب الحياتية التي تمر بها الأسرتين، وامتدت علاقة هاتين الأسرتين إلى المشاركة في كل الأمور وحتى أوقات الفراغ.

وتظهر علاقات الصداقة أيضا بين الأفراد الذين يتشابهون في المستوى السسيومهي (المعلمين يشكلون جماعة، عمال المجمع الصناعي -أرزيو- يشكلون جماعة، عمال البلدية وهكذا)، أي بين الأفراد الذين يعملون في مهن متشابهة أو مهنة واحدة، ويعتبر هؤلاء الأفراد الصداقة جزء من ذاتهم، تقول سيدة الأسرة رقم (29): "جابي غي mes collègues تاع الخدمة. قاع متفاهمين. On est six روجو في رحبة. نحمدو في رحبة. كلشي نديروه مع بعض"، إذن يعزز كل من التقارب المجالي والتقارب المهني علاقات الصداقة وتكونها، وهنا ذكر كوانغ H. Coing: "العلاقات لا تتأسس عن الجيرة بل يتم اختيارها على أساس المرافقة في العمل"¹، أي تكوين علاقات صداقة مع الجيران الذين هم زملاء في العمل، هذا الطرح نجد أيضا وبشكل جلي عند الرجال؛ حيث ذكر أحد أرباب الأسر (المقابلة رقم 08): "أنا كترتي نجم مع واحد هنا جاري ويخدم معايا في المصلحة،

¹ COING H., op. cit, P. 172.

تقدير تقولي صاحبي، même âge que moi لا سحقي في حاجة دراهم نعطيه وأنا تاني، مين بغى يشري لوطو قصدني سلفته"، من خلال هذا التصريح اعتبر عامل السن عاملا هاما، ظهر في هذا الموقف ولم يشكل في دراستنا متغير أساسي في خلق الرابطة الاجتماعية، فهناك حالات تكونت بينهم صداقات ولم يتدخل هذا العامل في ذلك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يبرز الاعتماد المتبادل بين الأصدقاء في هذا التصريح من أجل مواجهة المشاكل المادية خاصة؛ إذ أن هذا الاعتماد المتبادل يعمل بشكل كبير على تجمع جماعة الأصدقاء كما هو موجود أيضا لدى الأسر رقم 20، 29، 24 سألقة الذكر، وعليه تتيح الصداقة للأفراد المرتبطين بها أن يحققوا لأنفسهم نفعاً مباشراً، وذلك من خلال ما يقومون به بعضهم نحو بعض، سواء من خلال استغلال الوقت أو تسخير الجهد، وغير ذلك من الإمكانيات الشخصية، سواء أكانت مادية أم معنوية، وبما يخدم بعضهم، ويلبي مطالب بعضهم الآخر، هذه المنفعة المتبادلة مرتبطة بالعلاقة الودية التي تربط فيما بينهم.

وإن وجود قواسم مشتركة بين الأفراد يجعلهم يكونون علاقات حميمة التي تتحول إلى صداقة، أو من خلال التجربة بمرور بمرحلة صعبة (وضعية صعبة) تواجد هذا الجار وكان المعين، أو اختباره إن كان كاتم للأسرار فيمكن الاتكال عليه واعتباره صديق والأكثر قرباً. فتنبؤ فيها أسرة عن أسرة أخرى في حالة غيابها، تقوم على حراسة مسكنها، وقد تصل إلى ترك مفتاح المسكن لصديقتها، وغيرها من الممارسات الحميمة. وتمتد علاقة الصداقة لتصبح مرادفة للعائلة، تقول فاطمة (المقابلة رقم 19): "كل واحد جابد روحه. حنا خطينا وخطي الجوارين. عندنا غي جارة وحدة [تقصد الأسرة رقم 32 يسكنان في نفس الطريق ويفصل بينهما جار] هذه في la cité تا عننا كل واحد في حده (...). جارتنا حبيبتنا معسكرية سكتنا في رجة. تقطعنا وحد العامين لخاتش كان عندهم الكناين، والكنائين عندهم اللسان

جيدنا. وحدة رحلت وحدة كرات، وحدوخرا مستغانمية مزالت معاهم، بساح حنا مدارسينها بزاف مع هي اجتماعية، ندخلوا عند بعضنا كل وقت. أصلا أختي نوال عايشة عندهم. ظل عندهم، حتى مين تبغي ترقد نعطولها. حنا ثاني ملاح معاهم، مكلتنا عندهم ومكلتهم عندنا. لي نطيوه نعطولهم وهما ثاني، غي هدوا لي تحسي دارنا روح ندي وحدي وهما ثاني لي يسحقوه يجوا يدوا"، فالذي وطد العلاقة بين الأسرتين (32) و(19) عامل الوقت بالدرجة الأولى، فالأسرة الأولى التحقت بالمسكن بعد عامين من سكن الأسرة الثانية، وفاقت هذه المدة 11 سنة، كما أن الاعتماد المتبادل زاد من تماسك العلاقة.

ففي مرحلة الصداقة هذه تكون عملية التبادل بارزة بوضوح، التبادل الشعور الحميمي المعنوي أكثر منه مادي يتشاركون في كل الأمور حتى في التحضير لمناسبات اجتماعية خاصة كالزواج والميلاد على سبيل المثال، الدعم المعنوي والنفسي في حالة المشاكل والخلافات الأسرية أو في العلاقات مع الزوج.... وهنا تبرز مسألة الثقة بوضوح، فهي عامل هام في تكوين هذه الصداقات، تعد بمثابة المادة الأولية لذلك، تقول سيدة الأسرة رقم (04): "معنديش حبيبة. تخافي. هاك تضحكي تلعي معاها بساح باش داسريها لا"، وجاء في تصريح آخر لسيدة أخرى (المقابلة رقم 27): "دروك كاين les limites بين الجوارين. بكري المرأة كانت تحكي لجارتها مين الدابز مع راجلها. دروك لا تخاف تقول تفضحني، تكشفني (...). normalement ضرورية باش تكون هذه العلاقات بين الجوارين. نعطيك exemple جارتي راجلها عواج دابز مع ولاده. دخلت عليا جارتي تجري. ما حوزتهاش. ثاني mon enfant véhiculé يدي خترات الجوارين للسيطار مين يقصدوه. علاه يقولك الجار قبل الدار تلقي تلقي جارك. تكوني مريضة le plus proche c'est الجار. أنا جواريني يلقوني. بساح باش نصحبهم ونديهم صحاباتي لا. C'est pas facile " وهذا تأكيدا على الحفاظ على العلاقات

الطيبة مع الجيران دون الدخول في علاقات حميمة عميقة، فكثير من أفراد العينة يرفضون إقامة علاقات صداقة داخل المجال السكني خوفاً وخشية الوقوع في المشاكل. وهناك من المبحوثين ممن أكدوا أنهم يفضلون أصدقائهم في الحي القديم، أصدقاء الطفولة وذلك لشعورهم بالراحة والاطمئنان معهم، كما يؤكد التصريح الموالي لسيدة (المقابلة رقم 26): "أحبابي les collègues de travail et des amis d'enfance قرينا مع بعض، كبرنا مع بعض، نخرجوا مع بعض ندخلوا مع بعض"

وعليه تم اختيار الأصدقاء من خارج الحي ويقطنون في المجتمع الكلي الذي هو مدينة أرزيو، فما لمسناه في الميدان تحييد تكوين علاقات صداقة من خارج المجاورة، مع محاولة وضع مسافة بين الجيران للحفاظ على الاحترام وعدم التعدي على حرمة الجار وخصوصياته، وقد أكد أفراد العينة أن السبب الذي يمنعهم من إقامة علاقات صداقة جديدة في الحي هو عدم قدرتهم على التكيف، ذلك لأن لديهم صداقات عديدة، تكونت على مر الزمن، فإقامة علاقات جديدة تحتاج إلى وقت وحذر ومجازفة، كما يبدو في تصريح سيدة الأسرة (المقابلة رقم 23): "هذه لي جارة en face جارة intime بساح حبيبة لا، بساح في الباطيمات حباتنا تاع الصح des fois هدره متقدريش تقوليها للفاميليا [la famille] تقوليهاهم، يعرفوا علينا كلشي. مازلنا للآن نهودوا عندهم ويجوا عندنا"

إذن الساكن ينتمي إلى عالمين عالم الأصدقاء وعامل آخر جيرانه الذي يعتبر نفسه غريباً عنهم بالرغم من أنهم أقرب إليه فيزيقياً لكنهم اجتماعياً بعيدين عنه، ومن هنا تأكيد على استبدال علاقات الجيرة بعلاقات صداقة من خارج الحي. وهناك من يرفض تماماً الصداقة باعتبار أن الصداقة الحقيقية لم تعد موجودة بين

الناس، أو ربما نادرة، نتيجة لاختلال المنظومة القيمية الاجتماعية، بفعل طغيان التأثيرات المادية المتراكمة على العلاقات الاجتماعية.

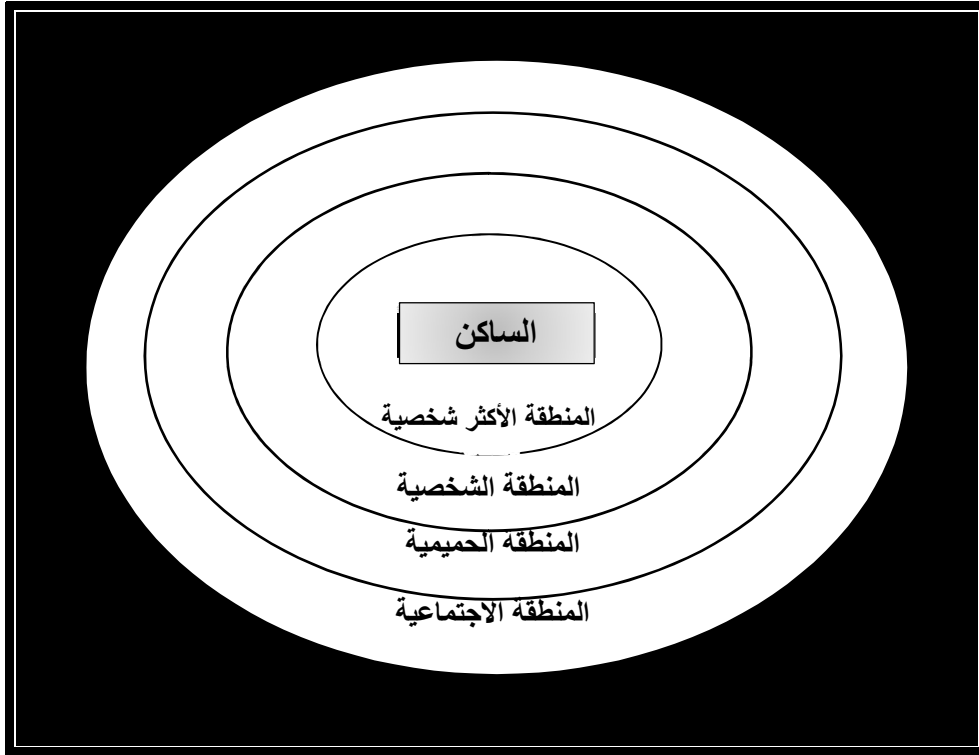
بعدها كل ما ذكر سابقا يمكن أن نخلص أن الأفراد يحرصون في المرحلة الأولى والثانية على خلق مسافة اجتماعية، أو كما يسميها قوفمان E. Goffman مسافة شخصية التي تعني المكان المباشر الذي يحيط بكل شخص ويعتقد أنه خاص به ويجب ألا ينتهك بواسطة الآخرين، وإذا اقتحمت هذه الحدود يشعر الفرد بعدم الارتياح لأن خصوصيته كشفت وقد تؤدي إلى صراع فعلي (وهذا ما سنتوسع فيه أكثر في الفصل الموالي)، تشير بعض الدراسات عن المسافة أن "هناك قواعد تحكم علاقات تعرف بقواعد التجاور (Les règles de proxémie) وهي قواعد ثقافية تحدد المسافة الفيزيائية المناسبة في إقامة العلاقات بين الأفراد، وتبين أن المسافة الفيزيائية ليست في حد ذاتها عاملا حاسما ولكن القواعد التي تحكمها حسب طبيعة العلاقة هي الأهم"¹، بمعنى وضع حاجز يحفظ خصوصية وحرمة الأفراد، ومن أجل المحافظة على المسافة الشخصية تقل عمليات التزاور وتبادلها بين الجيران، باعتبار الفضاء السكني هو فضاء شخصي، فقلة تبادل الزيارات داخل الفضاء السكني وارتباط الزيارات بالمناسبات معناه الحفاظ على المنطقة الشخصية للأفراد، وهنا يؤكد مبحثنا على أن سر المحافظة على العلاقات الجيرة تكمن في عدم الإفصاح عن الأسرار.

أما في المرحلة الثالثة يسمح للأصدقاء المقربين تخطي المسافة الشخصية، التي تتميز بالبوح بالأسرار والمشاكل الشخصية، فيتقاسمون نفس الظروف المعيشية، يسمح بتبادل المعلومات الشخصية بين الطرفين.

¹ بومدين سليمان ، "تصورات المغاربي لحرمة داره" من: إنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، عدد 37، وهران، جويلية- سبتمبر 2007، ص.49

عموماً ومن خلال ما سبق فإن الساكن ينتمي إلى خمس مناطق أساسية (أنظر الشكل رقم 05)، الأولى أكثر شخصية تحمي خصوصية الفرد لا يسمح لأحد تخطيها، تتضمن أسرار أكثر سرية لا بد وأن تبقى مجهولة خوفاً من ظهور العيوب الشخصية للآخرين، والثانية شخصية يمكن للأصدقاء دخولها؛ إذ يتقاسمون نفس الأفكار، وكذا الأسرار الخاصة بحياتهم العائلية، أما الثالثة تعد منطقة حميمة تتمثل في العلاقات الاجتماعية التي يكونها الساكن مع من يتقاربون معه في الخصائص والمعايير التي يضعها، تتميز ببعض الحميمة بالمقارنة مع المنطقة الرابعة، إذ يتشاركون في الحياة المشتركة. وتعد المنطقة الرابعة اجتماعية لأن الأفراد لا يمكنهم أن يعيشوا منعزلين عن محيطهم الاجتماعي فلا بد لهم من إقامة هذه العلاقات بالرغم من سطحيته. أما المنطقة الخامسة فهي عامة تتمثل في كل الروابط الاجتماعية التي يكونها الساكن داخل المجتمع، من خلال علاقاته العابرة، غير الدائمة غير المستمرة، الغريب في هذه المرحلة يتم الإفصاح على بعض خصوصية الفرد والتكلم عن حياته الخاصة لأن هؤلاء الذين يلتقيهم لا يعرفونه، لذا يمكنه أن يتكلم بطلاقة وبدون أي خوف.

الشكل رقم (05): المناطق التفاعلية للسكان



إنّ وصول فرد ما إلى المنطقة الشخصية مرهون بالمدة، ما يؤكد على مسألة التدرج في العلاقة التي تبدأ سطحية، حميمة فشخصية.

3. تصنيف الجيران

يمكن تصنيف الجيران حسب ما أسفرت عنه الدراسة الميدانية إلى ثلاث، وهذا يتفق ما تصنيف الذي قدمه R. Ledrut¹ وهي:

- جيران لا يجذون تكوين علاقات مع الجيران، لا يتبادلون معهم لا الزيارات ولا المساعدات، يتبادلون التحايا فقط أثناء الالتقاءات العابرة، يشكل هؤلاء نسبة قليلة، كما يبدو في تصريح سيدة الأسرة رقم 21: "حنا خاطينا الجوارين منخالطوا ما نجيب المشاكل لداري، دخلها في روحك تعشي دايرة عليك"

¹ Cf. LEDRUT R., L'espace social de la ville, op. cit.

- جيران يتبادلون كل أشكال التبادل لكن لا تربطهم علاقات حميمة عميقة مع جيرانهم، يشكلون النسبة الأكبر، ويرتبط ارتباطا وثيقا بما ينصه الدين الاسلامي، ويمليه المعتقد الشعبي.

- جيران تربطهم علاقات الصداقة يتبادلون في كل الأمور وحتى الخاصة منها، تشكل نسبة قليلة هي الأخرى.

كما يمكن تصنيف الجيران من جهة أخرى إلى ثلاث أصناف أخرى: الأول يضم الجيران المقصون أو غير مرغوب فيهم، منهم الذين كان بينهم صراع وصل حده الأقصى، مثال شجار حصل بين الأسرة رقم 13 وجارة لها تسكن أسفلها، حيث قام رب الأسرة الأخيرة على إثر شجار بين الأسرتين باستدعاء الشرطة، ما أدى إلى قطيعة فعلية بين كل منهما، وبالرغم من أن هذا الحدث تجاوز مدة العامين، إلا أن هذه القطيعة وعدم رغبة كل منهما بالآخر ما زال مستمرا. والثاني يتمثل في الجيران المقبولين، والذين يتفاعلون باستمرار كما يعملون على تبادل الزيارات والمساعدات وكذا الأطعمة والأكلات، أما الصنف الثالث يتضمن الجيران المفضلين، والتي تصل علاقتهم إلى حد الصداقة، فيتقاسمون كل الأمور الحياتية. وهذا ما يؤكد من جهة أخرى أن علاقات الجيرة هي علاقات اختيارية انتقائية وليست عفوية عشوائية.

III. نحو إنتاج نموذج علائقي جديد

أحدثت التغيرات الجديدة والتكنولوجية التي دخلت المساكن تغيرا في أشكال الحياة اليومية للسكان، وبالتالي تغيرات على مستوى العلاقات الاجتماعية، وقد أشار عبد الكريم يچياوي في دراسة ميدانية إلى أن "الروابط الاجتماعية تعرف حاليا تحولا عميقا في قواعدها وشروطها الأصلية من جراء التطور المذهل التي تلعبه كل وسائل الاتصال والإعلام التي

تحفزها وتدعمها الثقافة العولماتية"¹، وصرحت إحدى المبحوثات (زوجة الابن ميلود، المقابلة 06): "كل واحد الآن عده كليماتيزار بعد ما كنا نتجمع قاع في دار ونتفرجوا مع بعض دروك كل واحد يقعد في داره"، وعليه أصبح كل واحد يقضي وقته في بيته المجهز بالمكيفات الهوائية، أمام التلفاز أو الانترنت، ما قلل من فرص الالتقاء بين الجيران، وبالتالي محدودية التفاعل الاجتماعي بينهم، هذا ما أنتج نموذجا علائقيا جديدا هو في طور البزوغ. وعليه سنتطرق إلى دور كل من التلفاز والانترنت في ذلك حسب مقتضيات ميدان بحثنا.

1. التلفاز كوسيلة إعلامية، ترفيهية تواصلية

أضحى التلفاز كوسيلة إعلامية جزءا مهما في حياة الأفراد، فهو إلى جانب أنه مصدر من مصادر المعلومات يعد أداة ترفيهية، وقد أصبح متنفسا للأفراد، يقضي الفرد أمامه ساعات وساعات دون ملل، وخاصة مع ظهور الفضائيات والقنوات الفضائية، التي توفر تنوعا هائلا في البرامج كل حسب ذوقه واختياراته، تملأ فراغ الفرد وتجعله في غنى عن نسج العلاقات الاجتماعية، تقول سيدة أسرة (المقابلة رقم 15): "نقابلوا télé خير لنا من مشاكل تاع الجوارين"، وتقول زكية (المقابلة رقم 22): "أنا باش نتبع مسلسل روح لجارتي؟! ما تسراش (...). باش نقعد مع أختي نجمع ونخلي مسلسلي. مكانش منها. الوقت راه مع التلفزيون والانترنت". إذن ومن خلال هذين التصريحين يتضح أن التلفزيون أصبح البديل عن العلاقات والروابط الاجتماعية، والبديل عن التفاعل الاجتماعي مع أفراد أسرة وكذا مع الجيران، لتصير هذه الوسيلة الصديق الأنيس للأفراد، وكذا الانترنت كوسيلة أخرى فرضت نفسها في حياة الأفراد.

¹ بويحيوي عبد الكريم، "نفكك الرابطة الاجتماعية عبر وسائل الاتصال من الأنوميا إلى ظاهرة الخواء الاجتماعي"، من الروابط الاجتماعية في المجتمع الجزائري، مرجع سابق، ص. 308.

2. الانترنت كوسيلة للاتصال

مما لاشك فيه أن العلاقات الاجتماعية قد تأثرت بطريقة ما بالتطورات الهائلة المتتالية التي حدثت في المجتمعات في ظل العولمة، خاصة فيما يتعلق بتكنولوجيا المعلومات وتقنية الإنترنت، وهو ما يهيئ الفرصة لتغيرات قد تكون جذرية في المجالين المادي والمعنوي الذي تتخذها وتتشكل في إطاره مختلف نماذج العلاقات الاجتماعية.

إن الإنترنت لم تعد مجرد شبكة عالمية أو مخزن هائل أو أداة استثنائية للتبادل السريع للمعلومات، بل أصبحت تؤدي اليوم مهامها ذات انعكاسات على صعيد العلاقات وتكوينها وقد تعبر عن فراغ عاطفي ونفسي ووجداني لدى بعض الأفراد، فالإقبال الشديد على الانترنت وغرف الدردشة يعبر في أحيان عديدة عن الهروب من العلاقات الاجتماعية المباشرة والواضحة إلى علاقات محكومة بالسرية ومحاطة بالكتمان في ظاهرها.

إن ظاهرة غرف الدردشة التي صارت منتشرة بشكل يكاد يكون مرضيا تؤدي تدريجيا إلى الخلل في الروابط الاجتماعية الحقيقية، مما يقود إلى روابط وعلاقات أخرى. وأصبحت المكان الذي يستطيع فيه الأفراد وخاصة الشباب، أن يتحدثوا مع أنفسهم ومع غيرهم بصراحة دون أن يفصحوا عن شخصيتهم، في عالم افتراضي ليقولوا مالا يستطيعون قوله في الاتصال المباشر، الأمر الذي قد يسبب فتورا شديدا، بسبب توجه الأفراد نحو غرف المحادثة وتفضيلها على الجلوس مع أفراد الأسرة أو الجيران، والتحدث إليهم مباشرة.

فالمحادثة عبر الإنترنت أو ما يعرف بالدردشة تعطي الشخص الفرصة للكلام عن أشياء لا يستطيع قولها مباشرة كالحديث عن شيء يجلسون منه وجها لوجه، فهناك الكثير من الأشخاص الذين يتميزون بالانطواء الذاتي تفتحت مشاعرهم من خلال الإنترنت وهو ما يظهر في العزلة الاجتماعية وعدم الاتصال الإيجابي بالعالم الخارجي، وهذه النوعية من الأشخاص قد يصدون عددا من المنافع من خلال شبكة الإنترنت العالمية.

أصبحت غرف الدردشة مجال لإفراغ المكبوثات، تعبيرا عن أحاسيس دفيئة وعميقة، تعبير بأرياحية دون جسد مقموع، الهدف ليس البحث في أن تكون جميلا بالنسبة للآخر، بل جميلا في ذاتك، فالهاجس ليس في فقدان علاقة وكسب علاقة أخرى، بل الهدف نشر لأفكار وتصورات، والانتماء إلى مجموعة تحمل نفس التطلعات.

لقد "ضاعفت وسائل الاتصال من فرص احتكاك الفرد وارتباطه بالآخرين ولكنها جعلت هذه الاتصالات والروابط ذات طابع عابر وغير مستقر"¹، فقد تزايدت قدرة الأفراد على التفاعل أينما كانوا، ولم يصبح المكان أو الحدود المكانية أو القرب المكاني محددًا للتقارب الاجتماعي ولم يعد مؤشرا للتفاعل الاجتماعي. وبدأ الأفراد وخاصة فئة الشباب ينزلون عن المجتمع ليدخلوا عالما جديدا أمام جهاز الكمبيوتر وهو عالم الانترنت أين يتيح له نسج علاقات اجتماعية بمعايير جديدة، علاقات لا حدود لها وبعيدة عن الضوابط الاجتماعية وحتى الأخلاقية التي يفرضها المجتمع.

لم تعد الانترنت اليوم بالنسبة إلى كثير من الناس شيئا غير مألوف بل أصبحت جزءا من حياتهم اليومية الفعلية، كما يظهر في تصريح آسيا (المقابلة رقم 09): "حنا في الدار وكل واحد لاهي في روحه يا نتفرجوا ولا نقبضو الانترنت، تخليها في un autre monde ما تقديش تخرجي منه، يلهيك على الغاشي"، فأجهزة الكمبيوتر وحتى الهواتف النقالة أضحت جزءا من حياة الأسرة، الأمر الذي صرف أفرادها عن الاتصال والحوار، فكل واحد مستقل بوسائله الإلكترونية، من خلال استخداماتهم لها بطرق مختلفة: كمصدر للمعلومات ومن أجل الحوار والمناقشة وتبادل الآراء والأفكار وغيرها. يدخل المستخدم في نقاش مع شخص آخر أو ينخرط في حوار يدور بين مجموعة من الناس على شبكة الانترنت أو يرسل برسالة أو يشترك بتعليق معين في حوار مكتوب أو ينظم إلى عضوية أحد المنتديات التي تزخر بها العديد من مواقع الانترنت اليوم. هذه الأفعال تمثل صورا من صور التفاعلية المختلفة

¹ بارك روبرت -ارنست برجس- رودرك ما كينزي، مرجع سابق، ص. 52.

ونمطا من أنماطها، وهو تفاعل ليس مباشر ولا مماثل لحالة التفاعل المواجهي، وصارت كل من الشبكات التواصلية كالتويتر والفيسبوك خاصة فضاءات تسمح بإنتاج روابط اجتماعية جديدة، فهي إذن مجال للمؤانسة يتم فيها تبادل وتشارك للمعلومات والأفكار وغيرها.

- خلاصة

إنّ الروابط الاجتماعية بين الجيران تشتمل على علاقات عفوية، وأخرى تتميز بوجود علاقات منظمة بين الأفراد، فهي علاقات حاجة ومصالحة ومنفعة. فيعيش الأفراد ضمن مزيج من الروابط الاجتماعية المتنوعة والمتداخلة، ويعتبر الحفاظ على العلاقات الطيبة بين الجيران أمر ضروري؛ حيث يشكل التقارب المكاني نوع من الالتزام المتبادل بين الجيران. وتنطلق علاقات الصداقة بين الجيران أساساً من التجانس والتشابه في الوضعية الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية وفي القيم والاتجاهات والميول وغيرها، بالإضافة إلى الاعتماد المتبادل أساسه المصلحة المشتركة.

كما توصلنا إلى وجود نموذجين علائقيين، الأول يعيد إنتاج النموذج العلائقي الموروث من التنشئة الاجتماعية المستمدة من الدين الإسلامي أساساً والأمثال الشعبية، يتشبع بها الفرد وتربى عليها يحافظ على العلاقات الأولية مع الجيران ويقوم بتوطيدها. أما النموذج الثاني يتم من خلاله إنتاج نموذج علائقي جديد يحاول الفرد من خلاله الاستقلال عن الجيران، فهو يتواصل معهم فقط عند الالتقاء بالصدفة أو في مناسبات خاصة من أجل الحفاظ على ما أسماه كوفمان E. Goffman بماء الوجه.

وبالرغم من العلاقات السطحية التي تجمع بين الجيران المبنية على النفعية والمصلحة المشتركة نلمس نوع من التضامن بين أعضاء المجتمع المحلي، إذا ما ادعت الضرورة لذلك وإن احتاجوا إلى بعضهم البعض، فبالرغم من وجود فجوة وهوة بين وضعيات التفاعل إلا أننا نلمس الحفاظ على التضامن والروابط الطيبة بين الجيران.

الفصل الخامس

التضامن والصراع بين الجيران

- تمهيد

I. التضامن بين الجيران

1. عوامل تعزيز التضامن الاجتماعي

2. أشكال التضامن بين الجيران

II. الصراع بين الجيران

1. مصادر الصراع ووضعيته

2. عوامل ومناسبات حل الصراع

- خلاصة

- تمهيد

يفرض المحيط الاجتماعي (الحي) إقامة روابط اجتماعية بين الجيران، فإما تكون مبنية على التضامن والتآزر أو على التنافر والصراع؛ بمعنى لا تقتصر هذه الروابط على علاقات الود والصداقة والتعاون فقط، بل تتيح فرص ظهور علاقات اجتماعية تتميز بالصراع والعداء والتي تكون راجعة لعدة أسباب.

وعليه نحاول في هذا الفصل التطرق إلى العمليات الاجتماعية التي تنتج من خلال عملية التفاعل الاجتماعي، والبحث في علاقات الاتصال وعلاقات الانفصال بين الجيران، نحاول الغوص أكثر في آليات التفاعل والتواصل بين الجيران وكذلك الاختلاف والصراع في أبعاده المتنوعة.

I. التضامن بين الجيران

يعد التضامن الاجتماعي مظهرا من مظاهر التفاعل الاجتماعي ونمط من أنماط السلوك، وهو ظاهرة اجتماعية تعكس التأثير المتبادل للأفراد في أداء عمل معين، وعليه يشرح "التضامن في حقل الألفة الاجتماعية (La sociabilité)"¹، ويعتبر اميل دوركايم E. Durkheim التضامن أساس المجتمع، فلن يوجد مجتمع من دون أن تتماسك أجزائه وتلتحم، ولا تقوم للوجود الاجتماعي قائمة دون أن يسبقه أي شكل من أشكال التضامن بين الأفراد، "فالأفراد ينظمون نشاطهم وسلوكهم وقيامهم بأدوارهم طبقا لقواعد مرسومة حسب قيم معينة متعارف بها، فهم يستطيعون التواصل أو توقع أحداث بشكل يمكنهم من العيش في نظام واتساق مع سلوك وتوقعات الآخرين (...)", بهذا المعنى يتضمن وجود نوع من التماسك إلى الحد الذي يمكن معه تجنب التناقض أو الصراع"². ومنه يعتبر التضامن عملية التآزر أو الاعتماد المتبادل يؤدي إلى التماسك الاجتماعي.

وفي السياق نفسه يقصد بالتضامن ذلك الالتزام التلقائي الذي يحمل مشاعر الأخوة بين الأفراد، والمتمثل في المساعدة والمساندة والتكافل والتراحم، فهو نوع من التعاطف مع الآخرين، وتقديم المساعدة المعنوية أو المادية أو كليهما بطوعية دون إلزام. فضلا على أنه ذلك الطابع الروحي الذي يقوم بين الأفراد والذي يظهر ونلمسه من خلال مناسبات خاصة، فيربطهم شعور روحي موحد ويجمعهم هدف محدد.

¹ COUNIL N., « Les solidarité du maquis : Approche anthropologique des formes d'entraide », In : GUILLAUME P. (Sous la direction), Les solidarités : Le lien dans tous ses états, op. cit, P.369.

² زايد مصطفى، "التعلم في الجزائر: المؤسسة الرسمية وإعادة تكون البنية الاجتماعية"، من مجلة علم الاجتماع: التغيرات الاجتماعية في الجزائر منذ الاستقلال (أعمال الملتقى الوطني لعلم الاجتماع الجزائر 28-29-30 أفريل 1986، العدد 03، جامعة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص. ص. 42-54

إن التضامن عبارة عن علاقة تفاعلية تبادلية بين أفراد المجموعة الواحدة، يكون هدفها تحقيق المنفعة والمصلحة للجميع، وتقوم هذه العلاقة على الجهد المشترك على المستويين المادي والمعنوي وتقسيم للأدوار حتى يتحقق النجاح المنشود، فكل من التضامن والألفة الاجتماعية "تؤكد انتماء الأفراد للجماعة، وكذلك تحدد وضعياتهم داخل الجماعة"¹، فالعلاقة التفاعلية لا بد وأن تركز على التضامن والتعاون ضمن علاقة تكاملية، بحيث يؤدي هؤلاء الأفراد أدوارهم بأقل قدر من التوتر والنزاع، حتى يتحقق تكيف الفرد مع مجتمعه عندما يشترك اشتراكا إيجابيا في أوجه نشاط هذا المجتمع.

ولقد طرح دوفينيو J. Duvignaud من جهته ثلاثة أنواع من التضامن: رابطة الدم والقرباة، التضامن الحضري، التجمعات العمالية. ويقصد بالتضامن الحضري "العلاقات التي تنشأ في المدينة باعتبار أنها ليست مجرد تجمع سكاني (كثافة سكانية)، هذه العلاقات مبنية على التعاون والتآزر"² فمسألة التضامن عند نفس الباحث هي عامل أساسي في العلاقات الاجتماعية يعتبرها "أشكال اجتماعية طبيعية"³. فالمدينة ليست مجرد تجمع كمي فقط، بل هي فضاء يركب كما يسميه الأنثروبولوجيون بالكثافة الاجتماعية (Densité sociale) والتي تفرض على السكان العيش لا جنبا إلى جنب فحسب، بل لا بد من أن ينشأ التعاون والتضامن بين الجيران.

وعليه نقصد بالتضامن الاجتماعي التآزر والتعاون والمساعدة في الحاجة الماسة إلى الإعانة، سواء كانت مادية أو معنوية في مناسبات مختلفة ووضعية متنوعة، وهو تضامن غير رسمي لا يمكن أن يتحقق التماسك الاجتماعي بدونه.

¹ COURNIL N., op. cit, P.370.

² DUVIGNAUD J., op. cit , P. 47.

³ Ibid , P. 82.

1. عوامل تعزيز التضامن الاجتماعي

إن مفهوم التضامن يستمد قوته من التنشئة الاجتماعية التي تتم داخل الأسرة أو خارجها، كما يعززها أكثر شعور الأفراد بالانتماء إلى المجتمع المحلي فالاعتزاز والفخر بالانتماء إلى مجتمع أو جماعة معينة يعزز الروابط الاجتماعية.

1.1. التنشئة الاجتماعية والتضامن الاجتماعي

تعد التنشئة الاجتماعية عملية تعلم وتعليم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى إكساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تعرف على أنها "عملية التفاعل الاجتماعي التي يكتسب فيها الفرد شخصيته الاجتماعية التي تعكس ثقافة مجتمعه"¹، فالإنسان لا يولد اجتماعيا، بل يصير كذلك بفعل التنشئة الاجتماعية التي تمارسها عليه الأسرة والمجتمع وتنتقل إليه من خلال عمليتها ثقافة المجتمع وتمكنه من اكتساب دور أو مجموعة من الأدوار، بممارستها يندرج في المجتمع ويحتل مكانته فيه ككائن اجتماعي"²، وعليه فالنشئة الاجتماعية تمكن الفرد من مساندة مجتمعه والاندماج في الحياة الاجتماعية.

ويعرفها بارسونز على أنها "عملية تعليم تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد، وهي عملية دمج عناصر الثقافة في نسق الشخصية وهي عملية مستمرة"³، تبدأ بميلاد الفرد وتنتهي بنهاية حياته، وفي هذا الصدد يقول نوربرت إلياس N. Elias: "إن الفرد الصغير لا يكتسب اللغة إلا عندما يكبر في مجتمع الكبار، يضبط من خلالها الغرائز وتمكنه من اكتساب رؤية بعيدة المدى. إن اللغة التي سوف يتحدث بها ومخطط ضبط الغرائز التي سوف يتبعه، نموذج أو نمط ممارسات الكبار

¹ الشناوي محمد حسن وآخرون، التنشئة الاجتماعية للطفل، ط1، دار الصفاء، للنشر والتوزيع، عمان، 2001، ص. 15.

² حمداوي محمد، مرجع سابق، ص. 108.

³ الشناوي محمد حسن وآخرون، مرجع سابق، ص. 16.

التي يطورها. كل ذلك يتوقف على تاريخ وبنية الجماعة الإنسانية التي يولد فيها، ويتوقف أيضا على تاريخه الخاص ووضعيته داخل هذه الجماعة¹، بمعنى أن اكتساب الفرد لكل الأنماط السلوكية المختلفة، اكتساب الأفكار والقيم والمعايير والانفعالات تناسب الأدوار والمكانة الاجتماعية التي يتقلدها هذا الفرد في مجتمعه؛ حيث يرتبط بكل مكانة نمط من السلوك المتوقع، فالذكر على سبيل المثال له وضع اجتماعي يترتب عليه سلوكيات اجتماعية متوقعة بعكس الأنثى.

وللتنشئة الاجتماعية دور كبير في المحافظة على القيم الاجتماعية وعلى العادات والتقاليد، وبالتالي تعمل على المحافظة على قيمة التضامن الاجتماعي باعتباره أحد الأمور الملصقة في ثقافتنا العربية الإسلامية، من أجل الحفاظ على التوازن الاجتماعي، والمحافظة على ديمومة واستمرار المجتمع.

ومن بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأسرة، فما يتعلمه الفرد فيها يبقى معه طول حياته، و"عن طريقها يكتسب الطفل قيمه الاجتماعية ومعاييره وسلوكه، فهي لذلك تعد الجماعة الأولية التي تكسب الناشئ الجديد خصائصه الأساسية، والتي تتصف بالارتباط والتعاون والتضامن والتآلف فيما بينهم"²، تعمل الأسرة على الحفاظ على المجتمع وعاداته وتقاليده، وتبقى هي الخلية الأساسية في بناء المجتمع، أين يكتسب الفرد أهم اتجاهاته النفسية والاجتماعية، وهي مصدر الأخلاق والرعاية الأولى لضبط السلوك. كما تعرف الأسرة على أنها: "مسرح التفاعل الذي يتم فيه النمو والتعلم، والعالم الصغير للطفل الذي به تتكون خبراته عن الناس والأشياء والمواقف، كما يظل البيت حامي الطفل وملاذه الذي يلجأ إليه بلهفة وتعلق"³.

¹ ELIAS N., La société des individus, op. cit, P. 58.

² السيد عبد القادر شريف، التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة، ط2، دار الفكر العربي، 2002، ص. 17.

³ الدسوقي كمال، النمو التربوي للطفل والمراهق، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص. 335.

وقد استمدت عينة البحث قيمة التضامن الاجتماعي من الأسرة كأولى مؤسسة للتنشئة الاجتماعية ويعملون على تثبيتها في الأولاد، كما جاء على لسان إحدى ربات البيوت (المقابلة رقم 02): "تربينا على هاك شفننا والدينا، ونبقوا على هذه السيرة، مين يسحقنا الجار يلقانا بساح غير هاك نبعده خير"، فبالرغم من علاقات هذه الأسرة مع جيرانها سطحية إلا أنها تؤكد على قيمة التضامن الاجتماعي.

وما يزيد على تثبيت هذه القيمة دور العبادة والمسجد على وجه الخصوص؛ حيث يسعى هذا الأخير إلى تلقين القيم الاجتماعية والعمل على تقويم سلوك أفراد المجتمع وتدعيم قيم التضامن، وعلى ضرورة التعاون والتآزر والتكافل الاجتماعي، كما يعمل المسجد باستمرار من خلال الخطب المنبرية أو الحلقات التي تقام داخله على تذكير الأفراد بقيمة التضامن ووجوبها في الإسلام. وهنا يظهر تأثير البعد الديني الذي يحث على التضامن والمساعدة، ما يبرز بوضوح في تصريح أحد السادة (المقابلة رقم 16): "الله والرسول يوصينا هاك"، فقد لعب الدين دورا كبيرا في تماسك المجتمعات منذ بداية الخليقة، بما يشمل من طقوس وممارسات وحدث الجماعة.

كما يساهم المسجد في خلق التضامن الاجتماعي داخل المجتمع المحلي بجمع المال أو الجهد من أجل مساعدة بعض المحتاجين، من خلال هذه الممارسة يدعوا إلى التعاون بين سكان الحي في السراء والضراء خاصة. إن هذا السياق الذي يمثل لمتطلبات التعاون الجماعي يكون خدمة للصالح العام كما جاء على لسان إمام مسجد حي الهضاب.

وتساهم وسائل الإعلام هي أيضا من خلال البرامج التي تبثها في إبراز قيمة التضامن الاجتماعي، فالفضائيات المتنوعة والهادفة، وخاصة الدينية منها تؤكد على هذه القيمة، وضرورة التعاون بين الجيران من أجل الحفاظ على استمرارية المجتمع وديمومته واستقراره.

ومما سبق ذكره ومن خلال التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها يبرز ضرورة التضامن بين الجيران القائم على التعاون وتبادل الخدمات، يفرض بإلحاح في الظروف العصيبة، ومن أجل مواجهة بعض المشاكل خاصة المشتركة منها.

2.1. الشعور بالانتماء للمجتمع المحلي وخلق التضامن الاجتماعي

يعد المجتمع في أبسط أشكاله مجموعة من الزمر تسكن مكانا محدودا تشعر بالوحدة والانتماء نظرا لأوجه الشبه العديدة في ثقافتهم والاتصالات الودية والمصالح المشتركة، وهذه الوحدة المشار إليها ليست شيئا جامدا بل مشاعر قوية تكون مانعا لأي تغيير طارئ مكونة نسق من العلاقات الاجتماعية، تهدف هذه الوحدة إلى أن تؤسس داخل كل عضوا من أعضائها شعورا خاصا بالانتماء والاندماج كضرورة لبقاء هذه الوحدة واستمرارها. فالانتماء إلى مجتمع محلي يعني توفر الإحساس بالأمان والرضا والفخر والاعتزاز به، كما يعني أيضا اتجاهها يستشعره الفرد من خلال اندماجه في جماعة، واعتباره جزءا مقبولا منها، وله مكانته المتميزة ووضعه الآمن بها.

إن الأفراد ينتظرون من الوسط الذي يقيمون فيه تلبية متطلباتهم ليضمن لهم العيش والاستقرار، ويجعلهم يشعرون بأنهم أعضاء ينتمون إلى الحي، وبالتالي إلى المجتمع الكلي، وعليه فإن التجهيزات بكل أنواعها والخدمات الاجتماعية الموجودة بالحي هي التي تسمح لنا بمعرفة مدى استقرار السكان ومدى رضاهم عنه، وإن لم تتوفر هذه العناصر ينتقلون إلى أحياء أخرى لتحقيق أهدافهم المفقودة بجيهم، يذكر عبد المالك صياد في هذا الصدد أن الساكن يشعر بالاغتراب والقهر عندما يعيش في مجال لم يساهم ولو بفكرة واحدة ولم يؤخذ برأيه، ويجد نفسه عاجزا أمام تغيير شيء في بيته كما يزداد اغترابه عندما لا يجد المرافق

الاقتصادية والاجتماعية لتلبية حاجاته الضرورية، وبذلك تبقى هذه المساكن كما يسميها الباحثون مجرد مساكن للنوم¹.

إن معظم أفراد العينة تقضي حاجاتها الغذائية من داخل الحي أو من مركز المدينة لأنه يتواجد على الكثير من المحلات التجارية، ومن السوق الأسبوعي لما يتوفر على كل أنواع التجارة، أما عن الحاجات الأخرى من ألبسة وأحذية وغيرها من التجهيزات المنزلية والكمالية والحاجات الأخرى فيتم قضائها من داخل المدينة إلا قلة منهم من ينتقلون إلى مدينة وهران لقضائها. وبالتالي تسد المدينة حاجات سكانها، ما يبين رضاهم عن الحي ويعزز انتمائهم إليه، كما يظهر في الاستشهاد ربة أسرة (المقابلة رقم 05): "الحمد لله la cité تاينا فيها كلشي قاع لي تحوسي عليها. وزيدي راهم راحنا بهذاك السوق [وتقصد السوق الأسبوعي] تخيري على غرضك وكلشي فيه"

ويلعب مكان العمل دور كبير في تنمية الشعور بالانتماء إلى المجتمع المحلي، وتقوية الروابط الاجتماعية، ومن خلال المعاينة الميدانية اتضح أن جلّ أفراد أسر العينة تعمل داخل مدينة أرزيو، الأمر الذي يزيد من فرص الالتقاء بين الجيران ويخلق نوع من التفاعل الاجتماعي بينهم، فالالتقاء يغذي مفهوم الجيرة، كما أن الاعتماد المتبادل بينهم في المسائل الإدارية على حسب مهنة كل واحد ومدى احتياجه للآخر يزيد من حدة التفاعل بين الجيران.

يرز مفهوم الانتماء وشعور به جليا من خلال مفهوم "حومتي"، هذا المفهوم يمثل إحدى أهم خصائص التنظيم الاجتماعي، وتكمن أهمية الحومة في كونها نواة الاندماج الحضري، وفي هذا الإطار يقول العربي إشبودن: "الحومة هي مجال مشيد مفصل ومشغول، يخضع لعلاقة الفضاء الاجتماعي socio – spatial عن السكان الذين ينحدرون من نفس

¹ Cf. SAYAD A., op. cit.

الأصل الجغرافي. حسب وضعياتهم داخل المدينة، لكل من هذه الحومات مسجدا خاصا بها، حرفها دكاكينها وسوق يميزها (...). المدني كان يعرف كذلك من خلال مسكنه والحي الذي يسكنه، الحومة كانت كذلك الخلية الحيوية للاندماج الاجتماعي لسكان المدينة¹، فالاندماج إذن يعد مقياس لقوة الروابط الاجتماعية، ويعبر دوجولوجاكس عن انحلال الروابط الاجتماعية بالاندماج²، وهنا نطرح مفهوم الاندماج الحضري الذي يخص عملية اندماج الأفراد والجماعات داخل المدينة أو الحي السكني، جراء هجرة من مجال مختلف تماما عن المجال الجديد، وإن "التكيف في الحياة الحضرية يتطلب من الريفي التخلي عن عاداته وتقاليده، وأن يتبنى عادات وتقاليد الحياة الحضرية الجديدة"³. ولا يتحقق التكيف الكلي به إلا بمرور فترة زمنية معينة، ففي بداية إقامة الساكن يعرف نوع من العزلة والهامشية اتجاه وسطه الجديد من الناحية الاجتماعية وكذلك المجالية "لأن الاندماج بالمجال الفيزيقي للمهاجرين يمكن أن يلقي صعوبات ورفض لدى البعض منهم لاختلافه عن المجال القديم خاصة إذا لم يساهموا في إنجاز هذا المجال ليكون المسكن معبرا عن نمط حياة مخالفة لنمط حياتهم، ويصبح عائقا لهم في الحياة الجديدة لأنه لا يتماشى مع حاجياتهم ورغباتهم"⁴ مما يجعلهم يقومون بتغيرات على طبيعة هذه المساكن تماشيا وعاداتهم وسلوكياتهم.

وفي دراسة أخرى⁵ طرح الباحث فاروق بن عطية بعض المحاور لتوضيح ظاهرة الاندماج الحضري في مدينة الجزائر وفق النقاط التالية:⁶

¹ ICHEBOUDENE L., « L'intégration citadine : à propos de la difficulté d'être algérois », op. cit, P. 19.

² ذكر في: حمدوش رشيد، مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر: امتدادية أم قطعية؟ (دراسة ميدانية لمدينة الجزائر نموذجاً)، مرجع سابق، ص. 53.

³ BOUKHABZA M., op. cit, P. 226.

⁴ CHOMBART DE LAUWE P.H., La fin des villes, Calmann Lévy, Paris, 1982, P. 43.

⁵ Cf. BENATIA F., Alger : agrégat ou cité. L'intégration citadine a Alger, SNED, Reghaia, Alger, 1980.

⁶ Ibid, P. 321.

- درجة الاندماج الحضري نسبية بالنسبة للمستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الخاصة بكل فرد والجماعة التي ينتمي إليها.
- يظهر الاندماج الحضري وينمو وفق مسيرة بطيئة تعد بالأجيال ولا يتحقق الاندماج بشكل تام عند جيل واحد فقط.
- يتحقق الاندماج عبر مراحل وعبر علاقات مصلحة، وهذا عن طريق الارتباطات الزوجية، وعلاقات الجوار الجديدة، ومختلف العلاقات الاجتماعية الأخرى (أفراح، ممارسات دينية، مواسم...) وعلاقات داخل الوسط المهني وغيرها.

ومن المقاربة الميدانية اتضح أن أفراد العينة تعودوا على نمط الحياة الذي يفرضه هذا الحي، وبالتالي لا يستطيعون الانتقال بحكم التمسك الروحي بهذا الحي، وما يحملونه من ذكريات، فمدة السكن تلعب دور كبير في هذا التعود كما يظهر في تصريح أمينة (المقابلة رقم 05): "ما نتخيلش روعي في بلاصة غير هذه على خاتر الجوارين هاذوا نعرفوهم. كاين les moyens باش نرحلوا بصاح مقديناش"، ارتباط هذه الأسرة بهذا المجتمع المحلي جعلها لا تستطيع تغيير مسكنها بحكم المدة الطويلة لسكنها (30 سنة) وتعودها على الجيران، كما أن ارتباط هذه المبحوثة "أمينة" بالحي جعلها تتزوج من داخله بأحد أبناء الجيران وأخ لزميلتها في العمل بعد العام والنصف من مقابلتنا معها وبالضبط في مارس 2014. من التصريحات أيضا ما قالت سيدة أسرة رقم 10: "ما نجمش نبدل جواريني. تبالي صعيبة. تعاودي تبدي حياة؟! ديري فيها confiance ودخليها للدارك؟!!" ومن خلال عبارات وجهها تجيب عن هذا التساؤل التعجبي بلا. وقد يعد حميمة الفضاء لارتباطه بالطفولة سببا في خلق الشعور بالانتماء له، تقول زوجة الابن حسين (المقابلة رقم 26): "كبرنا وقرينا وتزوجنا في هذه la cité. ما نخرجش منها"، وقد صرح لنا سيد هذه الأسرة في عام 2012 بمشروعه لتغيير السكن والانتقال إلى سكن آخر خارج حي بلاطو (حي الأمير عبد القادر) إلا أنه لم يغيره لحد الآن (عام 2014)، بسبب تعودهم نمط العيش بالحي. كما يعتبر قرب الأهل مؤشرا للاستقرار داخل الحي كما جاء على لسان سيدة الأسرة رقم 29: "Je me sens à"

L'aise ici مع 'ما' تسكن في الباطيمات، منيش مغبونة"، ما يشكل بالنسبة إليها راحة نفسية، أدت إلى زيادة الشعور بالانتماء للحي.

أما الفئة التي لا تجد راحتها في الحي قليلة فهي من السكان الذين مازالوا ملتصقين روحياً بمدينتهم الأصلية وما تعنيه لهم من قيم وتشبع بالمبادئ الاجتماعية تضايقوا من كل التغيرات الحاصلة، وانتشار الآفات الاجتماعية مثل: السرقة، المخدرات، والجريمة. حيث أصبح هذا الحي بؤرة لمداراة هذه الأعمال، مما ينشئ عنه معاناة وصراع نفسي بين الحنين إلى القديم الذي كانوا يعيشون فيه والجديد الذي جاؤوا إليه، تقول حياة (المقابلة رقم 22): "بويا خترات وين يوقف مع الجوارين، بساح حنا خاطينا وخاطيهم. رانا خارج مجال التغطية. حتى خوتي من الخدمة ولا القرايا للدار. معلابالمش شراه صاري، كلي مراناش قاع في أرزيو"، وهذا دليل على عدم الاندماج ورفض هذا المجتمع المحلي وارتباط هذه الأسرة مع المنطقة الأصلية؛ حيث ذكرت سيدة هذه الأسرة: "مانيش حابة قاع نقعد هنا. راني لاقيا الوحدة. باغي نولي للبلاد مع خوتي وأهلي"، وصرح سيد الأسرة رقم 28: "مكان حالة. لكان نصيب نرحل منا"، فالاندماج داخل الحي يقلص من الشعور بالانتماء إليه وبالتالي رغبة في تغيير المسكن.

وتتحدد مسألة الانتماء والاندماج الاجتماعي بالمدة التي يقضيها السكان بالوسط الجديد، بداية لا يمكنهم التكيف مع الظروف الجديدة، ويجدون صعوبة كبيرة في العيش، لكن شيئاً فشيئاً ينجلي هذا التوثر وتدرجياً يندمجون به خاصة إذا توفر لهم الاستقرار الكامل - المتمثل في العمل والسكن-، وتم اشباع حاجاتهم المادية والروحية، فما يتوفره الحي من مستلزمات وتجهيزات تزيد من الاندماج ويتكون شيئاً فشيئاً الشعور بالانتماء، خاصة إذا أحسوا بالأمان والراحة النفسية، ما يجعلهم غير راغبين بتغيير السكن، فكلما طالت مدة الإقامة قلت الرغبة في العودة إلى المنطقة الأصلية هذا ما يجسد اندماجهم اقتصادياً داخل المدينة من خلال العمل وكذا مختلف النشاطات المهنية لهم بالمدينة. وهنا يوضح بوخبزة أن

"الشخص المندمج مع الحياة الحضرية في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي هو كل من يحتل مكانة تسمح له بضمان بشكل طبيعي إعادة إنتاج علاقته، من جهة مع أعضاء جماعته ومن جهة أخرى مع جماعات أخرى محددة بالقرب أو البعد عن الجماعة التي ينتمي إليها"¹.

كما يتحقق الاندماج عند الانتقال "البنيات الاجتماعية من النمط الجماعي إلى المجهول"² ومنه المتحضر الجديد حسب رأي فاروق بن عطية "يتموقع في جدلية التكيف: فهل يتكيف مع إطار الحياة الحضرية أو أن هذا الإطار سوف يتطابق معه من جديد؟ أو هل يخلق نمط معيشي يتناسب مع النمط الريفي والنمط الحضري سوياً؟³، وهذا ما يؤكد مرة أخرى على العلاقة التبادلية بين الفرد ومحيطه، وقد اعتبر جیدنز الناس وبوصفهم فاعلين يقومون من خلال انخراطهم في أنشطة - أو ما أسماه ممارسة - بتشكيل وعيهم الفردي والبناء العام في ذات الوقت. وينتج كل من الوعي والبناء عن الممارسة التي تدعمهما، ويؤثر كلاهما في الطريقة التي تتم بها الممارسة إلى النهاية"⁴، بمعنى كل منهما يؤثر في الآخر فالفردي يحاول التكيف مع فضائه ومحيطه الجديد، كما يحاول من جهة أخرى تكيفه وفق تصوراته ورغباته وكذا طموحه. وتبقى رغبة شديدة لبعض سكان المساكن العمودية في امتلاك مسكن فردي، تقول سيدة الأسرة رقم 09: "لكان حوش صحة نرحل. نبدل السكنة. بساح باطيمة نقعدوا وين رانا"، فبالرغم من تعايش هذه الأسرة مع محيطها الاجتماعي واندماجها داخل الحي إلا أنها قابلة لتغيير سكنها إذا ما تحصلت على سكن فردية (حوش).

وعليه هناك فئة يشعرون بالفخر لانتمائهم للحي هم السكان القدامى لهذا الحي، أما بالنسبة للفئة التي لا تشعر بالفخر لانتمائها للحي، فهي تمثل الفئة المهاجرة أو الساكنين الجدد

¹ BOUKHABZA M., op. cit, P. 227.

² BENATIA F., op. cit, P. 140.

³ Ibid, P. 301.

⁴ نقلا عن: ريتزر جورج، موسوعة النظرية الاجتماعية، ترجمة: مصطفى خلف عبد الجواد، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، المجلد الأول، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة)، 2006، ص. 79.

التي ترى أن الحي متخلف لا يتماشى وتطورات العصر، فهي تجل من انتمائها إليه، لكن الظروف هي التي أجبرتها على الإقامة به، بمعنى فئة استطاعت الاندماج داخل الحي والمدينة بشكل عام، وفئة قليلة ترغب في الرجوع إلى المنطقة الأصلية.

2. أشكال التضامن بين الجيران

يعتبر التضامن واجب مقدس لدى أفراد العينة، مما يؤكد وجود بعض المعايير والقيم الاجتماعية، وقواعد السلوك داخل هذا المجتمع، الذي يحث الأفراد على التعاون والتضامن بين الجيران، وبالرغم من سطحية العلاقات بينهم إلا أننا لاحظنا وجود درجة عالية من التضامن بين السكان، خاصة في الحالات الاضطرارية والعصبية، كما يمكن ملامسة الروابط الاجتماعية من خلال التضامن الذي قد ينشأ بين الجيران لمواجهة احتياجاتهم ومشاكلهم المشتركة.

1.2. التضامن في المناسبات المفرحة

تتمثل المناسبات المفرحة في مشاركة الجيران مع بعضهم البعض بمناسبة ازدياد، أو نجاح مدرسي لأحد الأطفال، أو بمناسبة الزواج والمشاركة في العرس وحفل الزفاف. ما يبرز للعيان ومن خلال الدراسة الميدانية لا وجود للتضامن في هذه المناسبات، إلا نادرا وخاصة في مناسبات الزواج لما تفرضه من تكاليف وتجهيزات، فقد كانت الأعراس "تمثل فرصا حقيقية للتجانس بين الأفراد ولإعادة إنتاج نفس القيم والعلاقات"¹، أما اليوم أصبحت مجالا للتفاخر بامتياز، وما قد يزيد الجفاء بين الجيران عدم توجيه دعوات لحضور حفل زفاف، التي أصبحت تقام في صلات الأفراح، لا تدعوا لمشاركة الجيران نفس الحدث، فنجد القليل من أسر العينة وخاصة التي تسكن المساكن العمودية من تقيم حفل العرس بمسكنها.

¹ شوقي محمد، مرجع سابق، ص. 157.

ومن الاستشهاد التي تؤكد عدم التضامن في الزواج، تصريح سيد الأسرة رقم 22: "نوقفوا مع الجوارين غي في حاجة الموت. بساح في الزواج كل واحد يقوم روحه، يعرضونا وما روحوش كي أنا كي داري، مانخالطوش"، وذكرت زوجة الابن (المقابلة رقم 13): "التضامن في الجنائز الكثيرة. الفرح راهم يديروه في الصالة. ماشي في القيطون كيما بكري"، وعليه ارتبط التضامن في الأعراس بالقيطون (الخيمة) الذي كان ينصب على ناصية الطريق، والذي عمل على خلق نوع من الحياة المشتركة بين الجيران، وبتغيير هذا الفضاء تم تحديده ن مسؤوليات الجيران.

إلا أن هذا لا يعني أبدا عدم وجود تضامن بين الجيران في مناسبات الأفراح عندما يطلب منهم ذلك، فقد جاء على لسان سيد الأسرة رقم 23: "نتعاونوا مع الجوارين، مين يكون فرح ولا قرح. نفرحوا مع بعضانا. أي واحد يجي يملك داره، تلقهم قاع واقفين مين تسحقهم (...). هذه فيهم مليحة"، وذكرت سيدة الأسرة (المقابلة رقم 27): "واحد دار العرس عطيتله la terrasse، وواحد دار الفاتحة حليتله garage، هذه دار ربي لي يقصدني مانقولهاش لا"، ومنه يتخلص التضامن في هذه المناسبات في فتح المنزل لاستقبال المدعوين لتخفيف الضغط على مسكن أصحاب العرس مع تمديدها بما تحتاجه الأسرة من أدوات وأواني منزلية وقارورات الغاز مع المشاركة في التنظيف وتهيئة المسكن لاستقبال المدعوين، ما يبدو في تصريح فوزية (المقابلة رقم 17): "نتعاونوا في لعراس. نقوا معاهم، ونتسلفوا السوالح كيما قرع الغاز" وقالت خيرة (المقابلة رقم 12): "أنا بعدا في عرسي كيما تعرفي معنديش خوتي لكبار. Alors جاري وقف معايا هو لي شري الحليب. جابلي اللوطو هودت بها للصالة، مالقيتهاش في أهلي"، بمعنى الجار حل محل الأهل في هذا الموقف، وذكرت فاطمة (المقابلة رقم 19) تحكي أحداثا خطبتها: "في فرحي عرضت الجوارين ماجاوش. لقينا غي جارتنا العسكرية عاونونا في بزاف السوالح. كتتها صنعت معانا gâteaux وعاونونا في الماعين ثاني. الله يبارك"، هذا التصريح يؤكد مرة أخرى على محدودية العلاقة بين هذه الأسرة وجاراتها، وتتخلص في الأسرة الصديقة (رقم 32)، والتي

تشاركها أفراحها وأحداثها بصفة عامة، أما عن الجيران الآخرين ورفضهم لحضور حفل الخطوبة كان بسبب أن هذه الأسرة لا تشاركهم أفراحهم أيضا، وكأنما العمل بالمثل، يخضع لمبدأ التبادل.

أما المناسبات الأخرى فهي تعد مناسبات للاتصال بين الجيران يتزاورون فيما بينهم بتقديم هدايا أو النقود بالإضافة إلى أخذ بعض الحلويات عند الزيارة، وتختلف قيمة الهدايا ومقدار النقود تبعا لدرجة العلاقة بين الأسرتين والخاضع لمبدأ التبادل، كما يعد تقديم التهئة من الأمور الواجب والملزمة على الجيران فعلها، في كل مناسبات الأفراح. وهذا شكل من أشكال التواصل يجعل الجيران يتقاسمون ويتشاركون الأفراح فيما بينهم.

2.2. التضامن في المناسبات المحزنة

إذا كانت مناسبات الأفراح تكون بالدعوة "العرضة" في معظمها، فإن مناسبات الأحزان تعد واجبا، وتعتبر هذه المناسبات صورة حية من صور التضامن الاجتماعي، وتتمثل خاصة في عيادة المريض والمشاركة في العزاء، كما يبدو في تصريح سيد الأسرة رقم (29): "Surtout في الغبينة كيما الموت ولا المرض نوقفوا فيها تاع الصح"

تعتبر عيادة المريض من الواجبات وموقفا من مواقف التضامن بين الجيران، فقد لاحظنا من خلال الدراسة الميدانية، وإثر مرض الحاجة العونية (سيده الأسرة رقم 32) مدى التفاف الجيران حولها وزيارتها محملين بأكياس تحمل الفواكه والعصائر وغيرها، وعند ترددنا عليها لاحظنا تردد الجارات من أجل الاطمئنان على صحتها، وهذا الموقف يصبح شيء فشيء فرصة للالتقاء بين الجيران وتبادل الحوار والأخبار بينهم.

وفي حالات المرض الشديد يتكاثف الجيران من أجل معاونة الأسرة بمبالغ من النقود، حيث جاء في تصريح لإحدى السيدات (المقابلة رقم 01): "مين بغات جارتى دير عملية جراحية احتاجت دراهم قلتلي، روجت لميتها من عند الجوارين الحق قاع مدوا لي. لي

مامدتش مد 20 ألف. كل واحد على حسابه"، هذا ما يعكس صور التضامن بالرغم الاختلافات والفروقات السوسيواقتصادية. ومن جهة أخرى وفي حالات قليلة لا نلمس هذا التضامن، ما يبدو في اسشهاد كريمة (المقابلة رقم 15): "أنا صرات معايا حاجة. ماما كي زيدت وئام ووسام césarienne كنت صغيرة منعرفش نطيب. ماما شدوها في السبيطار، قليل مين الجوارين لي كانوا يجوا يسقسوا عليا ولا يرحوا عند ماما في السبيطار. ما عونوناش قاع. كنت نطيب وحدي وجات مع رمضان. وأنا عدا نقرى ونفوت في BEM وزيدي مسؤولية الدار. ماعونونيش"، وعند تقصينا لحقيقة هذه الأسرة وجدناها غير مخالطة الجيران، وأن سيدها صعب المزاج، يرفض الاحتكاك بالجيران، وهذا قد يكون تفسيراً لعدم تقديم الدعم لها في هذه الحالة.

وتعد حالات الموت والجنائز فرصة لفض المنازعات والخصومات بين الجيران إلا في حالات قليلة، تقول سيدة الأسرة رقم 03: "يصرا هذاك mal entendu بصاح في حاجة الغيبنة et surtout الموت. هذيك la relation تعود تولي"، فبمجرد أن تحدث وفاة في الحي يستعد الجيران لتجهيز الجنازة والتضامن مع الأسرة المصابة ماديا ومعنويا، ففي الجانب المادي يتكفل الجيران بنفقات الجنازة وإطعام المعوزين، ويحرصون على جمع الأموال فيما بينهم لمنحها للأرملة المتوفي زوجها خاصة، بغية مساعدتهم على تجاوز المنحة الأليمة، فتتآلف القلوب وتتراحم الأفتدة تضامنا وتكافلا بين الناس والأهل وفاعلي الخير، أما من الناحية المعنوية، فيكون التضامن بالحضور ومواساة العائلة المصابة للتخفيف عن مصابها، وهذا ما نلمسه في التصريحات العديدة التي تؤكد ذلك، ومنها:

تصريح قاسم (المقابلة رقم 05): "نوقفوا مع بعضانا في حاجة الغيبنة. يدخلوا يعاونوك. يجلوا ديارهم. حنا مين توفى الشيباني التاعي لقينا الجوارين. عاونونا بزاف. ما يجو يوصلوا الفاميليا (la famille) الجوارين يسبقوا. الحق ينصابوا في الفرح والقرح"، واستشهاد سيدة الأسرة رقم 07: "كل واحد لاهي في روحه، بساح كاش موت قاع يوقفوا،

نطعموا. عشرة جوارين تاع البلوك يطعموا اليوم، وعشرة تاع البلوك لآخر يطعموا غدوة، وعشرة آخرين يوكلوا منغد. متفاهمين (...). الرجال يجيبوا القيطون والسوالح. يوقفوا الحق" وقول فريدة (المقابلة رقم 32): "الحق الجوارين قاع عاونونا من مات بويا، كلشي داروه الجوارين، المواید برا، حلو ديارهم، الحق قاع وقفوا. استقبلوا الناس" وتصريح سيدة أسرة (المقابلة رقم 27): "مين تكون غبينة يرفدوا بعضاهم. يرفدوا بعضاهم بزاف هنا. كيما مين ماتت جارتنا. الجوارين هما لي قاموا بالجنازة"

وقد لاحظنا ذلك بالفعل من خلال المعاينة الميدانية في حالة وفاة عجوزة بحجي 46 مسكن (المساكن الفردية) مدى التفاف الجيران وتضامنهم وكأن كل واحد منهم يعرف دوره، وما يجب فعله، فمنذ الساعات الأولى شيّد القيطون (الخيمة) وتكفل أحد الجيران بإحضار صهريج الماء من البلدية وآخر بالكراسي، مع تقديم العزاء الذي يعتبر واجبا لا بد منه حتى لو كانوا على خصام فهو فرصة لفضه، فتختفي كل الفوارق الطبقيّة والخصومات، نفس الأمر نقوله على النساء، حيث تتهافت منذ سماعها خبر الوفاة على الأسرة المصابة لتقديم العزاء ومساعدتها في التحضير الفضاء للعزاء، فتقوم بإمدادها بكل ما تحتاج من أفرشة وأواني وطاولات وغيرها، بالإضافة إلى تهافت الجميع لإعداد الطعام ليلة الوفاة؛ حيث لا يسمح للأسرة المصابة بإعداد الطعام في تلك الليلة. ونلمس التضامن في الجنائز أيضا من خلال المشاركة الجماعية في توفير كل مستلزمات العزاء ومراسيم الدفن.

3.2. التضامن في المناسبات الدينية

تعتبر المناسبات والاحتفالات والأعياد الدينية فرصة للتواصل الاجتماعي، فهي مناسبات لتجديد الروابط الاجتماعية وتعزيزها، فإلى جانب أنها من أهم المحطات التي يتوقف عندها المسلمون للذكر والعبادة وتقوية إيمانهم، فإن في إحيائها يتشكل التضامن والتكافل الاجتماعي.

إنّ الاهتمام بالاحتفال بهذه المناسبات يعتبر في مجتمعنا من القيم الثابتة للحياة الاجتماعية، وهو واجب متعارف عليه في التقاليد والعادات وقيم وأعراف المجتمع، ومرتبطة بالمرجعية دينية فالاحتفالية فرصة للالتقاء والتقارب والتماسك الاجتماعي وهو فرصة لإثبات الذات الجماعية وإثبات الهوية الثقافية، فالذي يهملنا هنا ليس الاحتفال في حد ذاته من تحضيرات مادية ومعنوية (طبخ خاص وألبسة وغيرها)، بل المهم هو دوره في إحداث التقاربات الاجتماعية، وكيف تساهم الأسر في جلب الهدايا ومساهمتها المادية والمعنوية.

تعد هذه المناسبات عاملاً لتقوية الروابط الاجتماعية وشد الأواصر بين الجيران، ومجالاً للالتقاء والتواصل، وهنا أشار عبد الرزاق أمقران إلى أن "الالتقاء الظرفي الذي تفرضه المناسبات الدينية والعطل الرسمية على مختلف الشرائح والفئات الاجتماعية يمكن أن يتحول إلى التقاء دائم يجسد التعايش بين الفئات الاجتماعية في فضاء فيزيقي مشترك لكن مع احتفاظ كل فئة بخصائصها الثقافية وطقوسها الاجتماعية"¹، إن كل هذه الممارسات الطقوسية من شأنها خلق التماسك الاجتماعي بين الجيران.

لقد أدت التحولات الاجتماعية إلى تغيير الاحتفال بهذه المناسبات وأصبحت أكثر فردية، وكل أسرة تحتفل بمفردها دون مشاركة الجيران معها، فما كان يعرفه رمضان من تآزر وتضامن وتبادل للأطعمة والمأكولات، وما كان يميزه من سهرات تجمع الجيران، يكاد يندثر على حد تعبير مبحوثينا، فقد جاء على لسان سيدة الأسرة رقم 30: "قلّت هذيك السهرات تاع رمضان بعد الفطور، كايين لي خدام يجي عيان يرقد في داره وكايين لي ماشي لاهي للجماعة"، وقالت سيدة أخرى (المقابلة رقم 09): "Avant كنا نديروا في رمضان كل يوم عند وحدة بساح دروك صايي. روح نصلي التراويح. وجل الجوارين عندهم التراويح.

¹ أمقران عبد الرزاق، في سوسيولوجيا المجتمع: دراسات في علم الاجتماع، ط1، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، 2009، ص. 143.

ونولوا لديارنا مع ولادنا. غي مين تكون حاجة لي نخرجوا. وبكري كانت ترسلك طبسي ترديلها حاجة فيه. دروك "c'est plus comme avant"، أما فيما يخص عيد الفطر فلا وجود للتضامن فيه، يعد مناسبة للتواصل بتهنئة العيد، وفي تبادل لأطباق الحلوى.

ويبرز التضامن بشكل جلي في عيد الأضحى، أو كما يعرف عند العامة بالعيد الكبير، لأن فيه يبدأ السؤال عن المحتاجين وتقديم جزء من الشاة المذبوحة أو تقديم قطع اللحم لمن لم يستطيعوا شراء أضحية العيد، "هذه المناسبة تكشف بامتياز على أنها فترة لتقارب وتطابق العائلة في علاقاتها مع محيطها الاجتماعي"¹، فكما جاء على لسان سيد الأسرة رقم 25: "قاع لي مايدبحش نعطوله اللحم، وهذا كيما قالنا ديننا، الثلث ناكلوه، والثلث نتصدقوا به، والثلث للأحباب والأقارب. بساح كاين لي عنده وما يدبحش. هذاك بناه وبين خالقه"، بمعنى أن تقديم اللحم لكل من لم ينحر شاة، حتى لو كان ذا مستوى معيشي مرتفع، وهذا تقيدا لأحكام الشريعة الإسلامية، فالدين من جهة أخرى يفرض نفسه، ويخلق نوع من التضامن الاجتماعي.

أما في المناسبات الدينية الأخرى كعاشوراء، أول محرم ومولد النبي ﷺ نلاحظ بعض التبادلات للمأكولات التقليدية التي بدأت في الزوال حسب ما أسفرت عنه المعاينة الميدانية.

4.2. أشكال أخرى للتضامن الجوّاري

نعني بالتضامن الجوّاري الذي يكون بين الجيران لحل مشاكل الحي، والاشترك في المواقف العامة، لانجاز عمل ما لتحقيق هدف مشترك، فباعتبار أن سكان الحي يعيشون نفس المشاكل كالأمن وغيرها هم يتعاونون لتصليح شؤون العمارة، أو المتعلقة بالطرق، ويتضمن التضامن أيضا المشاركة في تنظيف العمارة أو الحي؛ يقول رب الأسرة رقم 28: "مين تكون حاجة تاع الحي نتعاونوا. كيما مكانش عندنا الضوء في الطريق، كتبنا برية، جاو دارونا

¹ BRISEBARRE A. M. et autre, La fête du mouton : Une sacrifice musulman dans l'espace urbain, CNRS édition, Paris, 1998, P. 88.

الضوء" وأضافت زوجته قائلتا: "هنا الجوارين متفاهمين في هذه السوالح"، وتقصد التكاليف لسد احتياجات الحي من توفير أعمدة الضوء وتعبيد الطريق، نفس الطرح نجده في المساكن العمودية؛ حيث ذكر رب الأسرة رقم 03: "تعاونوا باش نحافظوا على نظافة الحي nettoyage de quartier وكما درنا قاع وشرينا القيطون، رانا نحوسوا ثاني باش نشروا طوابل والكراسا باش utilisé في حاجة الموليمة" وأضافت زوجته: "مين تدخلي للبلوك من الباب تعرفي الجوارين لا متفاهمين ولا ماشي متفاهمين. مين تشوفي البلوك نقي، مبنتر. تعرفي جوارين متفاهمين. ولا لقيتي كلشي مخصر تعرفي جوارين ماشي متفاهمين. كايين لي عنده عقلية نقي عند بابي مانقيش عند بابك"، بمعنى أن نظافة العمارة تعد مقياس للمشاركة الاجتماعية بين الجيران، وتضامنهم للحفاظ على نظافة المحيط، الذي يعتبر بالنسبة لهم فضاء جماعي، هذا ما يؤكد أيضا تصريح سيدة الأسرة (المقابلة رقم 15): "جوارين ماشي متفاهمين. بلوكنا ماشي نقي، ماشي متفاهمين فيه، تشوفي البلوكات لخرين ينقوه ويزيدوا فيه الحوايج، بلوكنا ساهمين فيه. كان عندنا problème تاع القواديس يسيلوا. هدرنا مع الجار الفوقاني، هو déjà يسيل عليه، problème واحدوخر جارنا هذا ما يهدرش مع لي فوقه، وخصنا نصنعوا. أيا وقفنا قاع وسقمنا وبدينا من 4^{ème} (الطابق الرابع)"، وهنا يبرز التعاون بالرغم من عدااء الجيران بالمساهمة بمبلغ مالي مفروض cotisation من أجل التصليح أو تجديد قنوات المياه.

إن ما يؤدي إلى تضامن أعضاء مجتمع محلي ما أو جماعة اجتماعية هو المصالح والأهداف المشتركة، التي من شأنها تقوية الروابط بين الجيران. ويتعدى هذا التضامن بإعانة الأسر المحتاجة، يقول سيد الأسرة رقم 03: "كايين جارنا عمي ميلود قليق (فقير) ما عندهش. قاع نعاونوه ودايريله قوفة كل شهر توصله. الحمد لله رانا متفاهمين في هذا الأمر"، نفس الطرح نجده في اسشهاد سيدة الأسرة رقم 11: "واحدة جارتنا كان مستواها المادي مليح. ومبعد راجلها حبس الخدمة. جوارين ولاو يعاونوها. ودروك راجلها ولي يخدم. يليق نرفدوا بعضانا، اليوم أنت وغدوا أنا"، ويظهر قول رب الأسرة رقم 27: "نتلاقوا

خترات حنا الرجال ونقولوا هذا شاعنده ونشوفوا كي نعاونوه (...). نتعاونوا في الدراهم ولا بالطعام. مازالت العادات والتقاليد تاع بكري". وهذا دليل على تضامن جواري آخر، يتلخص في التكافل الاجتماعي.

وتتعدى أشكال التضامن الجانب المادي لتشمل أيضا الجانب الروحي والمعنوي، إذ لا يقتصر التعاون بالمساهمة بالمال والعمل في الأفراح والأحزان، بل تتعداه إلى المشاركة بالعواطف في حالة السرور والتخفيف من التوتر النفسي في حال القلق، والمواساة في الأحزان، وقد جاء على لسان إحدى المبحوثات (سيدة الأسرة رقم 11): "نكون باغي نطردك نهدر مع جارتني تريجي بلا مانحكيلها شاكين" فالجيرة تعمل على التخفيف من حدة التوتر والقلق الذي يتتاب الإنسان جراء المشاكل والهموم اليومية، وهذا شكل من أشكال التضامن بالعواطف.

يظهر التضامن الاجتماعي بشكل جلي عند التعرض لمشكلة أو مصيبة أو كارثة ما، ويعتبر تضامنا أليا بامتياز، وهذا ما لاحظناه في تكاثف الجيران والمساعدات والإعانات التي قدموها إلى أسرة تعرض سكنها للاحتراق، فقد ساهموا بتنظيف المسكن من مخلفات الحريق، وساهموا في إمدادها بالأثاث والأجهزة الكهرومنزلية والأفرشة والأواني وغيرها، كل حسب طاقته، حتى صار هذا المسكن جديدا مجهزا بكل التجهيزات الضرورية، ناهيك عن الإعانة المعنوية للتخفيف النفسي من حدة الكارثة.

وعلاوة على ذلك يتضمن التضامن علاقات التبادل، والتي يشرحها منطلق الهبة¹ الخاضع لثلاث أزمئة وهي: الإعطاء، الأخذ والرد. فيما يخص الإعطاء فهو ضروري ويعبر في خيال الأفراد على أنه واجب وأساسي، الإعطاء يقابله الأخذ فلا يمكن الرفض ما يعطى، لكن مع ضرورة الرد، الرد بمثلها أو أحسن منها، "وهذا ما يشكل خطرا للذين لا يرجعون

¹ RIGAUX N., op. cit, P. 170.

الهبة أو يرجعونها بطريقة غير مناسبة لا تتوافق مع الهبة التي أعطيت في البداية"¹، وهذا ما يخلق المنافسة فالفائدة ليست مادية بقدر ما هي فرصة للظهور تعبر عن شرف ومكانة الأسرة وسلطتها، ما يبدو في تصريحات أغلب المبحوثين: "عاونتي نعاونها" "وقفت معيا جا دوري نوقف معها"، وهذا ما تؤكد فاطمة (المقابلة رقم 19): "في عرسي ما جاوش. ما يفر حولكش. Alors قاطع مقطوع. غي احبيبتنا العسكرية (الأسرة رقم 32) كيما عاونتنا نعاونوها في كل موجباتها".

إلا أن وجود كل هذه الأشكال للتضامن والتآزر بين الجيران لا يعني اختفاء الصراع والخلافات بينهم، فالروابط الاجتماعية من شأنها أن تخلق نوع من التوثر والصراع والمشاحنات، فمن خلال الاحتكاكات اليومية تظهر التوترات، خصامات ومشاجرات، قد تصل الى حد الصراع.

II. الصراع بين الجيران

إنّ الرابط الاجتماعي "ليست علاقة ثابتة بل تنمو وتتطور باستمرار، فبقدر ما هي قابلة للنمو والاستقرار بقدر ما هي عرضة كذلك لكل أنواع التوثر والإضراب والتفكك"²، فكما يعد التضامن شكل من الروابط الاجتماعية، تعتبر الصراعات "بعدا مستمرا من أبعاد الممارسات الاجتماعية"³، وتكون الروابط الاجتماعية إما "علاقة ايجابية أو تشرح ضغط سلبي: علاقات صداقة أو كره وضغينة على سبيل المثال. الروابط الاجتماعية الايجابية تحدد في مفهوم التضامن"⁴ أما العلاقات الاجتماعية السلبية فنلخصها في التنافس التنافر والصراع.

¹ Ibid, P. 170

² بويحيوي عبد الكريم، مرجع سابق، ص. 304.

³ بيار أنصار، العلوم الاجتماعية المعاصرة، ترجمة: نخلة فريفر، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص. 98.

⁴ BOUVIER P., op. cit, P. 170.

إذن يعد الصراع سمة من سمات وخصائص الحياة والعلاقات والإنسانية فالمجتمعات الإنسانية تركيبة معقدة من التفاعلات الاجتماعية الناتجة عن الاحتكاك بين الأفراد باختلاف مراكزهم وأدوارهم في المجتمع، كل هذه الاختلافات بين هؤلاء الأفراد في مختلف المواقف قد يحدث صراعا، وفي التفاعلات التبادلية اليومية يسعى كل طرف إلى تعظيم منفعته، على حساب منفعة الآخر، فيحصل بهذا التصادم والصراع.

يعرف الصراع على أنه "عملية اجتماعية تنشأ بين طرفين يوجد بينهما تعارض في المصالح والأهداف. ويسعى كل منهما لتحقيق مصالحه وأهدافه"¹، وينظر إلى الصراع من جهة "على أنه نتيجة لعلاقة مضطربة متوترة بين طرفين بسبب تعارض المصالح والرغبات، حيث يعتمد أحدهما إلى إلحاق الضرر والأذى بالطرف الآخر، كما ينظر إليه من جهة ثانية بوصفه عاملا ايجابيا يعمل على إعادة التوازن لأجزاء أخرى للنسق العام للمجتمع، وبالتالي فهو يسهم في عملية تحقيق الحراك الاجتماعي الصاعد"²، ويقول فيبر: "يمكن تسمية العلاقة الاجتماعية صراعا إذا انطلق الفعل من نية تنفيذ الإرادة الذاتية مع وجود مقاومة من الشريك أو الشركاء"³. والصراع بهذا المعنى يؤكد وجود تعارض في المصالح بين طرفي الصراع، من خلاله يحاول كل طرف إثبات وجوده، أو فرض إرادته، وتنفيذ لمصالحه الخاصة، كما اعتبر الصراع عملية اجتماعية ضرورية للحفاظ على التوازن الاجتماعي.

ومن ناحية أخرى ينظر إلى الصراع في ضوء مفهوم التنافس على أساس أن التنافس عبارة عن جهود تبادلية مضادة بهدف الحصول على أهداف خاصة، وعندما تشتد عملية التنافس وتتحول جهود الأطراف المشتركة فيها إلى إحداث ضرر بالآخر فإن هذا النوع من التفاعل يصبح حينئذ صراعا، يقول مهدي العربي: "عندما يغيب استعمال القوة الجسدية

¹ الرشدان عبد الله، علم اجتماع التربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2008، ص. 185.

² سعيد عيشور نادية، الصراع الاجتماعي: الاتجاهات النظرية: التقليدية والسوسيولوجية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2014، ص. 25.

³ فيبر ماكس، مرجع سابق، ص. 72.

أثناء المصارعة نسمي المواجهة بالمنافسة، وعندما تكون المصارعة من أجل البقاء فنسميها في هذه الحالة بالاختيار¹، بمعنى أن الصراع يظهر عندما تشتد المنافسة بين طرفي الصراع، وهذا ما يبدو في تصريح جمال (المقابلة رقم 14): "دابزت مع الجار [ضحك] نقولك السبة. [واصل الضحك] سبتها الجامع، كنت نأذن في الجامع. وجا وحد groupe في الجامع عطاو المفتاح للجار وقالوله أنت المكلف تاع الجامع. بغى يدي بلاصتي، مازال لدروك الشحط بيني وبينه. عندها ثلاث سنين وحننا متنايفين مانهدرش معه، وما يهدرش معايا، خليلته كلشي غي يبعدي" هذان الجاران المتخاصمين يسكنان في نفس العمارة، فقد أدى التنافس بينهما في التكفل بالمسجد إلى خلق صراع فعلي ما زال لم ينجلي بعد.

وبشكل عام يولد التنافس تحيزاً، والخاسر فيه يحبط ويغضب، بينما يشعر الراجح بالتهديد من الجهود الرامية إلى تغيير الوضع الراهن، فيشتد بذلك الصراع، إذ أن الحرمان النسبي وهو شعور الفرد بأنه محروم مقارنة بالآخرين، فعلى سبيل الذكر لا يهم الفرد حجم أو جودة منزله، وإنما يهمه كيف يكون منزله بالمقارنة بمنزله جاره.

ويصنف الصراع الاجتماعي إلى بسيط ومعقد، فالشكل البسيط للصراع الاجتماعي يعكس الصراعات الثنائية التي تميز حياة الأفراد كالذي يحدث بين الجيران على سبيل المثال، أما المعقد فهو الذي يكون بين الجماعات المحلية أو العرقية أو بين المجتمعات، وعليه يمكن التمييز في الموقف الصراعى من حيث أطرافه بين مستويات ثلاثة: المستوى الأول يتعلق بالصراعات الفردية: أي التي يكون أطراف الصراع فيها أفراداً، ومن ثم فإن دائرة مثل هذا الصراع وموضوعه يتجهان إلى أن يكونا محدودين بطبيعتهما، والملاحظ أن السمة الخاصة بالصراعات والنزاعات في هذا المستوى، أنه غالباً ما يؤدي إلى حدوث أنواع من الخسارة في العلاقات الشخصية أو الفردية لأطرافها قد تمتد على المدى الطويل. وفي المستوى الثاني

¹ مهدي العربي، مرجع سابق، ص. 56.

يكون الصراع بين جماعات: وتتعدد أنواع هذا الصراع بتنوع أطرافه، كما أن دائرته ومجالاته تكون عادة أكثر اتساعاً وتنوعاً عن نظيرتها في دائرة الصراع الفردي. أما المستوى الثالث فإن يختص بالصراع بين الدول، والذي عادة ما يعرف أيضاً بالصراع الدولي، وتكون دائرة الصراع فيه أكثر تعقيداً واتساعاً عن المستويين السابقين من الصراعات.

الصراع إذن يصور لنا مجموعة من القوى، يحدث بينها تصادم في حالة من التوتر، واستخدمنا هذا المفهوم في هذه الدراسة كان في شكله البسيط لوصف العداء والعراك، الخصومة والتنافر بين الجيران، هذا بالإضافة إلى المشاحنات والشجار الذي يحدث بين الجيران من خلال تعايشهم في مجال واحد، والتي تدفع إليه مجموعة من الأسباب. والتي لا يمكن فهمها إذا تم إغفال البعد الأنثروبولوجي، كما أن فهم الصراع ودراسته لا تحتاج لأن ترتبط بشكل دائم بالسلوك العدواني باعتبار أنه ليس نوعاً سلوكياً في حد ذاته بقدر ما هو تعبير عن موقف ناتج عن عدم التوافق في المصالح أو القيم خاصة. ومن تم الصراع هو مظهر من مظاهر النشاط الإنساني، يتحدد انطلاقاً من أوضاع معينة.

1. مصادر الصراع ووضعيته

إنّ وضعية الصراع تتواجد عندما يوجد اختلاف بين الفاعلين (أفراد أو جماعات)، والذين هم على علاقة مع بعضهم البعض، لأن مصالحهم، أهدافهم وقيمهم أدوارهم مختلفة ومتناقضة، فالصراع يتطلب وجود علاقة بين الفاعلين في حالة تعارض أو تناقض في الرأي، أو أن النجاح أحدهما يؤدي إلى اختلاف أو إقصاء الطرف الآخر. وباعتبار أن الحي يضم أناس من مختلف الشرائح الاجتماعية والثقافية، لكل منها تصورات وممارسات خاصة، من شأنها أن تخلق مشاكل واختلافات وتوترات بين الجيران، فكما أشار بيار الأنصار إلى أن "هناك فروقات مكونة للعلاقات، لكنها تظل حاملة للتوترات"¹، وفي هذا الإطار تقول سيده

¹ بيار أنصار، مرجع سابق، ص. 112.

الأسرة رقم 08: "هنا مكان حالة، متلقيش votre niveau تروحي تهدري معاهم على كاش حاجة يحصلوا فيك. أنا مانجمش نعيش في هذا milieu". فالعلاقة بين جيران مختلفين ثقافيا من شأنها أن تخلق تعارض ومن تم توثرنا بينهم.

وتختلف الصراعات بين الجيران في معظمها حسب نمط المساكن (جماعية أو فردية)، وعليه تتواجد وضعية الصراع بين الجيران في مجموعة من المواقف حسب ما رصدتها الدراسة الميدانية، يكون مصدرها مجموعة من الأسباب. وعليه يمكن تصنيف مصادر الصراع إلى صراع مشترك بين ساكني المجالين أو النمطين من المساكن، ومصادر خاصة بالمساكن العمودية دون غيرها.

1.1. مصادر الصراع بشكل عام

يعد شجار الأطفال سبب في خلق الصراع، وهو ما أجمع عليه جميع الباحثين، فالمشاكل التي تبرز بين الجيران يكون سببها الأطفال على العموم، وبمجرد وقوع سوء تفاهم بين الأطفال حول طريقة اللعب أو الحديث، يبدأ هؤلاء الأطفال يتشاجرون فيما بينهم، خاصة في غياب مساحات للعب، ليتحول شجار الأطفال إلى مشادات بين الجيران الكبار، الذين يتدخلون ليس لفض الشجار بل للدخول هم الآخرين في شجار آخر، ويبدؤون في تبادل التهم والإهانات قد تصل إلى حد المواجهة الجسدية، تقول سيدة الأسرة 15: "الدراري (...). يديروها الدراري وتحصل في الكبار. كيما جارتنا تجي دائما مع ولادها. تكذبك أنت وتأمنهم هما"، وأضافت عائشة (المقابلة رقم 23): "حنا مدابزين مع وحدة هنا [تسكن في نفس الطريق وتقصد الأسرة رقم 24] عندها الدراري. كانت تسكن في 226. الجوارين قاع مدابزتهم. يا لطيف. ولادها من السطح قايسوا خويا محمد، مين راح قاللها ولادك قايسوني قائلته لا، هي من الفرع لي يؤمن الصغار ويكذب الكبار. وصلت كبيرة. قعد خويا يزقي برا. خرج راجلها، وما نقولكش شاسرة، على بالك مين توصل للرجال. ومن بعد جات عندنا مابغيناش نحلوا عليها. متسواش"، وقد ذكرت لنا سيدة الأسرة رقم 24 ما يلي: "ما

عنديش لحباب في الحومة، غي زوج قريبة ليهم (...) وعندي ولادي برك. كنت نطل نسقي على الجوارين. دروك ما نكذبش عليك أنا وولادي (...) هذا لي عنده 17 عام (أشارت إلى ابنها) حرشوا فيه. حلوه ب 17 points فرعوه. وجارتي هذي [تسكن معها في نفس الطريق] دربتي بالشفرة. السبة غي الغراوين هذا مكان. حاسديني غي على هكذا، مين شرا اللوطو الجديدة" وأضاف زوجها قائلاً: "أنا مين كنت نخرج mission للخارج كنت نخلي المفاتيح تاع اللوطو للجوارين. نقولهم كاش مرض ولا حاجة الدار يسحقوها. دروك مكانش الأمان. قطعتهم définitive"، من خلال التصريحات سألقة الذكر يتضح أن عراك الأطفال كان سببا في خلق المشاكل بين الجيران، وقد يتمادى هؤلاء الأطفال عندما يدركون بأن آبائهم في صفهم في الحالات ظالمين أو مظلومين.

هذا بالإضافة إلى ما يسببه لعب الأطفال أمام المساكن من إزعاج للجار ما يستدعي تدخل الكبار وطردهم، تقول زوجة الابن (الأسرة رقم 32): "السبة على جال الغراوين يلعبوا عند الباب، يقولك خلينا نرقدوا، وخترات يجو يدابزك في دارك"، وهذا أيضا من شأنه أن يوتر العلاقات بين الجيران. وعليه فإن تعارك وشجار الأطفال يؤدي إلى توتر العلاقة بين سكان الحي.

ويؤدي غياب المرافق الترفيهية، التي يقضي فيها الفرد أوقات الفراغ إلى التجمع في الطرقات وأزقة الحي مما يترتب عليها ممارسات قد تكون مصدر صراع بين الجيران. فالشباب الذين يتجمعون تحت العمارات يزعجون السكان بضجيجهم ما يؤدي إلى خصومات ومشادات كلامية ومرات كثيرة تتحول إلى مشادات جسدية. كما يسود عند الأغلبية اتجاه إلى ملاحظة سلوك الغير والتعقيب عليه، فهو ضبط اجتماعي يمارسه الجميع على الجميع، وكان الجميع يمارس الأنثروبولوجية التلقائية l'anthropologie spontanée، لدرجة التنبأ بسلوك الآخر، لكن كيف يحدث الصراع في هذه الحالة؟ يمكن إحداث ذلك إذا تم نقل الأخبار، وإذا تم الإعلان عن خصوصية الجار، فتمركز الرجال في

أركان الحيطان، والنساء وراء النوافذ الذين يعملون على مراقبة الجيران وتحركاتهم، ويكون بذلك منبع الشائعات، مما يسفر عن توترات تعتري الحياة اليومية للسكان، مما قد تزعزع الأمان والثقة بين الجيران والذي يؤدي إلى التنافر وتجنب الجار، جاء على لسان نوال (المقابلة رقم 19): "جارنا لي حدانا قطعنا الصلة معاه. حتى السلام مانقولها لهش. عينه طويلة ويقابر بزاف. ما يعرفش حرمة الجار. زيدي العسة تاع الجوارين يوقفوا في القنت ويعس لي دخل ولي خرج. عندنا العسة بزاف. تشوفي تواقى مبلعين بصاح العينين مستفين"

وإن أغلب السكان قدموا إلى الحي وهم يتشابهون في نفس الخصائص، وأي تفوق في الحياة المهنية أو تفوق على مستوى المسكن وتجهيزه يكون محط الأنظار ويولد شعور الخوف كما قد يثير حالة من القلق، ويصبح مصدر من مصادر الصراع، كما يظهر في التصريح الموالي لسيدة الأسرة رقم 04: "كان يجيب كلشي كتلونا بالعين حتى قطع ولا مين يصرف يجيب في الليل"، ويتضح ذلك أيضا في استشهد نصيرة (المقابلة رقم 01) بعدما طرحنا عليها سؤال عن مصادر الصراع: "الغيرة. بنتها تزوجت وبنتي لا ما تزوجتش، قاريا وبنتي ما قراتش، خداما ولا لا. عندها مدخول وأنا ما عنديش..."، نفس الطرح يتضح في مقابلة سيدة أسرة رقم 24، حيث تقول: "هذه الجارة عنقتها بالقلب. قلب ورب. شاسرا ما علاباليش. هذه غي la jalousie الغيرة وحدها. دروك مين نتلافاها في السوق ولا تكون تشري تعارني. شكواو بيا والشرع ما عطائش حقي. الجوارين هنا يعايروا ولادي ما يقولهمش ولاد navigateur يقولوهم ولاد الزبال (...). جات عندي وحدي من الجوارين وقالتي علاه راكي تبني وتعلي، راكي ضامنة روحك. في ميزك هذه هدره؟ ولا مين نلبس ونخرج يموتوا. يا حسرة على جوارين زمان، تحسبي اسرائيلية راهي ساكنة معاهم. أنا راجلي عقدوه الجوارين، مين يجي من mission يقعد في الدار ما يعرفش برا. ما يعرفش يجمع مع جار. قالك الباب لي يجيك منه الريح سده واستريح. مايغوش الواحد يطلع عليهم"

إذن هذا التباغض والغيرة والحسد قد يولد احتكاك بين الجيران، فيخلق بعض التوثر بينهم، والذي يكون سببا في الصراع، لذا يسعى الجيران في الكثير من الأحيان إلى إخفاء مستجدات حياتهم عن بعضهم البعض، وإن كل محاولة لاقتحام المسافة الشخصية التي يضعها كل ساكن حول حياته للحفاظ على خصوصيته، تؤدي إلى توثر العلاقة، ما يظهر في حالة أسرة متخاصمة مع جارتها التي تسكن في الشقة الموجودة أسفل شقتها مباشرة، حيث تقول زوجة الابن (المقابلة رقم 13): "كنا مع بعض بنتها تطلع عندي وولدي يهودّ عندها، ومبعد تبدلت complètement ملي سمعت براجلي ترقى في الخدمة وزادوه في الخلصة تبدلت المرة" ثم سكتت قليلا وأضافت بلغة ساخرة "بغاتي نقولها على اسراري". كما أن نقل الأسرار، القيل والقال، وتناقل الأخبار ما يدعي مواجهات بين الجيران يخلق توثرًا في علاقاتهم، ويحدث خلل على مستوى علاقات الجيرة، كما نستشفه في تصريح سيدة الأسرة رقم 18: "المشاكل تبدأ من الهدرة من التنفيق (النفاق). من القيل والقال، يهدروا في الناس (...). الدبزة تكثر كي يدخل الواحد في الوسط. معاودت لخبار"، لكنّ هذا المشكل المتمثل في تناقل الأخبار والمواجهات الكلامية تكثر عند النساء أكثر من الرجال، فعلى حد تعبير سيد الأسرة رقم 20: "عند النساء تلقي هدرت فيا ومنشرت فيا. حنا الرجال ما عندناش هذه المشكل"

2.1. مصادر الصراع خاص بالسكنات العمودية

إن طبيعة السكن الجماعي واكتظاظ المساكن يؤدي إلى غياب الهدوء على مستوى المسكن أو على مستوى الرواق المشترك أو على مستوى الحي، فالجدران لا تعزل الضوضاء التي تنتج عند القيام بأشغال البيت أو مشاهدة التلفاز وغيرها من الممارسات، إلى جانب الإزعاج الذي يكون من الطوابق العليا على جيرانهم أصحاب الطوابق السفلى نتيجة الحركة أو بفعل الأشغال اليومية التي تنجزها النسوة والتي قد لا تتوقف إلا في ساعات متأخرة من الليل، تقول سيدة الأسرة رقم 03: "ما عندناش الدراري لي يخلقوا المشاكل، تلقي

les problèmes نباتنا غي على les fuites تاع الماء ولا الدرديك ولا حاجة النشير والقطرة"، فبسبب تسرب المياه من مسكن إلى آخر تعددت شكاوي الأسرة رقم 10 إلى جارها الذي يسكن فوق مسكنها مباشرة، وعند عدم وجود آذان صاغية، ولا حلا للمشكل تفاقم هذا الأخير ووصل إلى عراق بين ربي الأسرتين، ما أدى إلى قطيعة بينهما.

كما أن وضعيات نشر الملابس والأفرشة سببا في خلق الشجار بين الجيران، دون أن ننسى تلك الأحداث الجانبية التي تشهدها في غالب الأحيان مداخل العمارات والسلام، فالتعدي على الأماكن المشتركة للجيران من شأنه أن يوتر العلاقة بين الجيران؛ تقول سيدة الأسرة رقم 12: "الدبزة خترات تكون على حاجة تاع والوا. دارلي climatiser في جيهي، دارلي القصعة في تاقتي، على جال الدراري تنود حاجة كبيرة على والوا، خترات الواحد يجي منارفي من الخدمة. على الدخلة مرته تقوله هليك، هليك، تعشي دبزة كبيرة بين الرجال"، إذن للمرأة دور في خلق الصراع الاجتماعي بنقل الأخبار إلى زوجها ضد جارها، وذكرت فاطمة (المقابلة رقم 07): "عندنا petit jardin من تحت البلوك، داها الجار التحتاني، ودارها l'entourage وباب ومفتاح. الحاجة مين طيحلنا من balcon. ندوموندوه (demander) عليها. خترات يقولك المفتاح ماراهش. داوه واحد من الشاشرا. خترات يعطينا المفتاح وخترات يقول راه عند الأولاد. على هذه تناوشنا ووصلت كبيرة. Normalement هذا يقعد محلول، الحاجة مين طيحلنا نجيبوها. لخاتش تاع البلوك"، إذن استحواذ الجار على فضاء عمومي أدى إلى خلق نوع من المشاجرة بين الجيران، فالعيش في العمارة يعني وجود أماكن مشتركة بين جميع الجيران (الأدراج، الفسحات، الممرات، السطح، القبو .. الخ) وأي استعمال لغايات فردية من شأنه أن يخلق الصراع الاجتماعي.

كما أن ظاهرة الإهمال والالتكال على الغير فيما يخص أحوال العمارة من نظافة وإصلاح العطب الذي قد يحصل سواء من الإنارة وغيرها من الأماكن المشتركة بين الجيران فلا يعتبرون أنفسهم مسؤولون عن المجال الخارجي، بل يهتمون بالبيت فقط ولا يهمهم ما

يحصل خارجا، وهذا قد يؤدي إلى شجار لكن لا يصل إلى القطيعة، فكما جاء على لسان سيدة الأسرة رقم 11: "ندابزوا الكثيرة على التسياق. بساح نرجعوا كيما كنا ما توصلش وين نخصروا مع بعضانا البعض"

هذه الأسباب قد تخلق الصراع والتخاصم، مما يؤدي إلى سوء العلاقة بين الجيران، وتعتبر الساحة أو الرواق المقابل للشقق أو المساكن أو حتى الشارع أهم مسرح تنطلق منه المشادات بين الجيران، فبسبب ما ذكر سابقا تتعالى الأصوات ويبدأ المتخاصمين بتبادل التهم والاهانات وفضح للأسرار، لتصل في الكثير من الأحيان إلى المواجهة الجسدية، وقد يكون عنفا دون مواجهات بارزة ما يطلق عليه "العنف اللين *violence douce*"¹، ونقصد به العنف اللفظي دون المواجهة، وهو ما يعرف شرعا بالنميمة، أي الحديث في سيرة الجار بالسيء، والمساس بالشرف.

ومن أجل الحفاظ على الشرف ومكانة الأسرة داخل المجتمع، أو كما سماه بورديو برأسمال الرمزي لا بد من رد العدوان بالعدوان، بمعنى أن العدوان الممارس يخلق دينا² على الممارس عليه إرجاعه، فقد حصل عراك ما بين ربي أسرتين من نفس الحي بسبب الأطفال؛ حيث كان أحد الأطفال يلعب بالكرة وضرب بها باب أحد الجيران (يسكنون نفس العمارة)، الذي خرج متعصبا وقام بضرب هذا الصبي، سمع أبواه صراخ الطفل المضروب، فخرج أبوه يلوم الجار ويتوعده، من أجل الحفاظ على هيئته، ودار بين كلا الطرفين مشاجرة عنيفة، يتوسطها صراخ النساء، ما استدعى تدخل بقية الجيران لفض النزاع، وهذا ما يفسره نيقولا بويج: "الدفاع عن المصلحة هو توازن حرج ينطوي على الشرف والقدرة على

¹ بيار أنصار، مرجع سابق، ص. 102.

² BOURDIEU P., *Le sens pratique*, op. cit, P. 231.

المواجهة في حدود معينة، والانسحاب السريع معناه فقدان ماء الوجه"¹ إذن ومن أجل الحفاظ على ماء الوجه، والحفاظ على كرامة الفرد وصورته الحسنة، لا بد من تبادل للعدوان.

في هذا الإطار قد يحصل تضامن بين أفراد جماعة ما ضد جماعة أخرى لفرض السيطرة ورد للاعتبار، كما حصل في رمضان 2013 الاشتباك والصراع بين جماعتين الأولى ارزيوين (نسبة إلى أرزيو)، والحمروية (نسبة إلى الحمري) المشار إليه سابقا في الفصل الثالث.

ولا يعني عدم وجود وفاق بين فردين وجود صراع بين أسرتين، كما هو الحال بالنسبة للصراع بين جارين شابين أحدهما ابن الأسرة رقم 14، أدى إلى قطيعة بينهما دام حوالي ثلاث سنوات، لكنه لم يؤثر في علاقة الأسرتين تقول سيدة الأسرة رقم 14: "هذاك الجار لي مداذب مع ولدي عنده علاقة قوية معايا. يعيطلي 'ما'. مين يلقاني برا يوصلني بلوطوته، بساح ماشي قدام ولدي ما يبغيش"

وفي تفسير الصراع بين الجيران بشكله العام يقول دوركايم E. Durkheim: "المجتمع في صراع وفي أزمة بسبب غياب الأخلاق. ولوضع حد لهذه الأزمة الخائفة التي تعيق التطور لا بد من وضع أخلاق جديدة"²، يؤكد ذلك مصطفى مرضي بقوله: "حينما يضعف الضمير الجمعي في ظل الكثافة السكانية، ويصبح فيها الأفراد مجرد ذرة من الذرات الهائلة لا يعرف الآخرين حسب أنسابهم وجدورهم العائلية، فإنه لا يتورع في ارتكاب ما هو مخالف للأعراف والتقاليد وما هو مناف للأخلاق والقيم الاجتماعية للآباء والأجداد. إن الطابع المورفولوجي والتركييب العمراني للمدينة يتيح للفرد أن يصبح كيانا مجهولا لا تضبط سلوكاته إلا الأجهزة الأمنية والقضائية التي حلت محل الأخلاق والضمير الجمعي الذي كان سائدا في

¹ بويج نيقولا، مرجع سابق، ص. 82.

² نقلا عن: مهدي العربي، مرجع سابق، ص. 34.

مجتمع القرية"¹، فقد تصل المشاكل وما يخلفه من صراع إلى طلب تدخل المؤسسات العقابية كالشرطة والمحاكم، وهذا ما يؤدي إلى قطيعة تامة بين الجيران.

كل هذا يساهم في تباعد الجيران عن بعضهم البعض، ويساعد على ظهور فئتين من السكان الراضين لإقامة روابط مع الآخرين من أجل المحافظة فقط على الهدوء والسكينة داخل المنزل إلى جانب الاستقلالية، وبالتالي تصبح العلاقة منحصرة فقط في التحية ويتخذون نمطا معيشيا معيناً مبني على اتخاذ المسكن كمكان للعزلة.

2. عوامل ومناسبات حل الصراع

يتم احتواء الصراع من خلال مناسبات عدة تستدعي زيارة الجيران المتخاصمين كالموت وضرورة تقديم العزاء، المرض، ازدياد المولود، الختان... أو الاحتفالات الدينية وتقديم التهاني، والتي تعتبر مناسبات لعقد الصلح وإنهاء الصراع، لكن هناك خصومات تمتد ولا يمكن حلها في حالة الاستنجد بأجهزة أمنية، تقول سيدة الأسرة رقم 13 عن جارتها: "ما نقدرش نسامحها لخاتش وصلت وين شكات بيا. وصلت وين جابتلنا la police "

وغالبا ما يتم احتواء العنف بدخول طرف ثالث محايد للتوسط لحل الصراع، ويعد تدخل بعض الجيران لفض الاشتباكات آلية من آليات ضبط السلوك والمواقف الصراعية.

وبالرغم من سيادة التنظيمات الاجتماعية، ما زال المسجد يعتبر كمؤسسة رادعة يلجأ إليها السكان لحل مشاكلهم والعمل على فك النزاعات، قد صرح إمام

¹ مرضي مصطفى، مرجع سابق، ص. 91.

مسجد البدر (مسجد الهضاب) بأن عدد شكاوي الجيران في الشهر الواحد تصل بمعدل خمس شكاوي في المتوسط، تكون معظمها مرتبطة بالعيش المشترك (مشاكل الماء، الضوضاء التعدي على المجالات المشتركة، أو عراك بين الأطفال يؤدي إلى اشتباك بين الكبار، وكذا تضمنت الشكاوي التي يلجأ بها إلى إمام المسجد متعلقة بموضوع السحر، قال إمام المسجد: "يجونا الكثيرة على هذا الجار راه يسحرني وهذا راه يرشلي عند الباب وهذا (...). أمور تتعلق بالسحر والشعوذة التي أصبحت اليوم متفشية بشكل كبير في مجتمعنا"، إذن يطلب من الإمام التدخل للحد من الصراع الذي قد ينشأ بين الجيران في طرحها في خطبة الجمعة، للوعظ والإرشاد، كما يعمل الإمام على جمع أطراف الصراع ومحاولة الصلح والتوسط لحل هذا الصراع.

كما يلجأ إلى أجهزة الشرطة والقضاء، فقد حل الرسمي محل الضبط غير الرسمي في كثير من الأحيان، ولقد سجلت مصالح الشرطة لأمن أرزيو عام 2013م 85 شكوى حول المنازعات بين الجيران وسجلت في السداسي الأول (من شهر جانفي إلى شهر جوان) لعام 2014م 45 حالة، والتي وصلت أغلبها إلى المحاكم للفصل فيها، كثير من هذه المنازعات سببها أمور تافهة على حد تعبير أحد المسؤولين بمحكمة أرزيو، والذي ذكر أن قضايا المشاجرات بين الجيران اليوم كثيرة ومتعددة، وهي في تزايد مستمر، لكنه رفض إعطائنا الإحصائيات التي تبين ذلك، طلبنا لمعرفة هذه الإحصائيات وصل إلى مقر الوزارة المعنية لكن لم نتلقى أي جواب عن طلبنا.

- خلاصة

إن الروح التعاونية التضامنية بين الجيران ما تزال سائدة، وسكان الحي في سعي دائم للمحافظة عليها، باعتبارها أساسا لاستمرار علاقات الجيرة، ويكون هذا التعاون ماديا أو معنويا كلما ادعت الضرورة لذلك حتى إن لم توجد رغبة في الاختلاط بالجيران. ورغم التطورات الحضرية فهي ما تزال سائدة حتى الآن، وما يزيد في استمرارها وقوتها هي المدة الزمنية التي عاش فيها سكان الحي بجوار بعضهم البعض. وعليه فرغم التغيير الحاصل على مستوى المدينة والأفراد، فسكان هذا الحي لا يزالون محافظين على الكثير من الخصوصيات وقيم بما فيها قيمة التضامن.

ومن أهم الأمور التي تسهل التعايش هي الاهتمام بمشاكل وحاجات الجيران والتقيد دوما باحترام خصوصيتهم، مع مراعاة التصرفات اليومية التي يمكن أن تسبب إزعاجا للجيران. كتجنب وضع الثياب المغسولة دون تصفية المياه منها أو تنظيف السجاد خلال اليوم، مع اجتناب الضجيج والصراخ لأنه يؤثر على راحة الجيران وغيرها من الأمور.

إن التعايش بين الجيران يقوم على مبادئ التضامن الاحترام والمسؤولية المشتركة والتعاون، وممارسة هذه القيم تعطي معنى لعملية الانتماء إلى الجماعة، وإن حصل الشجار والصراع قد ينجلي بفعل مؤسسات مختلفة وجهات غير رسمية من أجل استمرار الرابط الاجتماعي بين الجيران، أما تدخل الجهات الأمنية الرسمية يؤدي إلى قطيعة فعلية بين الجيران.

الفصل السادس

الفضاءات الاجتماعية: أماكن التقاء الجيران

- تمهيد

.I مفهوم الفضاء الاجتماعي

.II الفضاء السكني فضاء اجتماعي

1. مفهوم الفضاء السكني

2. خصائص الفضاءات السكنية

3. دور الفضاء المجاور في تكوين العلاقات بين الجيران

.III الفضاءات العمومية مجالات للمعايشة الاجتماعية

1. الفضاءات الاجتماعية الرجالية

2. المسجد وخلق الروابط الاجتماعية

3. الحديقة العامة مجال للتعارف والالتقاء

4. مدرسة الأطفال فضاء للالتقاء بين الجيران

- خلاصة

- تمهيد

باعتبار المدينة نموذج لمجتمع حضري فهي تحوي بداخلها على مرافق ومؤسسات، وذلك استجابة لمختلف الوظائف التي تكتسيها، وتعتبر الفضاءات الاجتماعية من أبرز ما يميز الطابع الحضري ويمكن القول أنها السجل الاجتماعي الذي تبرز فيه مختلف سمات النظام الاجتماعي، وفي نفس الوقت تساهم تلك الفضاءات بدور فعال في تفاعل أفرادها وخلق علاقات وتضامن بينهم من خلال مختلف الوظائف التي تقوم بها، وفيها يتعرف الفرد على جيرانه ويتواصل معهم بفضائه السكني، وبالمقاهي، والشارع، والمسجد، والحديقة العمومية وغيرها.

وعليه تعتبر كل من هذه الفضاءات شرط من الشروط الأساسية التي تسمح بإقامة علاقات الجيرة وذلك في حدود معينة تقتضيها الوضعية المناطة بذلك الفضاء. وإن البحث في دلالات الفضاء باعتباره هندسة تبلور مختلف تمثلات وتصورات الأفراد، كما يتحدد إنتاج الممارسات على الوضع الذي يحتله الفاعل في الفضاء الاجتماعي وأيضاً على المجال الذي تتم فيه هذه الممارسات؛ إذ أن هذه الفضاءات تعد مجالاً هاماً لملاحظة النماذج السلوكية التفاعلية للأفراد التي قد تعمل على تدعيم وتثبيت الرابط الاجتماعي أو تفكيكه وإضعافه.

I. مفهوم الفضاء الاجتماعي

يحمل الفضاء معان كثيرة ومرادفات متعددة فيقصد به المكان، المجال، الحيز وغيرها، وعليه الفضاء الاجتماعي هو المجال أو المكان أو الحيز الذي تدور حوله العلاقات الاجتماعية، أو هو: "المكان الذي يحدث فيه نسق من التفاعلات الاجتماعية"¹

إن الفضاء كل شيء ولا شيء في آن واحد على حد تعبير لودريت ريمون R. Ledrut؛ حيث يقول: "الفضاء إن شأنا كل شيء ولا شيء في نفس الوقت، أو بتعبير آخر شيء قليل وشيء كثير معا. وهذه المفارقة تجد تفسيرها بوضوح في كون جميع الكائنات في علاقة مجالية محضة (...). إن هذا الفضاء الذي يبدو كالأشياء يصبح كل شيء تقريبا لأنه من طبيعة وجودية ولأننا نعثر عليه في كل الأنحاء (...). وكلما تحدثنا عن الفضاء أو المجال إلا ونجد أنفسنا نتحدث عن الوجود وعن علاقات التواجد أي في نهاية الأمر عن الوجود"²، وهذا تفسير واضح عن أهمية الفضاء في حياتنا لأنه متواجد فيها باستمرار، كما لا يمكن أن يدرس الفضاء بمعزل عن البنية الاجتماعية، فقد نفى كاستل M. Castells "وجود نظرية للفضاء دون أن تكون هذه الأخيرة جزءا من مدجما ضمن نظرية اجتماعية شاملة"³، بمعنى لا يمكن النظر إلى الفضاء على أنه إنتاج مادي بمعزل عن العناصر الاجتماعية والمعنوية التي تدخل في تكوينه، كما أن الفضاء لا يوجد "إلا بما يحويه (...). فهو بناء منظم بما يتضمنه: أحداث، وأشخاص، وأفعال، واتصالات، وتعارف، وأشياء..."⁴، فكل

¹ SCHOONBRODI R., Sociologie de l'habitat social : Comportement des habitants et architecture des cités, Edition des archives d'architecture moderne, Bruxelles, 1979, P. 49.

² LEDRUT. R., La forme et le sens dans la société, Ed Librairie des Méridiens, Paris, 1984, P. P.107-112

³ CASTELLS M., La question urbaine, Ed François Maspero, Paris, 1981, P. 475.

⁴ MOLES A.- ROHMER E., Psychosociologie de l'espace, L'Harmattan, Paris, 1998, P. 17.

هذه مجتمعة تشكل لنا الفضاء. ومنه الفضاء ظاهرة اجتماعية كلية تضم مختلف العناصر، والعلاقات، البيئة، وضعية الكائنات وحريرتهم، ممارساتهم اليومية وعاداتهم وغيرها، وفي هذا الإطار يعتبر حجيج تنظيم الفضاء ظاهرة اجتماعية لا يمكن التقرب منها وفهمها إلا بالرجوع المباشر إلى الظواهر الاجتماعية الأخرى، يقول: "دراسة الفضاء معناه إبراز التفاعلات القائمة بين الفضاء والمجتمع. وفي المرحلة الأولى يجب فهم العمليات التي تحدث أو التي حدثت حتى يتم بموجبها إنجاز الفضاء، ثم في مرحلة ثانية يجب ملاحظة وتسجيل آثار هذا الفضاء على المجتمع ككل"¹

إذن الفضاء هو إنتاج جماعي وجزء من الحياة الاجتماعية وهو يتجلى "كنموذج إبراز أو تعبير عن المجتمع (...). والعلاقة بالفضاء تحافظ على خصوصية الهويات"²، مما يظهر أهمية ودور الممارسات الاجتماعية داخله، وإن دراسة الفضاء الاجتماعي "الذي يحمل علاقة الإنتاج وإعادة الإنتاج الاجتماعي سواء تعلق الأمر في ذلك بالجوانب البيوفيزيولوجية التي تنظم علاقة الجنسين (...). أو علاقات الإنتاج وإعادة الإنتاج المتعلقة بتقسيمات العمل وتنظيماته فهو إذن -أي المجال- ذو وظائف اجتماعية مترتبة"³، فما يحمله الفضاء من عناصر وعلاقات ووضعيات وممارسات تشرح هذه العلاقات ووظائفها، ويعبر الفضاء على كل ما يخص الحياة اليومية ويرتبط معها. وتختلف الممارسات حسب الفضاء: "ممارسات تكون مشروعة في فضاء معين قد لا تكون كذلك في فضاء آخر"⁴، وعليه تختلف الممارسات فيما إذا كان الفضاء حميمي خاص أو عمومي.

¹ HADJIDJ. D, « Urbanification et appropriation de l'espace Le cas de la ville d'ORAN », In Insaniyat, N° 16, CRASC, Oran, Janvier 2006, (P. P. 237- 243).

² BONTE P.- IZARD M., Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie, Puf, Paris, 1991, P. 235.

³ LEFEBVRE H., La production de l'espace, 4^e Ed Anthropos, Paris, 2000 , P. 41.

⁴ MARC E.- PICARD D., L'interaction sociale, Puf, Paris, 1989, P.123.

II. الفضاء السكني فضاء اجتماعي

إنّ الفضاء السكني ليس عملية ممارسة لوظيفة عضوية فقط، وإنما هو عنصر أساسي لارتباط العائلة والفرد مع الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه، ويعدّ "الفضاء السكني نسقا للاتصال"¹ بمعنى أنه مجال للعلاقات الاجتماعية، وكما يعبر عليه أيضا وفي نفس المنحى قرافير Y. Grafmeyer على أنه "مكان في غاية الخصوصية وهو ملتقى العلاقات الاجتماعية"²

1. مفهوم الفضاء السكني

يقصد بالفضاء السكني عموما المسكن أو البناء أو العمران، وهو عبارة عن وجود مادي لما يحتويه من أبواب، نوافذ وجدران.... إذن المسكن يشير في البداية إلى الإطار المادي الذي يشبع فيه الإنسان احتياجاته المادية والروحية، والعاطفية والثقافية... ويقضي فيه معظم أوقاته، والمسكن كما يراه رابوبر A. Rapoport علة وظيفتها الرئيسية هي إيواء وحماية ساكنيها ومحتواها³، وحسب عبد القادر القصير الفضاء السكني هو "البناء الذي يأوي إليه الإنسان ويشتمل هذا البناء على الضروريات، التسهيلات، التجهيزات، الأدوات والأجهزة التي يحتاجها أو يرغب فيها الفرد لضمان تحقيق الصحة الطبيعية والعقلية والسعادة الاجتماعية له ولأسرته"⁴، فهو إذن المجال الذي يحقق لساكنيه الراحة البدنية، والنفسية، والعقلية، لما يتضمنه من تجهيزات لتحقيق ذلك.

¹ RENIER A., Espace et representations : Penser l'espace, Les éditions de la villette, Paris, 1982, P. 9.

² GRAFMAYER Y., « Logement, quartier, sociabilité », In : SEGAUD M. et autres (sous direction), Logement et l'habitat : l'état des savoirs, op. cit, P. 347.

³ CF. RAPOPORT A., Pour une anthropologie de la maison, traduit par A. M. Meistersheim et M. Schlumberger, Bordas, Paris, 1972.

⁴ القصير عبد القادر، مرجع سابق، ص. 169.

إنّ المسكن "لا يعد وحدة نساكنها فحسب، إنه موضوع في فضاء محدد لا يمكن أن نتجرد منه. فقيمتها الاقتصادية، والعاطفية، والرمزية تابعة لموضعه ومحيطه"¹، من هنا يعتبر غاستون باشلار G. Bachelard المسكن "زاويتنا وركننا من العالم وهو عالمنا الأول وفضائنا"²، لأنه المكان الوحيد الذي يعتبره الإنسان ملكه، يتصرف داخله بكل حرية، وقد عبر عنه أيضا بأنه حامي القيم والحميمية يترك فيه الإنسان الذكريات والأحلام التي تربط بداخلية قيم فردية خاصة، واعتبره شيئا حيا له خصوصية وصفات هندسية تصمم ملامح الألفة فقال: "البيت جسد وروح وهو عالم الإنسان الأول"³، بالنسبة له المسكن ليس صفات هندسية بل ملامح للألفة الاجتماعية، وهو مجال الأمان والتخيلات والأحلام.

وينعت شومبار دولو P.H. Chombart de lauwe المسكن بوجود اجتماعي وثقافي بارز "تعمل المجموعة التي تسكنه على توفير أحسن حماية له من العالم الخارجي، فتجعل منه محمية"⁴، أي تقوم على توفير سلسلة معقدة للحماية سواء كانت مادية أو رمزية؛ تتمثل المادية منها في ترصيص الأبواب والنوافذ، فتضاف للأبواب أبواب أخرى حديدية، وإلى النوافذ الشبائيك الحديدية؛ أما الرمزية فهي كل الرموز المستخدمة خاصة لحماية المسكن وساكنيه من العين والحسد. ومنه يبرز "كل مسكن على أنه فضاء مزدوج: من جهة هو فضاء مغلق، ثابت، دائم، مركزي ومخصص للحفاظ؛ ومن جهة أخرى هو فضاء مفتوح، غير ثابت، زائل، خارجي ومبدع أو مدمر"⁵ هذه الازدواجية تعبر عن الداخل والخارج للفضاء السكني، فهو مغلق يحمي أصحابه ويحفظ خصوصيتهم، كما يعد مجال لخلق الروابط الاجتماعية وربط بين الفرد ومحيطه الخارجي.

¹ SEGAUD M. et autres (sous direction), Logement et l'habitat : l'état des savoirs, op. cit, P. 6.

² BACHELARD G., La poétique de l'espace, Puf, Paris, 1981, P. 25.

³ باشلار غاستون، جمالية المكان، ترجمة غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1984، ص. 38.

⁴ CHOMBART DE LAUWE P.H., Pour une sociologie des aspirations, Médiations, Paris, 1971, P. 114.

⁵ MASSABUAU J. P., op. cit, P. 51.

كما يعد المسكن "فضاء للحرية على عكس الفضاء الحضري"¹، إذ يترجم الساكن داخله آماله ورغباته، ولا ينظر لوفيفر H. Lefebvre إلى السكن "بوجهه المادي وأنماطه، بل يغطي أيضا المحيط الاجتماعي والمتكون من الممارسات والعلاقات والتمثيلات"²، فالفضاء المادي يعبر عن فضاء اجتماعي، وشكل المسكن وترتيبه يفسران هوية الساكن قبل كل شيء، فكيفية استخدام الفضاءات السكنية تلخصها بوشانين F. N. Bouchanine في العلاقة الموجودة بين المعايير والفضاء. ومنه الفضاء السكني تعبير اجتماعي، وهو شكل تنظيمي توظيفي من طرف السكان، إذ هو نتيجة لتمثلاتهم، فهو عبارة عن مؤسسة مشكلة من مجموعة من التصورات وتخيل لا بنية وشكل فقط.

إنّ الفضاء السكني عبارة عن بناء يجسد الحياة الاجتماعية واليومية للأفراد، وهو بمثابة تفاعل يدخل ضمن تمثيلات للحياة الاجتماعية، وأوضح ديسبرس Despres من خلال دراسة التي قام بها في مدينة شيكاغو، مفهوم المسكن في عدة خصائص، أهمها:³

- الموضوع الذي نشعر فيه بالأمن الجسدي.
- المكان الذي نستطيع فيه الفرد أن يعمل ما يشاء وأن يحقق ذاته.
- المكان الذي نشعر فيه بالراحة عند استضافة الناس.
- الملجأ الذي نستطيع أن نبتعد فيه عن الضغوط الخارجية، وأن نحصل فيه على السلام والسكون والبقاء بمفردنا عندما نرغب في ذلك.
- المكان الذي يتوفر فيه الفضاء المناسب والغرف لتحقيق الحاجات اليومية للفرد.
- المكان الذي نستطيع فيه إحداث التغييرات وإضفاء الصبغة الشخصية عليه.

¹ SEGAUD M., Anthropologie de l'espace :Habiter, Fonder, Distribuer, Transformer, 2^e Edition, Armand colin, Paris, 2010, P . 216.

² HADJIDJ D., « L'habiter : La spatialisation des modes de vie », In Revue des sciences sociales, N°17, Université de Constantine, (Janvier 2002), (P.P. 19-23)

³ نقلا عن: سليمان جميلة، دراسات في علم النفس الاجتماعي الفضائي: الآليات النفسية والاجتماعية للمسكن، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص. ص. 50-51.

- موضع الحب والمبادلة، أين نتمكن من توطيد العلاقات مع الأشخاص المهمين بالنسبة لنا.
- المكان الذي نشعر فيه بالألفة مع فضاءاته، رائحته، أثاثه وأشياءه.
- المكان الذي يمنحنا الشعور فيه بالانتماء وبوجود أصل لنا.
- مكان شخصي.
- الاستثمار الذي يمكننا الحصول بواسطته على المال.
- المكان الذي يبين للناس مكانتنا في المجتمع.

إذن يعتبر الفضاء السكني من الأولويات والحاجات الأساسية للأفراد، وعنصرها هاماً يحدد نوع الحياة ويوفر مختلف الإمكانيات والتسهيلات التي تضيف على الحياة الاجتماعية الراحة والسلامة والأمن، كما يعطي لساكنيه مكانة اجتماعية، فهو إذن ليس بالمجال الذي يحمي الإنسان من أخطار الطبيعة فقط - لا يقي الفرد من العواصف والأمطار والثلج والشمس -، لأنه يوفر لساكنيه الراحة النفسية والجسدية، فهو يحفظ الأشياء السرية وخصوصية العائلة و الفرد. من خلاله يشعر الفرد بإنسانيته وكرامته. ضف إلى ذلك نعتبره المكان الوحيد الذي يحقق فيه الساكن استقلاليتته وحرياته الشخصية بدون قيود، ويجسد فيه هويته وتصورات، وبطبيعة الحال ليس وحدة سكنية جامدة فهو في حالة ديناميكية يتغير حسب احتياجات ساكنيه، ولا يوصف على أنه حيطان صماء. وبالتالي فكل ركن فيه يحمل تصورات معينة مما يفسر أن الفضاءات السكنية لا تنظم بنفس الطريقة.

وبقدر ما يؤثر الإطار المادي على سلوك وتصرفات الساكنين يؤثر الأفراد والجماعات بدورهم على محيطهم السكني فيشكلونه ويطوعونه ويخضعونه لرغباتهم ومتطلباتهم، ففي داخل البيئة السكنية ينشأ الأطفال وترعرع الصداقات وتنمو العلاقات وتزدهر وتثور الخلافات والصراعات والضغائن وينمو الشعور بالانتماء والاندماج.

وفي كل الأحوال لا يمكن اعتبار المسكن فضاء جغرافي جامد، ولكنه في الواقع مرفق حيوي يحدد الكثير من الإشباع، فضلا على أنه نظام ثقافي واجتماعي قائم على مجموعة

العلامات والدلالات، ويقوم بمجموعة من الوظائف: يحفظ خصوصية الأفراد، ويؤمن لهم الحماية والاستقلالية والطمأنينة، والأكثر هو مجال للتفاعلات والتبادلات الاجتماعية.

2. خصائص الفضاءات السكنية

يعد الفضاء السكني الملائم أحد مقومات حياة الأسرة، وفي ظلّه تقوم الأسرة بوظائفها وتلبية احتياجاتها، كما يحدد طبيعة العلاقات الاجتماعية التي تكونها الأسرة، وهي النقطة المعول عليها في هذه الدراسة. فنوعية الفضاء السكني وحالته واتساعه وضيقه ومدى توفره على التجهيزات الضرورية يؤثر بشكل كبير على العلاقات الاجتماعية ويحدد طبيعتها. كما يعبر حجم السكن وموقعه وتجهيزه وتأثيره عن المكانة الاجتماعية للأسرة.

1.2. نوعية وحالة الفضاءات السكنية

تؤثر نوعية الفضاء السكني على تكوين علاقات الجيرة، وعليه تم اختيار فضائين سكنيين وهما:

- نمط الفردي: نمط أفقي horizontale

يعرف النمط الفردي على أنه نمط سكني تقليدي، فهو مجموع من السكنات المتلاصقة مصطفة في خط مستقيم، هذه السكنات تدور حول فناء مفتوح تمارس فيه مختلف الأنشطة المنزلية، ومكان يلهو فيه الأطفال كما يعتبر مجال لاستقبال الضيوف الأعضاء¹ ويساعد السطح المتفتح على الخارج على التلاقي بين الجيران وخاصة فئة النسوة، أين يتبادلون الحوار وحتى المأكولات. تطل هذه المساكن على شارع متسع، وتلعب الشوارع بالنسبة لهذا الفضاء السكني دور شرايين الاتصال.

¹ RAPOPORT A., op. cit, P.149.

يختلف ارتفاع هذه المساكن حسب خصوصية الساكن الاقتصادية والمادية، قد تتحول إلى فيلا، مظهرها الخارجي يجسد نوع من التباهي وحب الظهور والتفوق، وقد سجلنا من خلال المعاينة الميدانية عشر فيلات وستة أحواش، وتم هذا التصنيف وفق المعاينة الداخلية والخارجية للفضاء السكني، وتضم هذه السكنات على حوش وسطح ماعدا خمسة منها التي تحوي فقط على حوش، وتتمارس فيه النساء مختلف الأعمال المنزلية والذي يعد فضاء حميمي بامتياز، ومن هنا يبرز قيمة كل من الحوش والسطح.

تختلف هذه الفضاءات في عدد الطوابق التي تحويها حسب المستوى الاقتصادي للأسرة وحجم الأسرة (عدد أفرادها) كما يبين الجدول الموالي.

جدول رقم (18): توزيع السكنات الفردية حسب عدد الطوابق

عدد الطوابق	التكرارات
طابق أرضي	7
طابق أرضي + 1	6
طابق أرضي + 2	2
طابق أرضي + 3	1
المجموع	16

هذه السكنات الفردية تم شراؤها من طرف أصحابها في نظام التخصيصات (Lotissement) ماعدا حالتين تستند إلى عقد كراء، وهي مزودة بالماء والكهرباء والمرافق الصحية ماعدا الغاز، فالساكن يعتمدون على شراء قارورات الغاز.

- نمط جماعي: نمط عمودي Vertical

يقصد به الشقق السكنية بالعمارات، تعد الشقق مساكن اجتماعية مازال أصحابها يدفعون الإيجار للديوان الترقية والتسيير العقاري، هذه المساكن مزودة بكل الهياكل الأساسية

من ماء وكهرباء وغاز وغيرها. ويمتلك أصحابها على تجهيزات داخلية من تلفزة إلى ثلاجة، غسالة وحتى مكيفات الهواء.

أما عن حالة الفضاءات السكنية التي تم معاينتها مباشرة يمكن تقسيمها من حيث حالتها إلى رديئة، متوسطة وجيدة، كما يبينه الجدول الموالي:

الجدول رقم (19): حالة الفضاءات السكنية

جيدة	متوسطة	ردية	
7	8	1	المساكن الفردية
5	9	2	المساكن العمودية
12	17	3	المجموع

وعليه تتواجد جل الفضاءات السكنية الخاصة بأسر العينة في حالة متوسطة وجيدة، أما الرديئة، والتي تحتاج إلى تحسينات وصيانة، وصلت ثلاثة فقط من مجموع اثنان وثلاثين مسكناً، هذا ما يفسر ارتياح الأسر لفضاءاتهم السكنية.

2.2. تنظيم الفضاء السكني

تكتسي مسألة تنظيم المسكن وترتيبه وتأثيره أهمية كبرى، لأن الممارسات داخل الفضاء السكني تترجم النماذج الثقافية، فتقسيم الفضاء السكني بين مجال للرجال وآخر للنساء وللأطفال، مجال مخصص للنوم وآخر للجلوس، فضاء مكشوف وآخر مستور... ناتج عن تمثلات الساكن نفسه.

ويربط رابوبر A. Rapoport¹ بين الشكل المبني للمسكن وطريقة العيش، أي بين الشكل والسلوك، ويعبر عن الفضاء السكني بأنه مؤسسة تحوي تنظيماً اجتماعياً لا هو عبارة عن بنية وشكل فقط، يحقق داخله الساكن مجموعة من الحاجات الأساسية والحميمية والاجتماعية المرتبطة بالنسق القيمي والعادات والتمثلات الاجتماعية.

¹ Ibid.

من هذا المنطلق ركز رفعة الجادرجي¹ على هذه الجدلية بين الشكل والسلوك وتساءل قائلاً: هل أن المحتوى يولد الشكل، أم أن الشكل هو الذي يولد المحتوى وخلص هذا الباحث إلى أن الشكل هو التكوين الهندسي الذي يظهر لنا المحتوى والذي يعتمد عليه ويكمن فيه، فكل منهما يؤثر في الآخر، فترتبط تفاصيل المسكن وحاجاته بنظرة الأفراد لواقعهم ولعملية انتمائهم الاجتماعي وعالمهم الثقافي.

جعل تنظيم المسكن يلبي بصفة مباشرة أو غير مباشرة لحاجيات الأسرة، يرتبط بنمط المعيشة والمستوى الثقافي والأصل الجغرافي وأيضاً مستوى الدخل، وكذا على حسب حجم الفضاء السكني، والذي يقصد به عدد الغرف. والجدول الموالي يطرح عدد الغرف داخل الفضاءات السكنية للعينة المبحوثة.

الجدول رقم (20): توزيع أسر العينة حسب عدد غرف فضاءاتها السكنية

التكرارات		عدد الغرف
المساكن العمودية	المساكن الفردية	
2	1	2
10	5	3
3	1	4
1	2	5
0	2	6
0	2	7
0	0	8
0	2	9
0	0	10
0	1	11
16	16	المجموع

¹ أنظر: الجادرجي رفعة وآخرون، بحث في جدلية العمارة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1985.

من خلال الجدول رقم (20) يتبين أن جل المساكن العمودية تتكون من ثلاث غرف، أما في المساكن الفردية تتراوح ما بين الغرفتين إلى إحدى عشر غرفة، وهذا حسب المساحة المخصصة للسكن والمقدرة ب 160م²، التي تسمح بإطالة البنيان، وكذا حسب المستوى الاقتصادي للأسرة، ورغباتها. وتتوفر جميع المساكن على الضروري من الغرف حسب احتياجاتها بما يتناسب وحجم الأسرة، تتكون فضاءاتها بالإضافة إلى الغرف من مطبخ، حمام ودورة للمياه.

إنّ تنظيم المسكن على العموم مرتبط بالحرمة كما أشار إبراهيم بن يوسف في دراسته للمجتمع المزابي¹ وبرز في طرح سليمان بومدين في مقاله عن تصورات المغاربي لحرمة داره²، وعلى هذا النهج ترى بوشانين F. N. Bouchanine³ أن الفضاء السكني ينقسم إلى مجالين الأول مرئي (visible) يضم قاعة الضيوف أو "الصالة" أو كما يسمى عند البعض "بيت الضياف"، وهو مخصص لضيوف الأسرة كالأهل، الأحباب، الأصدقاء والجيران. أما المجال الثاني غير مرئي (non visible) وهو مخصص للمرأة تتحرك فيه بكل حرية ويمنع على الرجال الأجانب دخوله احتراماً له ولمكانة المرأة، وللحفاظ على حرمة المسكن، ويضم هذا المجال المطبخ وغرف النوم. فهذا التقسيم بين فضاء للاستقبال وآخر حميمي خاص بأفراد الأسرة، ضروري وموجود لدى الأسر المبحوثة يؤكد الحفاظ على الحميمية في الحياة العائلية، وإن الدين يؤثر في تصميم وتنظيم الفضاء، وفي تحديد مكوناته وفي شكله الرمزي، ليتجسد ذلك في الأثاث والألوان وتموضعها ونستشف ذلك على وجود لوحات لآيات قرآنية على جدران الفضاء السكني.

¹ Cf. BENYOUCEF B., Le M'zab : Espace et société, Ed. urbaine, Alger, Non daté.

² أنظر: بومدين سليمان، مرجع سابق.

³ Cf. BOUCHANINE F.N., Habiter la ville marocaine, L'Harmattan, Paris, 1997.

3.2. مستوى تجهيز الفضاء السكني

يعبر مستوى تجهيز المسكن وأثاثه وحجمه وموقعه عن المستوى المعيشي للأسرة، ويختلف مستوى تجهيز المسكن حسب الوظائف التي يؤديها كل فضاء فيه، حيث يتميز تجهيز الفضاء الحميمي في أغلب الأحيان بالبساطة، هذا الفضاء مخصص لأفراد الأسرة، لا يسمح للغرباء عن المسكن دخوله، والمكون من غرف النوم والمطبخ خاصة، وتقع الفضاءات الخاصة كغرف النوم في الطابق العلوي بالنسبة للمساكن الفردية التي تحوي على الطوابق.

وتعد غرفة جلوس أفراد الأسرة أو كما تعرف عند البعض "بيت القعاد" مكانا خاصا لدى أسر العينة، أصبحت من الفضاءات الهامة والأساسية في المساكن، تختار دائما عند مدخل الشقة وهي تستعمل أيضا لنوم الأطفال ومشاهدة التلفاز، وهذا حفاظا على حميمية غرفة نوم الزوجين و"الصالة" نظيفة، وعادة ما تتكون هذه الغرفة من أفرشة بسيطة وخزانة عادية تحوي التلفاز لدى أغلب الأسر فهي تضمن الالتقاء الدائم بأفراد الأسرة لتعدد استعمالاتها. كما قد تجهز بصالون مغربي لكنه يكون أقل قيمة من الموجود في الصالة، فهي فضاء اجتماعي أيضا لأنه يعمل على تواصل بين أفراد الأسرة، ويستعمل عند بعض أسر العينة لاستقبال الجيران وخاصة المقربين منهم.

أما عن الفضاء الاجتماعي الثاني، والذي يعد مكانا لالتقاء أفراد الأسرة مع أفراد من خارج الأسرة كالأصدقاء والأقارب والجيران وغيرهم، يتمثل في غرفة استقبال الضيوف أو ما تعرف بالصالة، تعد الأكثر أناقة مقارنة بباقي الغرف من حيث مظهرها؛ حيث يحرص الساكن على أن تكون مرتبة دائما ونظيفة كي تقدم صورة حسنة عن أصحاب المسكن.

وتعرف هذه الغرفة بأهمية بالغة ودرجة كبيرة من الاعتناء والتزيين، فيختار لها أجود وأفخم الأثاث والأفرشة وأجمل الستائر، تتميز في غالبيتها بوجود صالون مغربي مجهز بسداريات (نوع من الأرائك) والأغطية والوسادات، وسجادة فخمة، والطاولات المزخرفة، كما نجد في بعض الصالات جهاز الكمبيوتر un ordinateur. ومن بين الأثاث التي نجدها

داخل معظم غرف الاستقبال أيضا ما يعرف بـ *Bibliothèque* وتستعمل لعرض الأواني الفخارية والمزهريات والزهور الاصطناعية وغيرها من أدوات الزينة وقد نجد بعض الكتب بها، داخل هذه الخزانة *Bibliothèque* تحبب الأسرة الأواني ذات القيمة العالية، والتي لا تستعملها إلا عند مجيء الضيوف الأجانب (الغرباء).

وتزيّن جدران قاعة الاستقبال بلوحات زيتية طبيعية أو لوحات قرآنية، تتضمن خاصة آية الكرسي أو الموعودتين لطرد الحسد وحماية المسكن من كل عين شريرة، وهنا أشار عبد القادر لجمع في دراسته¹ إلى أن الممارسات التقليدية والتي تظهر عبر رموز وإشارات يستخدمها الساكن لحماية أسرته ومسكنه، وهذا ما يتجلى عبر الاعتقاد بالعين والحسد واستخدام رموز للوقاية منها سواء على مستوى الفضاء السكني أو خارجه عند العتبة، وتمثل هذه الرموز خاصة في "يد الخامسة"

تحظى الصالة بعناية الساكنين بها من حيث النظافة ونوعية الأثاث حتى تظهر هذه الغرفة بصورة لائقة، فالغرض من تهيئة الصالة بهذه الطريقة هو إرضاء الزائر وإعطائه انطبعا حسنا على المنزل وأهله، تجسد نوع من التباهي وحب الظهور، كما وترجم المستوى السوسيواقتصادي للأسرة، والذوق الخاص بها. وتتميز بالجودة والفخامة، فيذهب البعض إلى غلق باب الصالة بالفتاح لتكون بعيدة عن الممارسات اليومية وحتى تبقى نظيفة جاهزة لاستقبال الضيوف، ونجد هذه الظاهرة لدى الأسر التي لا تعاني ضيق المسكن، أما عن الذين يعانون من ضيقه تتعدد استعمالهم للصالة، فهي لاستقبال الضيوف من جهة وغرفة لتجمع وجلس أفراد الأسرة نهارا لتصبح ليلا غرفة نوم الأطفال، فيغدو هذا المجال متعدد الوظائف.

¹ Cf. LAKJAA A., « L'habitat identitaire : éléments pour une problématique d'une urbanité en émergence », In : *Insaniyat*, N° 2, CRASC, Oran, 1997, PP 77- 103

ومن خلال الدراسة الميدانية تبين لنا أن أكثر المساكن الفردية مفروشة بأفخم أنواع الأثاث ومجهز بأحدث وسائل الراحة، وكلما زاد المستوى الاقتصادي تنوع مستوى تجهيز المساكن وزاد تعقيدا وفخامة. وتفرض الفضاءات الأمامية للمسكن على الساكن احترام معايير المجتمع، والمحافظة على نظافتها وترتيبها وتجهيزها بأرقى ذوق لتقديم صورة جيدة للأسرة ومكانتها، لأنها تعد بمثابة واجهة تقيم الأسرة على إثرها.

تقوم الأسر في السكنات العمودية باستقبال الجيران في الصالة، أما في السكنات الفردية فتخصص لهم غرفة عند مدخل المسكن هي غرفة "القعاد"، أما الصالة في هذه المساكن والتي تكون في عمومها مغلقة توجد في الطابق العلوي عموما، فأصحاب المساكن الفردية خصصوا غرفتين لاستقبال الضيوف الأولى في طابق سفلي، والثانية في طابق علوي، وتتحدد مكانة الجار هنا في الحدود المكانية الممنوحة له. فالجار المقرب ودائم الزيارة يستضاف في غرفة 'القعاد' أما الجيران الآخرين يأخذون الطابع الرسمي في استضافتهم في الصالة، هذا فيما يخص المساكن الفردية، أما المساكن العمودية، يسمح للجار الحميمي من دخول المجالات الحميمية كالمطبخ وغرف النوم. وهذا راجع بالأساس الى خصوصية الجار الزائر ومكانته الاجتماعية والثقافية ومدى ارتباطه عاطفيا مع الأسرة صاحبة الفضاء السكني. كما يبدو في التصريح التالي حليلة (المقابلة رقم 11): "جوارين proche ندخلوهم وين نكونوا. نكونوا في الكوزينة يدخلوا، في الشوبرا [la chambre] تاع ماما، في الصالة. وين نكونوا يدخلوا عندنا. بساح لخرين لي يجونا بالمناسبات كايين غي الصالة نستقبلوهم فيها"، وتقول زوجة الابن (الأسرة رقم 27): "عندنا هذا البيت [موجودة أمام الباب الخاجي للمسكن] ندخلوا فيها جوارينا الاحباب، بصاح الفوق الصالة مبلعة مخليينها غي مين يجونا ضياف ميدخلوش عندنا بزاف (...). ومين تكون كاش مناسبة ويجونا الجوارين اللبعاد"

من خلال هذين التصريحات نستشف بوجود نوعين من الجيران حسب مجال أو فضاء استقبالهم: الأول يعد فردا من أفراد الأسرة (Ami - Intime)، يمكنه دخول الفضاءات

الحميمية كالمطبخ وغرف نوم الزوجين، والثاني يبقى غريب عن الأسرة (Étrange) تحدد له الحدود، وهي البقاء ضمن المجال المرئي الخاص بفضاء الاستقبال.

وتتلخص مناسبات الاتصال المتعلقة بدورة الحياة كالتهنئة لزيادة مولود جديد، ولنجاح الأبناء مدرسياً أو في حالات الزواج أو تقديم التعازي في حالة الوفاة. هذه الممارسات ليست مبنية عشوائياً، فمناسبات وأوقات الزيارة محكومة ومضبوطة بمعايير منها العامل الديني الذي له دخل كبير في تحديدها، وتختلف أوقات الزيارة لدى الجيران "الغرباء" على حسب الفصول ففي فصلي الربيع والصيف تكون في عمومها ما بعد صلاة العصر، أما في فصلي الشتاء والخريف تتمثل أغلبها في ما بعد صلاة الظهر، وهذا مقياساً بطول النهار أو قصره مقارنة بالليل.

3. دور الفضاء المجاور في تكوين العلاقات بين الجيران

يعتبر الفضاء المجاور أول فضاء لتكوين علاقات جوارية، فتلعب النوافذ والأبواب دوراً لا يستهان به في خلق فرص للتفاعل بين الجيران، فضلاً عن مداخل العمارات، وقد تطرق ديبول J.C. Depaule إلى ذلك بقوله: "إن عتبات المسكن، نوافذه، أبوابه، موقعه، كلها نقاط مهمة بواسطتها تتكون علاقات الساكن بالآخرين"¹، وأشار إيفون Yvonne B. إلى ذلك أيضاً معتبراً النوافذ والأبواب تسمح في خلق التواصل الاجتماعي² لأنها مفتوحة على الخارج؛ نفس الطرح نجده في دراسة مصطفى قناوي³ مؤكداً على دور الفضاءات الوسيطة (intermédiaire) في تنمية التواصل والتبادل.

¹ DEPAULE.J.C., « Vie Quotidienne et espace habité au Machrek », In : Espace des autres : Lectures anthropologiques, op. cit, P. 181.

² YVONNE B., « Du logement au chez- soi », In : SEGAUD M. et autres (sous direction), Logement et l'habitat : l'état des savoirs, op. cit, P. 375.

³ GUENAOU M., « La zenqa, espace entre le derb et l'extra hawma : le cas de la médina de tlemcen », In : Remaoun H.- Henia A. (sous la direction), Les espaces publics au maghreb, CRASC, Oran, 2013, (P.P. 167- 186)

تعد عتبة الفضاء السكني بوصفها مكان انتقالي أو عبور من الفضاء العام الخارجي (فضاء مدنس) إلى الفضاء الخاص الداخلي (فضاء مقدس)، ما يقتضي طقوسا معين تحقّق هذا الانتقال عند بداية السكن داخل الفضاء السكني، وهي ما تسمى طقوس العبور التي طرحها أرنولد فان جنيب A. V. Genep¹، هذه الطقوس مصاحبة لكل تحول في المكان أو في الوضعية الاجتماعية أو غيرها من التحولات في حياة الفرد، فالساكن الجديد يخضع إلى أفعال من أزمته ثلاث: الانفصال، الانطلاق والإلحاق، وبين الفصل والإلحاق تتمركز مرحلة وسطى تشكل نوع من منطقة حرة تمارس فيها مختلف الممارسات تحمل رموز ودلالات معينة²، من أجل تحصين وحماية الفضاء السكني من كل أنظار الغرباء، ومن الطقوس الهامة عند السكن ذبح حيوان كأضحية للتقرب لله وشكره، وكذا من أجل حفظ السكن من العين والحسد، وبدم الأضحية تثبت "خامسة" عند مدخل المسكن³.

هذه العتبات وبوصفها فضاء عبوري تعتبر مركز تواصل اجتماعي بين الأفراد، فهي المجال المفضل للالتقاء بين النساء خاصة، وتعتبر نقطة التقاء وتجاذب أطراف الحديث والآراء وطرح مختلف الانشغالات والمشاكل اليومية التي قد تصادف الأسرة، وما هو ملفت للانتباه وقد لاحظناه بصفة متكررة عندما تكون جارة باستضافة جارتها، وعندما تهتمّ هذه الأخيرة بالخروج يستغرق الحديث بينهما عند عتبة الباب مدة أطول تفوق في الكثير من الأحيان ربع ساعة.

ولعبت الشرفات أيضا دورا لا يستهان به في التواصل الاجتماعي، فقد لاحظنا من خلال المعاينة الميدانية وعلى إثر زيارتنا للأسرة رقم 26، تبادل الحديث مع ربة هذه الأسرة

¹ Cf. GENNEP A. V., **Les rites de passage**, Emile Nourry, Paris, 1909.

² للتوسع أكثر أنظر: صولة عماد، "سيرورة الرمز من العتبة إلى وسط الدار: قراءة أنثروبولوجية في السكن التقليدي التونسي"، من: **إنسانيات**، العدد 28، أبريل - جوان 2005، (ص. ص. 5-22).

³ قد تأخذ الخامسة الموضوعية أمام عتبة المسكن -أو على باب المسكن الخارجي- أشكالا مختلفة فهي إما يد مفتوحة مصنوعة من حديد أو نحاس، أو تكون يد على رخام، كما قد تتوسط هذه اليد رسم العين وتدور حول الأصابع رسم الأفعى لتشكيل بهذا رمزا للحماية.

وجارتها المقابلة من خلال شرفتي سطحهما، الحوار دام حوالي النصف ساعة، ومس مختلف الميادين الحياتية من الأمور الأسرية، إلى الأوضاع الاقتصادية والمستوى المعيشي، وتضمن أيضا الأحداث الاجتماعية التي نشرتها الأخبار الوطنية، ويبدو هذا أيضا في تصريح سيدة الأسرة رقم (07): "نوقفوا في البلكو normal. نخرج للبلكو نتلاقى بالجواريين ونتهادروا منه. راه مفرج علينا. غي الدار الدار نغموا"، وهذا ما أكدته أيضا فتيحة (المقابلة رقم 16) قائلة: "خترات ماروحش عند الجيران، من التافة ونتهادروا [ضحكت قليلا] هدرت التافة تحلى، تقولي قاع ما تدخليش، يبانولك الناس تغلعي الديقة تاع الدار وتحكي مع جارتك في كلشي" ومن بين المواضيع التي تثار على مستوى الشرفات تناقل أخبار الجيران وخاصة الذين يملكون عليهم وهم في الشرفة، ما يخلق نوع من المتعة واللذة، والتي لا تمنحها مسلسلات ولا أفلام. دون أن ننسى التجمعات في سلاالم العمارات وفي الطرق القريبة من الفضاء السكني في خلق التواصل الاجتماعي بين الجيران.

III. الفضاءات العمومية مجالات للمعايشة الاجتماعية

يعد الفضاء العمومي مفهوم صعب ومتعدد الجوانب، وقد اعتبر ميشال فوكو M. Foucault "الفضاءات العمومية أماكن عمل، وبالتالي هي فضاءات لاستمرار أو بقاء الجماهير، وهي متواجدة في مراكز الصراعات الحادة والمتكررة بين مختلف السلطات التي تسعى لاستعمالها كأداة تعليمية بغاية سياسية أو دينية، أو كرهان اقتصادي. وتشكل الأماكن العمومية رهانات ذات أهمية خاصة، وبالتحديد، لأنها لا تستطيع في أي وقت أن تستعيد الجماهير ملكيتها عبر الثروات أو الاحتفالات التي لا تعترف بشرعية السلط منها لضبط الاستعمال"¹، وينطلق مفهوم هابرماس J. Habermas للفضاء العمومي من نفس

¹ زقور غفاف، "الفضاء العمومي وأبعاده المركبة بمدينة الجزائر: نادي الترقى والتعبئة الدينية- السياسية (1927-1940)"، من: حسن رمعون وعبد الحميد هنية (إشراف)، الفضاءات العمومية في البلدان المغاربية، منشورات الكراسك، وهران، 2013، ص. 123.

الزاوية¹ ويؤكد ارتباط هذا المفهوم بمفاهيم أخرى كمفهوم الحرية والنظام السياسي والديمقراطي؛ حيث يرى أنه يعني "الاستعمال العمومي للعقل داخل المجتمعات البرجوازية، أين يتم إبراز الفرق بين النبيل الذي يجمع الضرائب والبرجوازي النشط الذي يدفعها، وهو المعروف بالمواطن الذي يأخذ أحقيته من النشاط السياسي وفي المشاركة في اتخاذ القرار"². إن الفضاء العمومي عند هابرماس J. Habermas : "الحيز المعنوي الذي يتم فيه عقد النقاشات العامة، من أجل اتخاذ القرارات التي تدير الشأن العام"³، إذن يطرح هابرماس الفضاء العمومي كمفتاح للديمقراطية يسمح بالتبادل العقلي للآراء وجهات النظر.

ويعرف كيري لويس L. Quéré الفضاء العمومي على أنه: "فضاء رمزي يسمح للأفراد بالتموقع والتموضع داخل المجتمع واتجاهه، فالمفهوم يحمل فكرتين الأولى أنه مجال عمومي للتعبير الحر، تنظر إليه كفضاء للاتصال والثانية أن الأفراد بداخله يبرزون آرائهم خلال النقاش العلني، بحيث يلجئون إلى استعمال دلالات عقلانية، في محاولة إيجاد حلول مناسبة للمسائل العامة"⁴

وقد اقترح محمد ناشي عشر عناصر تأسيسية لمبادئ الفضاء العمومي، تتمثل فيما يلي:⁵

1. فضاء فيزيقي، بوصفه مكان حقيقي réel (جغرافي، حضري، ريفي...) أو تقديري virtuel (الشبكات الاجتماعية) أين يتجلى ضمنه "العمومي"، وتجتمع داخله الجماعات،

¹ Cf. HABERMAS J., L'espace public : Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise, Traduit de l'allemand par Marc B. de Launay, Paris, édition Payot, 1997

² مالفني عبد القادر، "إمكانية تأسيس فضاء عمومي بالجزائر وفق المنطق النظري والتطبيقي لهابرماس"، من: حسن رمعون وعبد الحميد هنية (إشراف)، الفضاءات العمومية في البلدان المغاربية، مرجع سابق، ص. 37.

³ COTTEREAU A. - PAUL L., Pouvoir et légitimité, Ed de l'école des hautes études en sciences sociales, Paris, 1992, P. 35.

⁴ QUÉRÉ L., Agir dans l'espace public : Les formes de l'action, Ed. de l'EHESS, Paris, 1990, P. 101.

⁵ NACHI M., « Les espaces publics au Maghre. Eléments pour la construction d'une problématique sociohistorique contextualisée à partir du cas tunisien », In : REMAOUN H.- HENIA A. (sous la direction), Les espaces publics au maghreb, op. cit, P. 27

الأفراد، وكذلك الأشياء (الأجهزة، النصوص، الكفاءات، البنى...) وأشباه الأشياء (كائنات هجينة des êtres hybrides على حسب تعبير برينو لاتور (Bruno Latour)

2. فضاء رمزي أين تتجلى داخله المواقف والآراء والقناعات التي تساهم في وضع الأسس للفعل أو الالتزام والتأسيس للعبة السياسية.

3. فضاء للكلام أو الخطاب، بمعنى مكان للتبادلات، التفاعلات، النقاشات، الاحتجاجات، والنقد. هذه الأماكن تكون ممثلة في المقهى، السوق، المسجد، الجمعية، الجرائد، وسائل الاتصال، والشبكات الاجتماعية...

4. "جمهور" متمثل في جمع من الأفراد المتفاعلين فيما بينهم، يعرضون أفعالاً وأشكالاً من الالتزام الجماعي.

5. خطابات تمثل تعبيراً عن حالات التفاعلات، عن النقاشات والانتقادات وعن الآراء المتبادلة.

6. سيوروات ممارسات الأفعال، المطالب، التنظيمات والقرارات.

7. الرؤية والإعلان بصفتها توضيحاً لطريقة التجلي في الفضاء العمومي.

8. دينامية للمشاركة تشتغل تبعاً لنمط الاندماج/ الاقصاء (النساء، الأقليات، المهاجرون...) أي وفق علاقات القوة والسلطة.

9. تفاضل وتنافس بين الفاعلين يفترض هرمية وتقسيماً للأدوار والمهام والنشاطات.

10. مخيال اجتماعي (بتعبير كاستورياديس Castoriadis) يمثل أساس السيرورة

الابداعية للتجلي في الفضاء العمومي وأساس بناء العالم المشترك ونمط المشاركة الجماعية. ومنه يحمل الفضاء العمومي عدة معاني، فهو فضاء مادي (فيزيقي) يشمل الأماكن ذات الاستعمال المشترك كالساحات العمومية، المقاهي، الأسواق، المساجد وغيرها، وهو أيضاً فضاء رمزي لأنه مجال للتبادل الحوار والآراء والمنافسات وغيرها.

إنّ الفضاء العمومي مجالاً للمعايشة الاجتماعية، تتيح للفرد تطوير شبكة علاقاته الاجتماعية من خلال الاحتكاك والتفاعل والالتقاء مع الآخرين، وتأخذ المعايشة

الاجتماعية عدة أشكال في الحياة اليومية: الالتقاء المباشر، تبادل النظرات، تبادل التحية، استراق النظر، طلب العفو، طلب معلومات أو مساعدة... وهذه السلوكيات البسيطة تؤدي إلى خلق حوار ونقاش وتبادل الحديث بين الأفراد، ولذلك يمكن اعتبارها نقطة بداية لعلاقة اجتماعية جديدة؛ ولكن لا يجب النظر إلى هذه الأشكال من المعاشرة منفردة، أي كل واحدة مستقلة عن الأخرى، بل يجب النظر إليها في سياق عام لكي نتمكن من اكتشاف النسيج الاجتماعي المعبر الذي تشكله، وبالرغم من أنها تبدو سطحية، مؤقتة، ظرفية وعابرة، إلا أنها مصدر مهم لخلق علاقات التضامن و أشكال المشاركة الاجتماعية.

وبذلك يمكن اعتبار الفضاء العمومي ذلك الحيز أو المكان أو المجال المفتوح للجميع من أجل استعماله والاستفادة منه، فيتخذون الأفراد ضمن هذا الفضاء سلوكيات معينة حسب الوضعية التي يتواجدون فيها، فيتفاعلون ويتبادلون المواقف والآراء والانشغالات. ويعتد الشارع أو العمارة أولى أماكن الاتصال، فالشارع بشكل عام "فضاء استراتيجي للألفة الاجتماعية (sociabilité)"¹، وذكر نوربات إلياس N. Elias كيف أن الالتقاء في الشارع أو في الطريق يؤسس إلى روابط اجتماعية، ويدخل الأفراد في شبكة من الارتباطات²، ناهيك عن الدور الذي تؤديه الفضاءات الاجتماعية في ذلك.

وللرجال فضاءات خاصة بهم تتمثل في المقاهي وأرصفت الطرقات خاصة، وللنساء فضاءات اجتماعية أخرى، فإلى جانب الفضاء السكني كفضاء للتواصل والالتقاء، كما سبق وشرحنا، تتواجد فضاءات جديدة أصبحت متنفسا للنساء، ورغبة للهروب من الحياة الرتيبة في المسكن، لتسهيل التواصل والالتقاء بين الجيران، من بين هذه الفضاءات المسجد والحديقة العامة وأمام باب مدرسة الأطفال.

¹ DOVIER APPRILL É.- GERVAIS LAMBONY P., op. cit, P. 65.

² ELIAS N., La société des individus, op. cit, P. P. 49-50.

1. الفضاءات الاجتماعية الرجالية

يعتبر المقهى من الفضاءات الاجتماعية الخاصة بالرجال بامتياز، يلعب دورا كبيرا في خلق الرابط الاجتماعي بين الأفراد، فهو ليس فضاء لتناول القهوة أو الشاي والمشروبات، بل يعمل على عقد العلاقات الاجتماعية واستمرارها، كما يعد أكثر "الأماكن العامة حضورا في الجزائر"¹، وتعرف على أنها "فضاءات للألفة الاجتماعية"²

يتضمن المقهى طاولات وكراسي متشابهة من الداخل وكذا من الخارج، يحوي أيضا على دورة للمياه (toilette) وتلفاز كبير الحجم (Plasma)، وعليه يتواجد في المقهى ثلاث وضعيات، كما تبينها الصور الموالية:

- طاولة التاجر comptoir: هي طاولة موجودة بين التاجر والزبون، تفصل بين المطبخ وقاعة الجلوس، وقد يستعملها الزبون عندما يكون بمفرده، ومستعجلا، من أجل شرب قهوته واقفا.
- طاولة الشرب بكراسي تحيط بها داخل المقهى، تستعمل عند التقاء الزبون بالأصدقاء أو المعارف كالجيران على سبيل المثال.
- طاولة الشرب بكراسي تحيط بها خارج المقهى، تستعمل للغرض نفسه ألا وهو الجلوس مع الأصدقاء والمعارف لشرب القهوة وغيرها.

¹ كاريي عمر، "المقهى المور، ألفة الرجال وفورة المواطنة [الجزائر القرن السابع عشر إلى القرن العشرين]" من: مصر والعالم العربي، رقم 5، مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية، القاهرة، 1996، ص. 201.

² ORTEGA MOJICA D., Le café : une boisson et un lieu de sociabilité, Master tourisme et hôtellerie parcours «Management de l'Hôtellerie et de la Restauration», Université de Toulouse II, Le Mirail institut supérieur du tourisme, 2013, P. 18.

الوضعيتان الأخيرتان تستعمل عندما يكون البقاء بالمقهى فترة أطول على عكس
الوضعية الأولى، كما أن استعمال إحدهما مرهون بالأحوال الجوية، فإذا كان الحر أو البرد
شديدين، يفضل استعمال الواجهة الثانية، أما إذا كان عكس ذلك فيفضل الواجهة الثالثة.

comptoir طاولة التاجر		صورة عامة	
الصورة رقم (03)	الصورة رقم (02)	الصورة رقم (01)	

القاعة الداخلية للمقهى		
الصورة رقم (06)	الصورة رقم (05)	الصورة رقم (04)

الساحة الخارجية للمقهى	
الصورة رقم (08)	الصورة رقم (07)

يتردد على المقهى مختلف الفئات العمرية، وعلى اختلاف وضعياتهم السوسيواقتصادية، فنجد بالمقهى الشباب والشيوخ على حد سواء، العاطلين عن العمل (بطالين ومتقاعدين) والمهنيين، المدخنين وغير المدخنين وغيرهم، فهو الفضاء المفتوح للجميع، ومركزا للألفة الذكورية على وجه الخصوص. تتراوح مدة البقاء في المقهى ما بين نصف الساعة إلى الساعتين في المتوسط، وبأقل تكاليف؛ حيث يقدر سعر فنجان القهوة بـ 25 أو 30 دج وكأس الشاي يساوي 20 دج، أما ثمن المشروبات فيتراوح ما بين 40 و50 دج. وتستعمل المقاهي ويكثر التردد عليها عندما تكون مناسبة خاصة، أو من أجل مناصرة الفريق الوطني في كرة القدم خاصة، فتخلق نوع من الحميمة، والحيوية والمشاركة الجماعية.

يعد المقهى فضاءاً للترفيه؛ حيث يتضمن وسائل الترفيه للرواد، تمارس فيه لعبة الورق، وضومينو dominos خاصة، وغيرها من الألعاب، كما يعتبر فضاءاً للتعارف والالتقاء، وفي هذا الإطار توصل مراد ريفي إلى أن المقهى يحتل المرتبة الأولى للتعارف بالمقارنة مع المطعم والحانة، فهو المكان الوحيد للتعارف أين يقضي فيه الزبون وقتاً أكبر¹ وأشار أيضاً ذات

¹ RIFFI M., La construction du lien social dans l'espace urbain : exemple des cafés de Rabat, Thèse de doctorat, Architecture et urbanisation des territoires, Université de Rabat, 2009, P. 71.

الباحث إلى أن هذا التعارف الذي يحصل في المقهى يكون كتمهيد لروابط جديدة، قد تستمر طويلاً¹.

في المقاهي إذن تنسج الروابط الاجتماعية وتعطى المواعيد، وتعدّد الصفقات أيضاً، كما يبدو في التصريح الموالي لبوعبدالله (المقابلة رقم 07): "نعرض صحابي.... يجوني من وهران، كيما نهار العيد مين جاو يغافروني تلاقينا في القهوة" هؤلاء الأصدقاء لا يكونوا بالضرورة من المجتمع المحلي، فقد يكونوا بعيدين، إذ أن الرجال لا يلتقون بأصدقائهم داخل الفضاء السكني فهذا شيء مستبعد، باعتبار هذا الأخير خاص بالمرأة بلا منازع، فاستضافة الرجال للرجال داخل الفضاء السكني يكون في ظروف خاصة كالمرض على سبيل المثال الذي يستدعي زيارة الجار لجاره.

وعلاوة على ذلك يعتبر المقهى فضاء لإفراغ المكبوتات يعطي نوع من الأريحية النفسية، ويخفف من الضغط الاجتماعي، ما يؤكد التصريح الموالي لعزیز (المقابلة رقم 16): "نتلاقوا في القهوة، ما عندنا وين عليها"، خاصة في غياب مرافق أخرى؛ المقهى أيضاً فضاء للمعلومات، يمكن أن نتعرف على كل ما يحصل في الحي وفي المدينة وفي العالم من خلال المقهى، لأن داخله تثرى كل المواضيع على اختلافها، النساء، العمل، الوضع الاقتصادي، السياسي، كرة القدم... ولا يوجد أية حدود في التكلم أو الخطاب، فلا قيود تفرض على الرجال في غياب عنصر النساء، على عكس الفضاءات التي تتواجد فيها النساء والتي تفرض عليهم انتقاء الكلمات.

إذن يتعدى المقهى أن يكون ديكورا، فهو متعدد ومتجدد في تركيبته ووظائفه، فلم يعد ذلك الفضاء الذي يبرز البطالة، والممارسات المشبوهة فقط، بل أيضاً يعمل على خلق فرص للمعايشة الاجتماعية.

¹ Ibid, P. 117.

ويتخذ رجال الحي من أرصفة الطرقات فضاء آخر للالتقاء، فيجلسون على أرصفة الطرقات المحاذة للمساكن، يتكلمون في كل المجالات الحياتية، كما أنهم ومن خلال مواقعهم يتربقون تحركات الجيران وحتى النساء منهم، ما قد يشكل سببا في الصراع الاجتماعي كما أشرنا سابقا.

2. المسجد وخلق الروابط الاجتماعية

يعرف المسجد على أنه: "مؤسسة اجتماعية ينشئها المجتمع المسلم بهدف تأهيل النشء للحياة الاجتماعية المنضبطة بقيم الإسلام ومبادئه"¹، فهو بيت الله يجتمع فيه المسلمون لأداء صلواتهم وتلاوة القرآن الكريم والاستماع إلى ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم.

إنّ "المسجد كمجال للعبادات وكذا لتنظيم المعاملات وكذلك كمجال للأخبار، مؤسسة منها يتلقى الخبر والتعليق عليه، وفيه كانت تؤخذ القرارات الحاسمة"²، ومنه يستمد المسجد خاصية العمومية في كونه يشغل حيزا أساسيا في حياة المسلمين، فهو ليس فقط مكانا للصلاة والعبادة، بل هو أيضا مكان للنقاش في الشؤون الاقتصادية والثقافية. وكثيرا ما تقام فيه حلقات للنقاش والتشاور، فهو محل تشاورهم وتناصحهم ومنبع تعاونهم، كما يعد وسيلة إرشادية نصحية تعليمية، وأيضا مؤسسة خدمتية تحقق التكافل الاجتماعي، والمسجد أيضا مكانا للصلح بين المتخاصمين كما أشرنا في الفصل السابق.

ويعتبر المسجد مكان تعارف المسلمين ووسيلة تآلفهم يجتمعون فيه للصلاة، ويلتقون بالجيران خمس مرات في اليوم - وقد تنقص عن ذلك بسبب التزامات الأفراد-، الأمر الذي يسمح بالتعارف وتجديد الروابط الاجتماعية باستمرار. فيبدو المسجد إذن كفضاء للتعارف ونسج علاقات جديدة.

¹ زعيمي مراد، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2002، ص. 122.

² شوقي محمد، مرجع سابق، ص. 157.

يساهم المسجد في تماسك العلاقات الاجتماعية، وهذا لأن في التقاء المسلمين داخله فرصة لتكوين علاقات مبنية على الأخوة وإذابة الفوارق الطبقية، فتتسج في المسجد إذن شبكة من العلاقات الاجتماعية، قد تتعدى حدود المسجد وقد لا تتعداه، كما يبرز في التصريحين المواليين: الأول لسيدة الأسرة رقم (02)؛ حيث تقول: "حنا هنا [تقصد داخل المسجد] مين نسمعوا بكاش حاجة عند وحدة روحوها، كيمة فتيحة مين جات من العمرة، رحنا باركنالها، ولا كاش وحدة يصرا عندها موت في غير وجهك روحوا نعزوها (...)", أما التصريح الثاني يبين العكس، تقول ربة أسرة (المقابلة رقم 22): "جواريني هنا منيش مخالطتهم، عندي احباباتي في الجامع (...). أحباب الجامع يقعدو في الجامع"

يعد المسجد نواة المدينة تدور حوله كل التجمعات السكنية، ومسجد البدر يتوسط حي الهضاب (أنظر الصورة رقم 10)، يرجع بداية تأسيسه إلى عام 1995م، وفي عام 2005م فتح أبوابه للمصلين، يتربع المسجد على مساحة 1500م²، ويقوم على خدمته مجموعة من المتبرعين بالإضافة إلى موظف واحد إداريا وهو الإمام برتبة إمام خطيب.

الصورة رقم (10): موقع مسجد البدر	الصورة رقم (09): مسجد البدر

يتكون المسجد من مجموعة من المرافق كما توضح الأشكال والصور الموالية، وهي:

- مصلى النساء في الطابق السفلي.
- مصلى للرجال الأول موجود في الطابق السفلي والثاني في الطابق الأول.

- ساحة للصلاة خاصة بالرجال.
- مصلى مرفق لتعليم القرآن الكريم للصبية
- منزل وظيفي لإمام المسجد
- مقر لجمعية دينية تضم عشرة أعضاء: رئيس الجمعية، نائب الرئيس، كاتب عام، كاتب عام مساعد، أمين عام، أمين عام مساعد، والأربعة الآخرين أعضاء عاديين، تتمركز وظائفها في تكملة بناء المسجد، والسهر على نظافته ونظافة المحيط من حوله، كما تقوم الجمعية في المساهمة في النشاطات الدينية والوطنية المقامة داخل المسجد، ومساعدة المحتاجين في حالات المرض الشديد حسب ما صرح لنا رئيس الجمعية.

الشكل رقم (10): تخطيط مسجد البدر		
الشكل رقم (11): تخطيط الطابق الارضي وتحتة	الشكل رقم (12): تخطيط الطابق الاول والسطح	

المصدر: الجمعية الدينية

الصورة رقم (11): مصلى النساء	الصورة رقم (12): مصلى الرجال

ساحة للصلاة	
الصورة رقم (13)	الصورة رقم (14)

تقام داخل هذا المسجد احتفالات خاصة من شأنها توطيد العلاقات والروابط الاجتماعية، كعقد القران، أو ما تعرف ب"الفاحة"، والتي من شأنها الجمع بين الجيران والاحتفال معا، فهي فرصة للتواصل وفك الخصومات أيضا. كما تقام داخل المسجد حلق العلم ومجالس الوعظ والذكر وحفظ القرآن وتلاوته للرجال بالمناسبات فقط كمناسبة ليلة 27 من رمضان أو في ليلة مولده ﷺ، أما الخاص بقسم النساء، فتحفيظ القرآن يكون على طول السنة ولا يقتصر على المناسبات، وتختلف هذه المواقيت في شهر رمضان عن باقي أيام السنة الأخرى، كما يلي:

- مواقيت رمضان: كل أيام الأسبوع من العاشرة صباحا إلى الواحدة والنصف بعد الزوال.
- باقي أيام السنة: كل أيام الأسبوع ماعدا السبت والثلاثاء من الثانية بعد الزوال إلى الرابعة والنصف مساء، وقد يتحدد التوقيت بمواقيت الصلاة، بمعنى من صلاة الظهر إلى صلاة العصر.

هذه المدة والتي تقضيها المرأة بعيدة عن مسكنها وبصحبة جيران بالمجتمع المحلي، يحتم عليها التحاور معهم والسؤال عن أحوالهم، وقد أشار عبد الرحمان موساوي إلى ذلك واعتبر التقاء النساء بالمسجد وخاصة في صلاة الجمعة فرصة للتبادل والتعارف¹. وهناك بعض النساء من تتواعد مع جاراتها داخل المسجد، ليس للذكر أو للصلاة وقراءة القرآن وتلاوته فحسب، بل أيضا من أجل تجديد رؤية جاراتها والتواصل والتحاور معهن عن الأمور الحياتية ومشاكلهم وغيرها، وفيه أيضا تناقل لأخبار الجيران، وقد عرف رمضان 2014م صراع حاد بين بعض النساء داخل المسجد، وصل إلى المقابلات والمشادات الكلامية، ما ادعى بالإمام إلى تكثيف خطابه حول الوظيفة التعبدية للمسجد، وترك كل الأمور الدنيوية خارج أسواره.

هذا ناهيك عن بعض الصراعات التي تنشأ بين رواد المسجد، بسبب تناقض بعض المواقف، ما يخلق أطرافا بمرجعيات مختلفة، يحاول فيها كل طرف فرض سيطرته، وأحقيته بتملك الفضاء، وهذا ما أشار إليه مروفل الذي أكد من خلال دراسته الميدانية أن المسجد لم يعد معبدا لأداء الطقوس وطلب الخلاص فحسب، بل هو مكان لتحقيق التمايز والتنافر والتأهيل وعدم التأهيل والتضارب الجيلي ضمن سياق منظومة القيم والمعايير السوسيوثقافية²

¹ MOUSSAOUI A., « La mosquée en Algérie : Figures nouvelles et pratiques reconstituées », Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée [En ligne], 125 | juillet 2009, mis en ligne le 15 mai 2009, consulté le 04 juin 2014. URL : <http://remmm.revues.org/6159>

² مروفل مختار، مرجع سابق، ص. 84.

إذن يتجاوز المسجد دوره التعبدي والديني إلى ما يخلقه من مساحة للروابط الاجتماعية، فيسمح بخلق التبادل واللقاء الاجتماعي بين الجيران أيضا، ويظهر كمجال للتواصل وترسيخ قيم علائقية بين الأفراد، ففيه نلاحظ شدة الروابط الاجتماعية تصل أوجها في الحفلات التي تتم داخله، المتمثلة خاصة في ليلة 27 من رمضان، ومولد نبي الله ﷺ في 12 ربيع الأول من كل سنة، يتهافت الجيران إلى المسجد، بعضهم يكون محمّل بأطعمة ومأكولات وبعض الحلويات والحلوى ومشروبات وغيرها يساهمون بها ويتشاركون معا في هذه الاحتفالية، فتبرز الحياة المشتركة.

وعليه يعمل المسجد على خلق التفاعل الاجتماعي بين الجيران، في شكله التضامني والصراعي.

3. الحديقة العامة مجال للتعارف والالتقاء

إنّ الاهتمام بالحدائق والمساحات الخضراء قديمة العهد، بدءا بالحضارات القديمة، واشتغل العرب أيضا بالاهتمام بها¹، لأنها تعطي دون أدنى شك للوسط الحضري المنظر الجميل. وتعتبر الحدائق العامة والمنتزهات الخضراء أمرا هاما فهي "الرئات التي يتنفس من خلالها سكان المدن، وإن من فوائد المناطق الخضراء، أنها تحد من تلوث الهواء في الجو، ونتيجة امتصاص الأشجار للغازات الملوثة تجلب الراحة النفسية"²

الحديقة التي تعرف توافد سكان حي الهضاب تقع بحي 1000 مسكن، وبالرغم من بعدها، ومن أنها غير مهياة إلا أنها تعتبر فضاء للترويح والالتقاء بين الجيران، ما يظهر في استشهاد إحدى السيدات (المقابلة رقم 11): "سهرات رمضان دائما نفتوها في Jardin تاع

¹ للتوسع أنظر: وزير يحيى، العمارة الإسلامية والبيئة: الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي، مطابع السياسة، الكويت، 2004، (ص. ص. 207-228).

² بركات علي، "القواعد التنظيمية لجمال المدن"، مجموعة نشرات -مجلة بلدي-الأردن، العدد 77، 1988، ص. 53.

complexe [تقصد حديقة حي 1000 مسكن] لكان نقعدو في ديارنا ننعمو. الواحد يشويا بيدل مع جوارينه"، وعندما طرحنا عليها سؤال: لما لا تبقى داخل الحي في إحدى ساحات لعب الأطفال، والمجهزة بالمقاعد؟ أجابت ذات المبحوثة: "هنا العرف بزاف، زيدي فامهم مشركين (...). مكانش لي يجمع في هذوك les jardins. يقعدوا فيهم les jeunes بزاف. الواحد y éviter"، أي أن شباب الحي يستعملون هذه الفضاءات لتناول الممنوعات من كحول ومخدرات، حسب ما صرحت نفس السيدة. لذا ركزنا تحليلنا على الحديقة العامة لحي 1000 مسكن، أسست عام 2000م وتمتد على مساحة ثلاث هكتارات (3 هكتار)، تحوي بعض النباتات الزهرية، لا تتواجد فيها أكشاك للتجارة، كما تحوي لعبتين للأطفال في حالة متدهورة (أنظر الصورتين المواليتين)، كان هذا الفضاء يستعمل كسوق أسبوعي ثم حول إلى حديقة عامة.

المساحة المخصصة للعب الأطفال	
الصورة رقم (16)	الصورة رقم (15)

وقد أشرت عمارة بكوش إلى أن إنشاء المساحات الخضراء الحضرية بشكل عام كان بهدف، يتمثل في "أن تكون فضاءات للتجمع، تتفوق فيها نشاطات اللعب الاستراحة والمرح"¹ ونراها نحن أكثر من ذلك فهي مجال للترباط الاجتماعي، فالمساحات الخضراء تلعب

¹ BEKKOUCHE A., « L'espace vert urbain : entre pratique et conception », In Insaniyat, N° 2, Automme 1997, CRASC, Oran, P. 70.

دورا اجتماعيا أيضا، فهي أماكن تجمع مختلف الفئات العمرية، الأطفال للعب والمرح، والراشدين للتعارف وتبادل الآراء والراحة أيضا.

وعليه تكثر استعمالات الحديقة مجال الدراسة فيما يلي:

- الترفيه: تستعمل هذه الحديقة للترفيه، ولكن هذا الاستعمال يختلف من فئة اجتماعية إلى أخرى، ومن فترة زمنية إلى أخرى، فقد لاحظنا أن حضور النساء يكون أقوى في فصل الربيع وفي شهر رمضان خاصة.
- عقد علاقات جديدة: أضحت الحديقة العامة فرصة للتعارف وعقد علاقات جديدة، كما جاء على لسان إحدى المبحوثات (مسعودة، المقابلة رقم 21): "تعرفت عليها [تقصد صديقتها تسكن في المجتمع المحلي، وبالضبط في التجمع السكني 774 مسكن] في jardin ولات تحي عندي وروح عندها نخرجوا خترات مع بعض..."
- التواعد والالتقاء: بمعنى أن الحديقة مكان لتجديد المواعيد بين الأصدقاء، الزملاء، وكذا المرتبطين عاطفيا، غيرها.

إن زيارة الحديقة العامة مع الجيران أو التواعد معهم للالتقاء يكون أكثر حدة في شهر رمضان، وخاصة عندما يتم توفير حديقة للتسلية manage للأطفال، فالسهرات الرمضانية لم تعد في البيت أو داخل الفضاء السكني، بل شملت فضاءات أخرى حسب ما أسفرت عنه الدراسة الميدانية. وعليه تعتبر الحديقة فضاء لإحياء السهرات الرمضانية، أما باقي أيام السنة زيارات الأسر إليها قليلة جدا، وتكون مجملها في المساء، وفي عطلة نهاية الأسبوع. وكلما زودت بحديقة للتسلية زاد الإقبال عليها، فتصبح فرصة للعب الأطفال. ويكون الحوار داخل الحديقة في كل الأمور الحياتية، اجتماعية كانت أو اقتصادية معيشية وغيرها، وما يطرح بكثرة أخبار الجيران والسؤال عن كل الزائرين والوافدين إلى الحديقة، لتفتح ملفات كل منهم على ألسنة النسوة.

4. مدرسة الأطفال فضاء للالتقاء بين الجيران

يتم التعارف على الجيران عند نقل الأطفال إلى المدرسة، فالملاحظات الميدانية أثبتت أن المدرسة أضحت فضاء للالتقاء والمحادثات بين الأولياء، الذين يوصلون أبناءهم إلى المدارس بسبب ظروف أمنية وخوفا من خطف الأطفال - الظاهرة التي انتشرت بشكل رهيب -. كما تسمح المشاجرات بين الأطفال بخلق نوع من الرابطة الاجتماعية، وهذا ما أشار إليها نبيل سميدة بقوله: "الأطفال مؤشر للتقارب الاجتماعي"¹، وإن غياب أحد الأطفال عن المدرسة يعني وجود مشكلة فيحرص الجيران على التوجه إلى الأسرة المتغيب طفلها للاطمئنان عليها، تصرح إحدى المبحوثات (سيدة الأسرة رقم 10) توفي خالها: "مين غيب إبراهيم ولدي على قراية رسلتلي جارتني لي en face بنتها تسقسيني ومين قولتلها خالي مات جات تعزيني مع الجارة لي تحتها"، فبسبب الأطفال أدركت الجارة أن جارتها المجاورة لها تمر بمشكلة، تتطلب منها السؤال عن حالها ومن تم زيارتها.

وتعد المدرسة فضاء لخلق روابط اجتماعية ما يبرز في تصريح سيدة الأسرة رقم (15): "ندي بناتي ونجيبهم من الكوليج دائما، وتماك درت الصحابات، نجمع معاهم ونهدرو على كلشي. وليت نفاجي على روجي. خترات على الوحدة ما رحوش لديارنا، نقعدو حتى يخرجوا ولادنا على الزوج ونصف"، فقد تجد بعض النساء تعويضا عن العلاقات بين الجيران القريبات مجالين في أخريات داخل المجتمع المحلي (حي الهضاب)، ثم إن الالتقاء بين النساء لم يعد داخل الفضاء السكني كما كان في السابق، بل تعداه إلى فضاءات أخرى.

فلكل من هذه الفضاءات دور في تفعيل الروابط الاجتماعية بين سكان الحي.

¹ SMIDA N., Production du territoire dans les nouveaux quartiers aisés de Tunis : cas d'El Menzeh d'El Manar, D.E.A. d'urbanisme, ENAU de Tunis, 2001, P. 78.

- خلاصة

إن نمط المسكن الجديد خلق نموذج علائقي جديد، وأصبح الفضاء السكني عبارة عن مراقب أغلب نشاطات الفرد والتقاءاته تتم خارجه، حتى لا يتم التعدي والدخول إلى المنطقة الشخصية كما سبق الذكر. كما أن المساحة السكنية داخل الفضاء السكني تحدد تقسيمات المجال والحدود المكانية للغرباء الزوار، يمكن التعرف على الأولويات من الجيران حسب المكان المخصص لهم ولاستقبالهم، هذه الحدود المكانية تشرح وتوضح مكانة كل جار لدى الأسرة.

وأنتجت التحولات الاجتماعية مجالات للتواصل والتقارب والمعايشة الاجتماعية في المجمعات السكنية لخلق روابط اجتماعية بين الجيران، فالتعارف الذي يحدث في الشارع في الطريق وفي الفضاءات العامة عن طريق الالتقاء المستمر، وتبادل الحوار، يخلق علاقات اجتماعية، التي قد تتطور وتصل إلى الالتقاء داخل الفضاء السكني، ويمتد التبادل إلى أبعاده المتنوعة؛ وقد يقتضي كل فضاء جماعة معينة تسمى جماعة المسجد، أو جماعة الحديقة أو جماعة المقهى جماعة المدرسة، هذه العلاقات التي تتكون داخل هذه الفضاءات قد تتعداها إلى داخل الفضاء السكني.

ويعتبر الالتقاء الذي يكون بين الجيران داخل الفضاء السكني أكثر حميمي من الالتقاءات والتواصلات الأخرى.

خاتمة عامة

لقد وقفت هذه الدراسة على طبيعة الروابط الاجتماعية بين الجيران، وعلى كيفية نسج هذه الروابط في مجتمع محلي متميز، بنسيجه العمراني وكذا بتركيبته السكانية. وقد تبين أن هذه الروابط تغيرت عما كانت عليه سابقا نتيجة عدة عوامل، أهمها مرتبطة بطبيعة التغيرات التي أصابت المجتمع الجزائري بشكل عام باعتبار أن المنطقة المدروسة لا تعدو أن تمثل جزءا من الكل، وبالتالي كان لا بد لها أن تتأثر من جراء التغيرات التي عرفها، فنظرا للظروف الاجتماعية والاقتصادية والأمنية للمجتمع العام، وما خلفه نمط السكن الجديد أنتج مفهوما جديدا للجيرة.

وفي دراسة العلاقات بين الجيران وكيفية تشكيل الجماعات الاجتماعية داخل حي حضري، خلصنا إلى عدة عوامل تتداخل لتكوين جماعات الجيرة، من بين هذه العوامل مدى استقرار الجماعات بالحي، فطول مدة إقامة السكان تؤثر في تكوين علاقات جيرة، كما أن مسألة الثقة عامل مهم في تكوين هذه الجماعات، وتؤثر خصائص الأفراد وتمثلاتهم وخلفياتهم الثقافية وغيرها في تكوين الجيرة، ومن بين هذه الخصائص وجود الأطفال وتدرسهم مع بعض فهو سبب في خلق التفاعل، وجود كبار السن؛ إذ يعد عامل في توثيق الروابط بين الجيران، فهم أكثر تقاربا وتعايشا لأنهم أكثر استقرار داخل المنزل، ولهم وقت أكبر للالتقاء، نفس الطرح نقوله عن النساء الماكثات بالبيت والتي تفتقر لعلاقات بديلة عن الجيرة، فهن أكثر ميلا إلى إقامة علاقات مع الجيران.

وبالمقابل تدعم العلاقات الاجتماعية بين الجيران من خلال امتداد روابط العمل، وصلة القرابة والاشتراف في الموطن الأصلي التي تسمح بتبادل المعلومات، والأفكار والقيم.. وترتبط أكثر بمسألة الثقة وعدم التخوف من الآخر، وكذا على حسب ميول وتصورات ومسارات الأفراد الاجتماعية والثقافية. كما تتخذ هذه العلاقة مسارا مغايرا مرتبطا بالماضي وتعبر عن الحاضر، ويظهر ذلك جليا في تخزين

التجارب القديمة مع الجيران، وهذا الأمر سيبي نموذجاً علائقياً يتناسب وتصوراته التي كونها.

كما تتفاوت علاقات الجيرة في تماسكها حسب المستوى الاقتصادي والثقافي للأسرة، فهي تضعف قليلاً لدى الأسر الميسورة مادياً وذات مستوى ثقافي عالٍ، وتقوى عند الفئات العمالية البسيطة ذات الدخل المادي المحدود بسبب الاعتماد المادي المتبادل. كما أنها تقوى لدى الأسر الممتدة أكثر من الأسر النووية. وهو ما أسفرت عنه الدراسة الميدانية، فضلاً عن عدم وجود اختلاف بين الجيرة في السكنات الفردية وفي السكنات العمودية، وهذا لأنهم موجودين ربما في حي واحد فالمجال يؤثر بالفعل على تكوين الجيرة.

وقد أدى الالتحاق المكثف للمرأة بالعمل إلى غياب الوقت لنسج علاقات، فقد انجر عن غياب المرأة عن البيت تناقص فرص التفاعل مع الجيران، عمل المرأة يجعلها تقلل من علاقاتها مع الجيران، فعند عودتها من العمل تبحث عن الراحة والالتزام بالقيام بأدوارها داخل البيت، وليس من مصلحتها تجميع الجيران في البيت الذي يشغلها عن التزاماتها والقيام بأدوارها. وأصبحت تستعين المرأة العاملة لرعاية أبنائها بمؤسسات خاصة كدور الحضانه أو بالحاضنات الخاصة (les nourrices) المتواجدة بحي الهضاب، وفي حالة الاضطراب المفاجئ تترك طفلها لدى الأصدقاء ومرات قليلة لدى الجيران، دون أن ننسى التطور التكنولوجي ومساهمته في خلق نموذج جديد للروابط، وأصبح كل من التلفزيون والانترنت بديل عن علاقات الجيرة الفعلية.

ومما لا شك فيه تقوم التجمعات المصغرة داخل الحي على أساس المصلحة المتباينة، لا على أساس التجاور المكاني، هذا الأخير يلعب دوراً في إنشاء تفاعلات بين الأسر، لكن لا يجعل من علاقاتهم أولية متماسكة في أغلب الأحيان، فالتقارب

المكاني ينشأ نوع من الالتزام المتبادل بين الجيران، وذلك لتحقيق بعض الاحتياجات اليومية. وإن مجمل العلاقات الاجتماعية داخل الحي الحضري مجال الدراسة تتميز بأنها اتصالات ثانوية، ذات طابع سطحي، مؤقت، غير شخصي ومنفعي، بالرغم من ذلك نشهد تضامنا اجتماعيا بين أعضاء هذا المجتمع المحلي، فبالرغم من اختلافاتهم السوسيوثقافية، وتباين الأدوار الاجتماعية ومكانتهم الاقتصادية، يتضامنون ليكونوا وحدة واحدة، إذا ما ادعت الضرورة لذلك واحتاجوا إلى بعضهم البعض. إذ يحتم وجود الفرد في مجتمع محلي واحد المشاركة الجماعية والتضامن الاجتماعي لمواجهة مشكلة عامة من أجل تحقيق هدف مشترك، أو أن يكون هذا التضامن بين الجيران بحسب المناسبات، ويظهر ذلك بقوة في الجنازات وتقديم العزاء.

إنّ الرابط الاجتماعي في مفهومه الواسع صلة وتواصل اجتماعي، فهو الذي يضمن التماسك والتضامن الاجتماعي، هذا الأخير ظاهرة طبيعية تتميز بها الأحياء فهي حاجة إنسانية لا يمكن الاستغناء عنها. وعليه الجيرة ليست مجموعة من الأفراد يجمعهم مجرد التلاقي والحديث، وإنما ما ينجم عنها من مؤازرة ومساعدة تفيد المرء في تلبية حاجاته وتطوير حياته. ويعد الصراع عملية طبيعية هي الأخرى ناتج عن كل حياة مشتركة؛ إذ تحصل المناوشات والخصومات بين الجيران لأسباب تفرضها الحياة اليومية، قد ينجلي هذا الصراع بفعل مؤسسات وجهات غير رسمية، أو بفعل أفراد ومناسبات معينة، وقد يستمر إذا تم اللجوء للشكاية بالجار إلى مؤسسات أمنية وعقابية.

وعلى غرار ذلك لا تزال الوحدة الاجتماعية الجوارية موجودة، ولم تضعف الروابط بين الجيران تماما كما هو واضح للعيان بل استبدل بروابط أخرى وتم بناء نموذج علائقي جديد يجمع بين الجماعية والفردانية، ومنه لم تضعف مسؤوليات

الفرد نحو جماعته الجوارية. ففي دراستنا في عمق الظاهرة ومحاولتنا كشف المخفي فيها تأكيد على أن علاقات الجيرة ما زالت قائمة في مجتمعنا وقد كان العامل الديني وما خلفته عملية التنشئة الاجتماعية دور في ذلك، وبالرغم من أن الدين يعتبر عامل مهم في تكوين الشبكة العلائقية هناك عوامل أخرى تعمل على تشكيل هذه التفاعلات، وبالرغم من وجود بعض الممارسات مستوحاة من التقاليد والأعراف يوجد سلوكيات أخرى حتمها التغير والتحول الذي طرأ على المجتمع، والذي ينسج العلاقات بين الجيران يمكن تلخيصها في الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتشابهة، المصلحة والاعتماد المتبادل. وتؤدي هذه الوظائف المتبادلة إلى تقوية أواصل العلاقات بين الأسر في نطاق الجوار. فالمحافظة على العلاقات الطيبة مع الجيران وزيارتهم وتبادل الخدمات فيما بينهم ومساعدتهم في مختلف المناسبات من القيم الثابتة في مجتمعنا وما زالت مستمرة بالرغم من محدوديتها.

أكدت المعاينة الميدانية على استمرار جماعات الجوار بمجتمع الدراسة، كما أكدت النتائج أن هذه الجماعات ليست مستمرة كبناء فحسب، بل إنها تؤدي العديد من الوظائف على الرغم من ظهور بعض التغيرات التي طرأت على العوامل المؤثرة على أبنية هذه الجماعات، فضلا عن ظهور بعض الوظائف الجديدة التي حدثت بتأثير التغيرات الاجتماعية للمجتمع بشكل عام. وبالرغم من وجود أسر تفضل عدم إقامة علاقات حميمة مع الجيران، و تفضل إجراء هذه العلاقات من خارج إطار الجيرة، علاقات الصداقة والزمالة في العمل. وهذا ما أصبحت تفرضه الحياة الحضرية إلا أنها تتواصل مع جيرانها سواء في التحية وإلقائها أو في مناسبات خاصة المؤلمة منها والذي يدخل في إطار الواجب الذي تتضمنه تعاليم الدين الإسلامي. كما أن أفراد هذا الحي يتناقشون في أمور الحياة الاجتماعية وخاصة حياتهم اليومية في هذا الحي، وهذا ما يبرز نوع من التضامن والذي يعبر عنه إيميل دوركايم I. Durkheim بالتضامن العضوي أي في إطار المنفعة العامة.

ومنه لا وجود لقطيعة أو تفكيك للروابط الاجتماعية بل تشكيل نموذج جديد من الروابط الاجتماعية بين الجيران، توجد علاقات لكنها سطحية وبنفعية مع الابتعاد قدر الإمكان عن العلاقات الوثيقة، أغلبية السكان يجذبون ضبط علاقاتهم الاجتماعية وتحديدها ضمن روابط خالية من التفاعل الوجداني الذي كان يميز علاقات الجوار بين السكان سابقا، بمعنى سهولة في التواصل بين الجيران، لكن صعوبة في تكوين روابط اجتماعية وثيقة بينهم. وإن كل هذه العلاقات والتفاعلات داخل التجمعات المصغرة بالحى لا تتجاوز في عمومها كونها سطحية، بالرغم من أنها تبدو وطيدة أحيانا نستدل في ذلك قلة التزاور بينهما، ونقص تبادل الهدايا، فلا يكاد يظهر هذا إلا إذا احتاج بعضهم إلى بعض في المسائل الإدارية أو الاقتصادية كاقتراض مبالغ مالية أو مواد وآلات منزلية.

إذن أصبح لمفهوم الجيرة مدلولاته الحضرية والتي تختلف عما كانت عليه في السابق قبل التأثير بكل التحولات والتغيرات الحاصلة، فعلاقة الجيرة لم تعد تلك العلاقة الأولية التي تجمع الجيران على التعاون والتبادل بعيدة عن التكلف والتعقيد، أصبحت من العلاقات الثانوية لا يمكن الاستغناء عنها، وبالرغم من طغيان اللامبالاة والمصلحة كمبدأ في التعامل مع الجيران إلا أن مسألة التعاون والتضامن كل ما ادعت الضرورة لذلك مازال قائما. عموما وفي ظل التحولات الاجتماعية التي طرأت على المجتمع الجزائري مازالت الجيرة تحتفظ ببعض خصائصها ومازال الجيران يتوصلون مع بعضهم البعض وإن كانت سطحية أساسها المصلحة المشتركة. فلا وجود لقطيعة تامة مع الجيران، بل نلمس استمرارية للعلاقات التقليدية وهي تتعايش مع البنيات والقيم الجديدة في ظل التحولات الاجتماعية تظهر سواء على مستوى التمثلات أو في أنماط السلوك والممارسات الاجتماعية للفاعلين الاجتماعيين.

توصلت الدراسة الميدانية إلى أن الجيرة امتدت إلى فضاءات أخرى أصبحت كمجالات للتقارب الاجتماعي، ولم تبقى محصورة فقط داخل الفضاء السكني أو الفضاء المجاور له.

إنّ هذه النتائج التي توصلنا إليها تشكل بدورها آفاق لدراسات مستقبلية حول مسألة الروابط الاجتماعية بين الجيران، ويمكن أخيراً أن نطرح تساؤلات تكون مواضيع لبحوث مستقبلية، منها أنه وفي خضم هذه التحولات والتغيرات الاجتماعية ماذا سيحدث للروابط العلائقية بين الجيران داخل هذا المجتمع المحلي مستقبلاً؟ كيف إذن ستكون النماذج العلائقية بين الجيران؟ هل سوف يتم بناء نموذج ثاني أساسه الفردانية؟ ألا يبدو لنا ضرورة إعادة الاعتبار إلى المسجد خاصة، وللجمعيات والمجتمع المدني بشكل عام من أجل الحفاظ على خصوصية الجيرة داخل الوسط الحضري، من أجل الحفاظ على الاستقرار والأمان والحماية، وتأطير مختلف الصراعات بين السكان والحد منها؟

وغيرها من التساؤلات التي تشكل موضوعات للاستمرار في البحث والتفكير وتفتح آفاق أخرى لدراسات حول هذا الموضوع الهام.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

I. المصادر

ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط 1، دار ابن كثير، دمشق،
بيروت، 2002.

الترمذي أبو جعفر محمد بن أحمد بن جعفر، سنن الترمذي (الجامع المختصر من السنن عن
الرسول ﷺ)، تحقيق صدقي جميل العطار، بيروت، 2005
الدمشقي أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن الكريم، تحقيق سامي
بن محمد السلامة، الجزأين الرابع والخامس، ط 2، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة
العربية السعودية، 1999.

القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن،
تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الجزء 5، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2011.
مسلم أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، إعتنى به أبو صهيب الكرمي،
بيت الأفكار الدولية، 1998

النووري أبي زكريا يحيى بن شرف، شرح رياض الصالحين (من كلام سيد المرسلين ﷺ)،
شرحه: محمد بن صالح العثيمين، المجلد الثاني، الجزء الثاني دار الكتب العلمية، بيروت
لبنان، 2004

II. المراجع باللغة العربية

1. كتب

أمقران عبد الرزاق، في سوسيولوجيا المجتمع: دراسات في علم الاجتماع، ط1، المكتبة
العصرية للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، 2009.

أوزي أحمد، الطفل والمجتمع: دراسة نفسية اجتماعية لصورة الطفل المغربي من خلال
الرواية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، 1988.

بارك روبرت -ارنست برجس- رودرك ما كينزي، المدينة، تعريب: سيد عبد العاطي وأبو
بكر أحمد باقادر، ط1، وكالة تبر للدعاية والنشر والاعلام، جدة، 1988.

باشلار غاستون، جمالية المكان، ترجمة غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر
والتوزيع، بيروت، لبنان، 1984.

بن اشهو عبد اللطيف، الهجرة الريفية في الجزائر، المؤسسة الوطنية المطبعة التجارية، الجزائر،
1976.

بوحوش عمار ومحمد محمود الذنبيات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ط3،
ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001.

بورديو بيير، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، ط3، دار توبقال للنشر،
المغرب، 2007.

بوطالب محمد نجيب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة
العربية، بيروت، 2009.

بوخلوف محمد، "الاجتماعية ومشكلة الثقة"، من الروابط الاجتماعية في المجتمع الجزائري،
فعاليات الملتقى الوطني الرابع لقسم علم الاجتماع، منشورات كلية العلوم الإنسانية
والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008.

بوخلوف محمد، التحضر، دار الأمة، الجزائر، 2001.

بويحيوي عبد الكريم، "تفكك الرابطة الاجتماعية عبر وسائل الاتصال من الأنوميا إلى ظاهرة الخواء الاجتماعي" من الروابط الاجتماعية في المجتمع الجزائري، فعاليات الملتقى الوطني الرابع لقسم علم الاجتماع، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008.

بيار أنصار، العلوم الاجتماعية المعاصرة، ترجمة: نخلة فريفر، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992.

تيجاني بشير، التحضر والتهيئة الحضرية في الجزائر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000.

تيمور باشا أحمد، الأمثال العامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003.
الجابري محمد عابد، فكر ابن خلدون العصبية والدولة (معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي)، ط6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994.

الجادرجي رفعة وآخرون، بحث في جدلية العمارة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1985.
حافظ الأسود السيد، الأنثروبولوجيا الرمزية، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2002.
الحسيني السيد، المدينة: دراسة في علم الاجتماع الحضري، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1980.

حمدوش رشيد، "أهم نظريات الرباط الاجتماعي -دراسة نقدية-"، من الروابط الاجتماعية في المجتمع الجزائري، فعاليات الملتقى الوطني الرابع لقسم علم الاجتماع، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008.

حمدوش رشيد، مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر: امتدادية أم قطيعة؟ (دراسة ميدانية لمدينة الجزائر نموذجاً)، دار هومة، الجزائر، 2009.

خروف حميد وآخرون، الإشكالات النظرية والواقع (مجتمع المدينة نموذجاً)، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999.

الحشاب أحمد، التفكير الاجتماعي (دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية)، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

الخواجة محمد ياسر، علم الاجتماع الحضري بين الرؤية النظرية والتحليل الواقعي، ط1، دار الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، طنطا، 2008.

الخواجة محمد ياسر، علم الاجتماع الحضري: بين الرؤية النظرية والتحليل الواقعي، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.

الخولي حسن، الريف والمدينة في مجتمعات العالم الثالث، دار المعارف، القاهرة، 1982.

الدسوقي كمال، النمو التربوي للطفل والمراهق، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.

دعبس يسرى، المحميات الاجتماعية والتنمية المتواصلة (رؤى وخبرات ميدانية في الانثروبولوجيا الايكولوجية)، ط1، البيطاش سنتر للنشر والتوزيع، الاسكندرية، 2005.

الرشدان عبد الله، علم اجتماع التربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2008.

رشوان حسين عبد الحميد أحمد، المدينة: دراسة في علم الاجتماع الحضري، ط6، المكتب الجامعي الحديث، لإسكندرية، 1998.

رشوان حسين عبد الحميد، المجتمع: دراسة في علم الاجتماع، ط4، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2005.

زعيمي مراد، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2002.

زقور غفاف، "الفضاء العمومي وأبعاده المركبة بمدينة الجزائر: نادي الترقى والتعبئة الدينية- السياسية (1927- 1940)"، من: حسن رمعون وعبد الحميد هنية

(إشراف)، الفضاءات العمومية في البلدان المغاربية، منشورات الكراسك،
وهران، 2013.

الساعاتى سامية، "الإبداع فى المثل الشعبى (تحليل اجتماعى لبعض الأمثال العربية)"، من:
التراث والتغير الاجتماعي (تقارير بحث)، الكتاب الثانى: التراث الشعبى فى عالم متغير
قراءات تأسيسية، ط1، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة،
2002.

سبيلا محمد، فى تحولات المجتمع المغربى، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 2010.
سعيد عيشور نادية، الصراع الاجتماعى: الاتجاهات النظرية: التقليدية والسوسيولوجية،
دار مجدلاوى للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2014.

سليمانى جميلة، دراسات فى علم النفس الاجتماعى الفضاى: الآليات النفسية والاجتماعية
للمسكن، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
السالموطى نبيل توفيق، المنهج الإسلامى فى دراسة المجتمع، ط2، دار الشروق، جدة، العربية
السعودية، 1985.

السالموطى نبيل محمد توفيق، قضايا التنمية والتحديث فى علم الاجتماع المعاصر، دار
المطبوعات الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع، 1999.

السويدي محمد، مقدمة فى دراسة المجتمع الجزائرى (تحليل سوسيولوجى لأهم مظاهر الغير فى
المجتمع الجزائرى)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 1984.

السيد عبد العاطى السيد، علم الاجتماع الحضري (مدخل نظري)، در المعرفة الجامعية،
الإسكندرية، 1984.

السيد عبد العاطى السيد، علم الاجتماع الحضري (الجزء الأول)، دار المعرفة الجامعية،
الاسكندرية، 2007.

السيد عبد العاطى السيد، علم الاجتماع الحضري (الجزء الثانى)، دار المعرفة الجامعية،
الاسكندرية، 2000.

السيد عبد القادر شريف، التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة، ط2، دار الفكر العربي، 2002.

شعلان سميح، "ملامح التغير في العلاقات الاجتماعية كما يعكسها اختار الموقع السكني"، من: المدينة العربية بين التغيرات الاجتماعية وتحولات المجال، الجامعة اللبنانية، منشورات بيروت مركز الأبحاث، بيروت لبنان، 2009.

الشناوي محمد حسن وآخرون، التنشئة الاجتماعية للطفل، ط1، دار الصفاء، للنشر والتوزيع، عمان، 2001.

شوقي عبد المنعم، مجتمع المدينة، دار النهضة العربية، لبنان، 1981.

شوقي محمد، التحولات الاجتماعية في المغرب (من التضامن القبلي إلى الفردانية)، أفريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب، 2009.

طاهر جمال وداليا جمال طاهر، موسوعة الأمثال الشعبية (دراسة علمية)، من الموقع الإلكتروني: www.kotobarabia.com

طبارة رجاء مكي، مقاربة نفس- اجتماعية للمجال السكني (دراسة ميدانية)، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1995.

طلعت ابراهيم لطفي، "أثر الحضرية في جماعات الجيرة"، من: دراسات في علم الاجتماع الحضري، ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1995.

الطهطاوي علي أحمد عبد العال، شرح كتاب حقوق الجار للإمام الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005

عباس إبراهيم محمد، التصنيع والمدن الجديدة (دراسة أنثروبولوجية لمدينة كيما بأسوان)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2009.

عثمان حسن عثمان، المنهجية في كتابة البحوث والرسائل الجامعية، منشورات الشهاب، الجزائر، 1998.

- علي حسن علي عبد الحميد، حقوق الجار في صحيح السنة والآثار، ط2، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1994
- عماد عبد الغني، سوسيولوجيا الثقافة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2006.
- الغامري محمد حسن، الانثروبولوجية الحضريّة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1983.
- الغامري محمد حسن، طريقة الدراسة الأنثروبولوجية الميدانية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1989.
- غيث محمد عاطف، علم الاجتماع الحضري (مدخل نظري)، دار النهضة العربية، بيروت، 1983.
- الفوال صلاح، علم الاجتماع: المفهوم والموضوع والمنهج، دار الفكر العربي، 1982.
- فوزي عبد الرحمان وعلي المكاوي، دراسات في الأنثروبولوجية الثقافية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1999.
- فير ماكس، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة: صلاح هلال، ط1، الهيئة العصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011.
- قباري محمد اسماعيل، علم الاجتماع الحضري ومشكلات التجهيز والتغيير والتنمية، الاسكندرية، منشأة المعارف الاسكندرية، 1986.
- القصير عبد القادر، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية (دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري)، دار النهضة العربية، بيروت، 1999.
- كابان فيليب و دورتيه جان فرانسوا، علم الاجتماع (من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات)، ترجمة: إيّاس حسن، ط1، دار الفرقد للطباعة والنشر وتوزيع، سورية دمشق، 2010.
- كربخال مارمول، افريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج2، مطابع المعارف الجديد، المغرب، 1989.

كعباش رابح، الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع، خبر علم الاجتماع الاتصال. جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2007.

مالفي عبد القادر، "إمكانية تأسيس فضاء عمومي بالجزائر وفق المنطق النظري والتطبيقي لهابرماس"، من: حسن رمعون وعبد الحميد هنية (إشراف)، الفضاءات العمومية في البلدان المغاربية، منشورات الكراسك، وهران، 2013.

مرتاض عبد الله، الأمثال الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
مرضوي مصطفى، "الرابطة الاجتماعية في الجزائر مساراتها وأزماتها وضرورة تحديثها"، من الروابط الاجتماعية في المجتمع الجزائري، فعاليات الملتقى الوطني الرابع لقسم علم الاجتماع، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008.
معتوق جمال، "قراءة نقدية في الروابط الاجتماعية: حالة المجتمع الجزائري"، من الروابط الاجتماعية في المجتمع الجزائري، فعاليات الملتقى الوطني الرابع لقسم علم الاجتماع، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008.

مغربي عبد الغني، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، ترجمة: محمد الشري بن دالي حسين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988.

المنعم نور محمد، أسس العلاقات الإنسانية، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، بدون سنة.
النّبهان محمد فاروق، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان، 1998.

النوري قيس، الأنثروبولوجيا الحضارية بين التقليد والعولمة، ط1، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، أريد الأردن، 2001.

وزير يحيى، العمارة الإسلامية والبيئة: الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي، مطابع السياسة، الكويت، 2004.

2. مجلات

بركات علي، "القواعد التنظيمية لجمال المدن"، مجموعة نشرات -مجلة بلدي-الأردن، العدد 77، 1988.

بومدين سليمان ، "تصورات المغاربي لحرمة داره" من: إنسانيات، عدد 37، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، جويلية- سبتمبر 2007، (ص.ص. 49-66)

بويج نيقولا، "تمدن الطبائع الشرقية. الكياسة في القاهرة المعاصرة"، ترجمة إيمان فرج، متون عصرية في العلوم الاجتماعية: نوربرت إيلياس -التمدن بين الاجتماع والتاريخ-، العدد 2، المطبعة الذهبية، القاهرة، 2001، (ص.ص. 77-87)

بيرتون دانييل، "المقاربة البيوغرافية: صلاحيتها المنهجية وإمكاناتها"، ترجمة: عبد الرحمن المالكي، إضافات، العدد 13، شتاء 2011، (ص.ص. 83-95)

حمدوش رشيد، "محاولة اقتراب جديدة لتفسير العلاقات الاجتماعية والرباط الاجتماعي للواقع الجزائري المعاصر"، من: مجلة بحوث، العدد 7، جامعة الجزائر، 2007، (ص.ص. 99-118)

دوبريه بودوان، "تواصل الذوات والمؤسسات والتاريخ. حاشية على التفاعل والاكراه"، ترجمة إيمان فرج ، متون عصرية في العلوم الاجتماعية: نوربرت إيلياس -التمدن بين الاجتماع والتاريخ-، العدد 2، المطبعة الذهبية، القاهرة، 2001، (ص.ص. 44-52)

زايد مصطفى، "التعلم في الجزائر: المؤسسة الرسمية وإعادة تكون البنية الاجتماعية"، من مجلة علم الاجتماع: التغيرات الاجتماعية في الجزائر منذ الاستقلال (أعمال الملتقى الوطني لعلم الاجتماع الجزائر 28-29-30 أفريل 1986، العدد 03، جامعة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

صولة عماد، "سيرورة الرمز من العتبة إلى وسط الدار: قراءة أنثروبولوجية في السكن التقليدي التونسي"، من: انسانيات، العدد 28، أفريل-جوان 2005، (ص. ص. 5-22)

كارلي عمر، "المقهى المور، ألفة الرجال وفورة المواطنة [الجزائر القرن السابع عشر إلى القرن العشرين]" من: مصر والعالم العربي، رقم 5، مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية، القاهرة، 1996، (ص. ص. 201-253).

لعروق محمد الهادي، "التوسع الحضري وإنتاج المدينة في الجزائر خلال فترة مناطق السكن الحضري الجديد"، حوليات: وحدة البحث إفريقيا والعالم العربي، جامعة منتوري قسنطينة، مجلد 3، 1999، (ص. ص. 7-20)

3. الرسائل الجامعية

حمداوي محمد، البنيات الأسرية ومتطلبات الوظيفة في منطقة بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرين (قرى العزايل نموذجاً)، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2005.

همراكروا حميد، التحضر وتغير الأدوار الأسرية (دراسة ميدانية بالحي الشعبي ديار الزيتون بمدينة عزابة ولاية سكيكدة)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008.

المالكي عبد الرحمن، سوسيولوجيا التحضر في المغرب (دراسة في العلاقة بين الأطر الأيكولوجية والأنساق الثقافية بفاس)، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في علم الاجتماع، الجزء الأول، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المملكة المغربية، 2005.

مروفل مختار، الرابط الاجتماعي الحضري: الأسس والمعايير -مقاربة سوسيو-اثنوغرافية بجمي الأمير خالد (الخروبة) وهران، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2004.

مهدي العربي، التضامن والمجتمع: اقتراب تحليلي لأشكال التضامن بحي الضاية الشعبي لمدينة وهران، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علم الاجتماع جامعة وهران، 2008.

4. المعاجم والموسوعات

ابن منظور، لسان العرب، المجلد السابع، دار صادر، بيروت، 1992.
دورتيه جان فرانسوا، معجم العلوم الانسانية، ترجمة: جورج كتورة، ط1، كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، 2009.
ريترز جورج، موسوعة النظرية الاجتماعية، ترجمة: مصطفى خلف عبد الجواد، مراجعة وتقديم: محمد الجوهرى، المجلد الأول، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومى للترجمة)، 2006.

غيث محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2006.

5. مصادر أخرى

مكتب الإحصائيات بلدية أرزيو
مكتب التوجيه التهيئة العمرانية لبلدية أرزيو

BIBLIOGRAPHIE المراجع باللغة الفرنسية .III

1. LIVRES

- ABRIC J. C. « "L'étude expérimentale des représentations sociales » , In : JODELET D., Les représentations sociales, Puf, Paris, 1989.
- ABRIC J. C., Pratiques sociales et représentations, 2^{ème} édition ,Puf, Paris, 1997.
- ADDI L., Les mutations de la société Algérienne : Famille et lien social dans l'Algérie contemporaine, Ed. la Découverte, Paris, 1999.
- BACHELARD G., La poétique de l'espace, Puf, Paris, 1981.
- BAHRI N. – ROUAG A., « Les grands ensembles, entre configuration spatiale et comportement humain », In : CELLIER H. - DJINIDI A. R. (Sous la direction), Algérie France (Jeunesse, ville et marginalité), L'Harmattan, Paris, 2008.
- BEAUD S. - WEBER F., Guide de l'enquête de terrain, La découverte, Paris, 1997.
- BENATIA F., Alger : agrégat ou cité. L'intégration citadine a Alger, SNED, Reghaia, Alger, 1980.
- BENYOUCEF B., Le M'zab : Espace et société, Ed. urbaine, Alger, Non daté.
- BIDART C., L'amitié : un lien social, La découverte, Paris, 1997.
- BONETTI M., Habiter : Le bricolage imaginaire de l'espace, Descellée de Brouwer, Paris, 1994.
- BOUCHANINE F.N., Habiter la ville marocaine, L'Harmattan, Paris, 1997.
- BOUKHABZA M., Ruptures et transformations sociales en Algérie, Volume 1, OPU, Alger, 1989.
- BOURDIEU P. – LOIS WACQUANT J.D., Réponses, Seuil, Paris, 1992.
- BOURDIEU P.- SAYAD A., Le déracinement, Les éditions de Minuit, Paris, 1964.
- BOURDIEU P., Choses dites, Les éditions de Minuit, Paris, 1987.

- BOURDIEU P., La misère du monde, Seuil, Paris, 1993.
- BOURDIEU P., Le métier de sociologue, Ecole pratique des hautes études, Mouton and Bordas, Paris, 1968.
- BOURDIEU P., Le sens pratique, Ed. de Minuit, Paris, 1980.
- BOUTEFNOUCHET M., La société Algérienne en transition, OPU, Alger, 2004.
- BOUTEFNOUCHET M., Système social et changement social en Algérie, OPU, Alger, Non daté.
- BOUVIER P., Le lien social, Editions Gallimard, Paris, 2005.
- BRISEBARRE A. M. et autre, La fête du mouton : Une sacrifice musulman dans l'espace urbain, CNRS édition, Paris, 1998
- CAMPOS G., Les palmiers d'Arzew (Mémoires d'Outre-Méditerranée 1849-1962), Ed. TAC Motifs, 1989.
- CASTELLS M., La question urbaine, Ed François Maspero, Paris, 1981.
- CHOMBART DE LAUWE P.H., Des hommes et des villes, Payot, Paris, 1965.
- CHOMBART DE LAUWE P.H., « Les hommes et la société urbaine », In : L'homme et la révolution urbaine, Ed GAMMA, Paris, 1965.
- CHOMBART DE LAUWE P.H., La fin des villes, Calmann Lévy, Paris, 1982.
- CHOMBART DE LAUWE P.H., Pour une sociologie des aspirations, Médiations, Paris, 1971.
- CLEMENT P., « Architecture et anthropologie », In Espaces des autres : Lectures anthropologiques d'architectures, Les éditions de la villette, Paris, 1987.
- COING H., Rénovation urbaine et changement social, Les éditions ouvrières , Paris, 1966.
- COTTEREAU A. - PAUL L., Pouvoir et légitimité, Ed de l'école des hautes études en sciences sociales, Paris, 1992.
- COULON A., L'école de Chicago, Q.S. Je ?, 1^{er} édition, Puf, Paris, 1992.

- COURNIL N., « Les solidarité du maquis : Approche anthropologique des formes d'entraide », In : GUILLAUME P. (Sous la direction), Les solidarités : Le lien dans tous ses états, Maison des Sciences de l'homme d'aquitaine, France, 2001
- CRESSWELL. R- GODELIER.M., Outils d'enquête et d'analyse anthropologiques, Maspero, Paris, 1976.
- DEMAZIÈRE D. – Dubar C., Analyser les entretiens biographiques, Ed. Nathan, Paris, 1997.
- DEPAULE.J.C., « Vie Quotidienne et espace habité au Machrek », In : Espace des autres : Lectures anthropologiques, Les éditions de la villette, Paris, 1987.
- DOVIER APPRILL É.- GERVAIS LAMBONY P., Vies citadines, Belin, Paris, 2007.
- DURKHEIM E., De la division du travail social, Puf, Paris, 1978.
- DURKHEIM E., Sociologie et Philosophie, 4^{ème} édition, Puf. Paris , 1974.
- DUVIGNAUD J., La solidarité, Fayard, Paris, 1986.
- ELIAS N., La dynamique de l'occident, Ed Calmann- Levy, 1975.
- ELIAS N., La société des individus, Traduit de l'allemand par Jeanne Étoré, Fayard, Paris, 1991.
- ETIENNE J. - MENDRAS H., Les grands thèmes de la sociologie par les grands sociologues, Armand colin, Paris, 2004.
- FISCHER G. N., Les concepts fondamentaux de la psychologie sociale, 3^{ème} édition, Dunod, Paris, 2005.
- FLAMENT C., «Structure et dynamique des représentations sociales », In : JODELET D., Les représentations sociales, Puf, Paris, 1989.
- GENNEP A. V., Les rites de passage, Emile Nourry, Paris, 1909.
- GHIGLIONE R. - MATALON B., Les enquêtes sociologiques (Théories et pratique), Armand Colin, Paris, 1978.
- GOFFMAN E., La mise en scène de la vie quotidienne, Les éditions de minuit , Paris, 1973.
- GOFFMAN E., Les rites d'interaction, Les éditions de minuit, Paris, 1974.

- GRAFMEYER Y. – AUTHIER J.Y., **Sociologie urbaine**, Armand colin, Paris, 2008.
- GRAFMEYER Y.- JOSEPH.I (présentation), **L'Ecole de Chicago (Naissance de l'écologie urbaine)**, Aubier, Paris, 1998.
- GRAFMEYER Y., « Logement, quartier, sociabilité », In : SEGAUD M. et autres (sous direction), **Logement et l'habitat : l'état des savoirs**, La découverte, Paris, 1998.
- GUENAOU M., « La zenqa, espace entre le derb et l'extra hawma : le cas de la médina de tlemcen », In : REMAOUN H.- HENIA A. (sous la direction), **Les espaces publics au maghreb**, CRASC, Oran, 2013.
- GUILLAUME P. (Sous la direction), **Les solidarités : Le lien dans tous ses états**, Maison des Sciences de l'homme d'aquitaine, France, 2001
- HABERMAS J., **L'espace public : Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise**, Traduit de l'allemand par Marc B. de Launay, Paris, édition Payot, 1997
- HADJIDJ D., « Les grands ensembles à Oran. Anomie de la vie juvénile ou l'exclusion programmée », In : CELLIER H. - DJINIDI A. R. (Sous la direction), **Algérie France (Jeunesse, ville et marginalité)**, L'Harmattan, Paris, 2008.
- HADJIDJ. D, « Ville et société en Algérie: Ou est donc passé le sociologue ? », In : LAKJAA A. (coordination et présentation), **Sociologie et société en Algérie**. Actes de Colloque national de Sociologie des 4,5 et 6 mai 2002 ORAN, CASBAH, Alger, 2004.
- HANNERZ U. , **Explorer la ville**, Ed. de minuit, Paris, 1983.
- HAUMONT B. - MOREL A., **La société des voisins (Partage un habitat collectif)**, Edition de la Maison des Sciences de l'homme, Paris, 2005.
- HEWSTONE, M., « Représentation sociale et causalité », In : JODELET D., **Les représentations sociales**, Puf, Paris, 1989.

- ICHEBOUDENE L., « l'intégration citadine : à propos de la difficulté d'être algérois », In : ouvrage collectif, La ville dans tous ses états, CASBAH, Alger, 1998.
- JACOB C., « La représentation de l'espace : projet pour une réflexion théorique », Espace des autres lectures anthropologiques d'architecture, Les éditions de la villette. Paris, 1987.
- JODELET D., Les représentations sociales, Puf, Paris, 1989.
- LEDRUT R., L'espace social de la ville. Ed Anthropos. Paris, 1968.
- LEDRUT. R., La forme et le sens dans la société, Ed Librairie des Méridiens, Paris, 1984
- LEDRUT. R., sociologie urbaine, Puf, Paris, 1968.
- LEFEBVRE H., La production de l'espace, 4^e Ed Anthropos, Paris, 2000.
- LYNCH K., L'image de la cité, Traduit par M.F. Vénard et J. L. vénard, Dunod, Paris, 1976.
- MAGRI S., « L'émergence du social : objectifs et moyens d'une réforme (1894-1930), In : Segaud M. et autres (sous direction), Logement et l'habitat : l'état des savoirs, La découverte, Paris, 1998
- MAISONNEUVE J. - LAMY L., Psycho- sociologie de l'amitié, Puf, Paris, 1993
- MARC E.- PICARD D., L'interaction sociale, Puf, Paris, 1989.
- MARTUCCELLI D., sociologies de la modernité, Folio essais Gallimard, Paris, 1999.
- MARX K. – ENGELS F., L'idéologie allemande, Ed. Sociales, Paris, 1972.
- MARX K., Travail salarié et capital. Ed. Sociales. Paris, 1975.
- MASSABUAU J. P., La maison, Espace social, Puf, Paris, 1983.
- MAUSS M., Sociologie et anthropologie, Puf, Paris, 1968.
- MEGHERBI A., La pensée sociologique d'Ibn Khaldoun, Ed. ENAL, Alger, 1983.
- MOLES A.- ROHMER E., Psychosociologie de l'espace, L'Harmattan, Paris, 1998.

- MOUKRAEWTA ABED B., L'image de l'Algérie antique au travers des sources arabes du moyen âge, Volume 1, Alger, 2013.
- MUMFORD L., La cité à travers l'histoire, Seuil, Paris, 1964.
- NACHI M., « Les espaces publics au Maghre. Eléments pour la construction d'une problématique sociohistorique contextualisée à partir du cas tunisien », In : REMAOUN H.-HENIA A. (sous la direction), Les espaces publics au maghreb, CRASC, Oran, 2013.
- PAQUOT T., Homo Urbanus, Ed. du Félin, Paris, 1990.
- PAUGMAN S., Le lien social, Puf, Paris, 2008.
- PIETTE.A., Ethnographie de l'action, Métailié, Paris, 1996.
- QUÉRÉ L., Agir dans l'espace public : Les formes de l'action, Ed. de l'EHESS, Paris, 1990.
- RAGON M., L'homme et les villes, Albin Michel, Paris, 1975.
- RAPOPORT A., Pour une anthropologie de la maison, traduit par A. M. Meistersheim et M. Schlumberger, Bordas, Paris, 1972.
- RAULIN A., Anthropologie urbaine, Ed Armand colin, paris, 2001.
- REMY J. - VOYE L., La ville : Vers une nouvelle définition ?, L'Harmattan, Paris, 1992
- RENIER A., Espace et représentations : Penser l'espace, Les éditions de la Villette, Paris, 1982.
- RIGAUX N., Introduction à la sociologie par sept grands auteurs, 2^{ème} éditions revue et augmentée, De Boeck, Bruxelles, 2012.
- RODERICK D. MCKENZIE, « Le voisinage : Une étude de la vie locale à Colombus, Ohio », In : GRAFMEYER Y.- JOSEPH.I (présentation), L'Ecole de Chicago (Naissance de l'écologie urbaine), Aubier, Paris, 1998.
- SCHOONBRODT R., Sociologie de l'habitat social :Comportement des habitants et architecture des cités, Edition des archives d'architecture moderne, Bruxelles, 1979.
- SEGAUD M. et autres (sous direction), Logement et l'habitat : l'état des savoirs, La découverte, Paris, 1998.
- SEGAUD M., Anthropologie de l'espace :Habiter, Fonder, Distribuer, Transformer, 2^e Edition, Armand Colin, Paris, 2010.

- SIDI BOUMEDINE R., « La cidadinité : une notion impossible ? ». In : ouvrage collectif, la ville dans tous ses états, CASBAH. Alger, 1998.
- SIMMEL G., Les grandes villes et la vie de l'esprit, Traduit par Françoise Ferlan, L'Herne, Paris, 2007.
- SIMMEL. G, « Métropoles et mentalité », In : GRAFMEYER Y.- JOSEPH.I (présentation), L'Ecole de Chicago (Naissance de l'écologie urbaine), Aubier, Paris, 1998.
- SMIDA N., Production du territoire dans les nouveaux quartiers aisés de Tunis : cas d'El Menzeh d'El Manar, D.E.A. d'urbanisme, ENAU de Tunis, 2001.
- SPERBER Dan., « L'étude anthropologique des représentations. Problemes et perspectives », In : JODELET D., Les représentations sociales, Puf, Paris, 1989.
- TONNIES F., Communauté et société, Puf, Paris, 2010.
- VILLOT R., ARZEU (Des origines a nos jours), 3^{eme} édition, Ed. Peretti-Arzu, Oran, Algérie, 1975.
- WEBER M., La ville, Traduit de l'Allemand par Philippe FRITSCH, Ed. Aubier Montaigne, Paris, 1947.
- WIRTH L., « Le phénomène urbain comme mode de vie », In : GRAFMEYER Y.- JOSEPH.I (présentation), L'Ecole de Chicago (Naissance de l'écologie urbaine), Aubier, Paris, 1998.
- YEVES CUSST P., Le Lien Social, 1^{ere} édition, Armand Colin, Paris, 2007.
- YVONNE B., « Du logement au chez- soi », In : SEGAUD M. et autres (sous direction), Logement et l'habitat : l'état des savoirs, La découverte, Paris, 1998.

2. REVUES

BEKKOUCHE A., « L'espace vert urbain : entre pratique et conception », In : Insaniyat, N° 2, CRASC, Oran, Automne 1997 , (P.P. 59-76).

CHAMBOREDON.J.C. - LEMAIRE M., « Proximité spatiale et distance sociale. Les grands ensembles et leur peuplement », In : revue française de sociologie. N° XI-I. Puf, Paris, 1970, (P.P. 3-33)

CHAULET C., « Le local, l'origine et terme », In : Insaniyat, N°16, CRASC, Oran, Janvier-Avril 2002, (P.P. 15- 29)

HADJIDJ D., « L'habiter : La spatialisation des modes de vie », In : Revue des sciences sociales, N°17, Université de Constantine, Janvier 2002 , (P.P. 19-23)

HADJIDJ. D, « Enquêter sur son propre terrain ». Terrains vécus. Terrains revécus, In : Anthropo , N° 5-6. Ed GRAEA, France, 2006, (P.P. 23- 31)

HADJIDJ. D, « Urbanification et appropriation de l'espace Le cas de la ville d'ORAN », In : Insaniyat, N° 16, CRASC, Oran, Janvier-Avril 2002, (P. P. 237- 243).

LAKJAA A., « L'habitat identitaire : éléments pour une problématique d'une urbanité en émergence », In : Insaniyat, N° 2, CRASC, Oran, 1997, (P.P. 77- 103)

SAYAD A., « Les effets naturels du relogement », In : Revue des sciences sociales. Panorama, N°4 -5, ONRS. Alger, Octobre-Novembre 1980, (P.P. 11-27)

3. THESES

HADJIDJ D., « Urbanification » et appropriation de l'espace, Thèse de doctorat d'état de sociologie, Tome II, Université d'Oran, 2001.

ICHEBOUDENE L., Alger, système urbain, histoire, changement social et développement. Thèse de doctorat d'état, Tome 3, 1994.

LEFEUVRE M.P., Grands ensembles et relations sociales : Proximité, Distances, Positions, Doctorat du 3^{ème} cycle, Institut français d'Urbanisme, Université Paris VIII, 1993.

MEZOUAR B., Religion et lien social en Algérie. Thèse de doctorat d'état en sociologie. Tlemcen, 2005.

ORTEGA MOJICA D., Le café : une boisson et un lieu de sociabilité, Master tourisme et hôtellerie parcours «Management de l'Hôtellerie et de la Restauration», Université de Toulouse II, Le Mirail institut supérieur du tourisme, 2013.

RIFFI M., La construction du lien social dans l'espace urbain : exemple des cafés de Rabat, Thèse de doctorat, Architecture et urbanisation des territoires, Université de Rabat, 2009.

4. TRAVAUX DE RECHERCHE

Projet de recherche CNEPRU N° 01820080049, D. HADJIDJ (chef de projet) Villes et liens sociaux –Les grands ensembles à Oran entre adaptabilité et sociabilité, Université d'Oran, Faculté des sciences sociales, Département de sociologie, 2011

5. DICTIONNAIRES

AKOUN A. - ANSART P., Dictionnaire de sociologie, Le robert, Seuil, Paris, 1999.

BONTE P.- IZARD M., Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie, Puf, Paris, 1991.

6. REFERENCES STATISTIQUES

Armature Urbaine (Résultats issus de l'exploitation exhaustive), Collections Statistiques, RGPH 2008, N° 163, O.N.S., 2011

Evolution des Agglomérations 1966- 1977- 1987, Collection Statistiques, O.N.S, Alger, Juin 1992

Recensement Général de la population et de l'habitat 1998, Collection Statistiques, N° 86, O.N.S, Alger.

Recensement Général de la population et de l'habitat 2008, Données statistiques, N° 527/31, O.N.S, Alger.

7. AUTRE REFERENCE

Cabinet d'Architecture et d'Ingénierie, Plan directeur d'aménagement et d'urbanisme commune d'Arzew (3eme phase aménagement et règlement), C.A.J, Arzew, Octobre, 1996.

8. REFERENCE ELECTRONIQUE

MOUSSAOUI A., « La mosquée en Algérie :.Figures nouvelles et pratiques reconstituées », Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée [En ligne], 125 | juillet 2009, mis en ligne le 15 mai 2009, consulté le 04 juin 2014. URL : <http://remmm.revues.org/6159>

الملاحق

1. دليل المقابلة

المحور الأول: معطيات عن أفراد الأسرة المبحوثة

1. جنس، سن، مستوى تعليمي، مهنة ومكان العمل لكل فرد من أفراد الأسرة.
2. الأصل الجغرافي للأسرة
3. المستوى الاقتصادي للأسرة (دخل الأسرة)

المحور الثاني: معطيات عن الفضاء السكني

4. الأقدمية بالمسكن الحالي (تحديد سنة السكن)
5. أسباب الانتقال إليه
6. الإقامة السابقة وغطها
7. الوضع القانوني للمسكن الحالي
8. حالة الفضاء السكني وعدد غرفه
9. هل تم تغيير في بنية الفضاء السكني؟ ولماذا؟
10. أين يتم استقبال الضيوف؟ وأين يتم استقبال الجيران؟

المحور الثالث: طبيعة علاقات الجيرة

11. هل توجد صلة قرابة بينكم وبين الجيران؟
12. كيف هي علاقتكم مع الجيران؟
13. هل تقومون بزيارة الجيران؟ ومتى؟
14. هل يقومون الجيران بزيارتكم؟ ومتى؟
15. هل لكم أصدقاء بالحى؟ وكيف تكونت هذه الصداقات؟
16. أين ومتى يتم الالتقاء معهم؟

المحور الرابع: أشكال التضامن بين الجيران

17. هل تؤدي أسرتك بعض الخدمات لجيرانها؟ وما هي هذه الخدمات؟
18. هل يؤدي الجيران بعض الخدمات لأسرتك؟ ما هي هذه الخدمات؟
19. في حالة الاحتياج إلى مساعدة مالية. ممن تطلبونها؟
20. بمن تستعين في رعاية أبنائك عند الحاجة؟
21. هل تتشاركون مع الجيران للاحتفال بالمناسبات الدينية؟ كيف ذلك؟
22. كيف يتم التضامن في المناسبات الاجتماعية
23. من يقوم بتنظيف الحي؟

المحور الخامس: أنواع الصراع

24. هل تظهر بعض المناوشات بينكم وبين الجيران؟
25. هل هناك من قطعتم صلتكم بهم؟ ولماذا؟
26. في رأيك ما هي أسباب الشجار والمناوشات التي تحدث بين الجيران؟

المحور السادس: علاقات الجيرة بين الماضي والحاضر

27. كيف كانت علاقاتكم مع الجيران القدماء؟
28. هل ترون أنّ علاقات بين الجيران ضرورية؟ ولماذا؟
29. هل فكرتم أو تفكرون في مغادرة محل إقامتكم؟
- في حالة نعم. إلى أين ولماذا؟
30. العلاقات بين الجيران بين الماضي والحاضر. كيف كانت وكيف أصبحت؟

II. جداول معطيات المقابلات الميدانية

1. أسر حي 1500 مسكن (المساكن الجماعية/ العمودية)

المقابلة رقم (01)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
/	ماكثة بالبيت	أمي	64	الأم
/	بطل	9 أساسي (متوسط)	39	الابن (محمد)
/	بطل	ليسانس علوم تجارية	32	الابن (علي)
بلدية أرزيو	ملحقة بلدية	ليسانس علم النفس	28	البنيت (نصيرة)

*الأب متوفي

- الأصل الجغرافي: معسكر (حضري)
- الأقدمية بالسكن: 23 سنة
- عدد الغرف: 3

المقابلة رقم (02)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
/	ماكثة بالبيت	ابتدائي	60	الأم
/	تلميذ	2 أساسي (متوسط)	14	الابن (أسامة)
/	تلميذ	5 ابتدائي	10	ابن البنيت المتزوجة (ياسين)

*الأب متوفي

- الأصل الجغرافي: تيارت (ريفي)
- الأقدمية بالسكن: 31 سنة
- عدد الغرف: 3

المقابلة رقم (03)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
/	متقاعد	ثالثة ثانوي	62	الأب
O.P.G.I بأرزيو	موظفة إدارية	ثالثة ثانوي	54	الأم
سوناطراك (أرزيو)	إداري	تقني سامي في الإعلام الآلي	33	الابن (محمد)
بلدية أرزيو	إدارية	ليسانس	31	البنيت (سامية)
/	بطل	9 أساسي (متوسط)	25	الابن (عبد الكريم)
/	تلميذة	1 ثانوي	16	البنيت (صارة)

- الأصل الجغرافي: أرزيو (حضري)
- الأقدمية بالسكن: 25 سنة
- عدد الغرف: 4

المقابلة رقم (04)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
أرزيو	حدائقي بدائرة أرزيو	ابتدائي	50	الأب
/	/	أمي	48	الأم
/	بطل	2 أساسي(متوسط)	18	الابن (ياسين)
/	تلميذة	3 أساسي(متوسط)	14	البنات (فريال)

- الأصل الجغرافي: الأب: تبسة (ريفي)- الأم: تيزي وزو (ريفي)
- الأقدمية بالسكن: 7 سنوات
- عدد الغرف: 3

المقابلة رقم (05)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
/	ماكثة بالبيت	أمي	56	الأم
/	بطل	7 أساسي(متوسط)	38	الابن (عمر)
بلدية أرزيو	كاتبة	ليسانس	35	البنات (أمينة)
بلدية أرزيو	حارس	9 أساسي(متوسط)	35	الابن (قاسم)
/	ماكثة بالبيت	3 ثانوي	23	زوجة الابن قاسم
/	/	/	شهرين	بنات الابن قاسم

* الأب متوفي

- الأصل الجغرافي: أرزيو
- الأقدمية بالسكن: 32 سنة
- عدد الغرف: 4

المقابلة رقم (06)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
/	ماكثة بالبيت	أمي	74	الأم
أرزيو	الأمن البلدي	3 ثانوي	40	الابن (ميلود)
/	ماكثة بالبيت	3 ثانوي	39	زوجة الابن ميلود

* الأب متوفي

- الأصل الجغرافي: شلف (ريفي)
- الأقدمية بالسكن: 8 سنوات
- عدد الغرف: 3

المقابلة رقم (07)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
/	ماكثة بالبيت	ابتدائي	76	الأم
بلدية أرزيو	كاتبة	4 أساسي (متوسط)	52	البنيت (فاطمة)
/	ماكثة بالبيت	شهادة أساسية	47	البنيت (حفيظة)
/	بطل	شهادة تكوين	42	الابن (بوعبد الله)
/	ماكثة بالبيت	شهادة التعليم الأساسي	37	زوجة الابن بوعبد الله
/	تلميذة	5 ابتدائي	11	بنيت الابن بوعبد الله
/	تلميذ	قسم تحضير	5	ابن الابن بوعبد الله

* الأب متوفي

- الأصل الجغرافي: سيق (حضري)
- الأقدمية بالسكن: 25 سنة
- عدد الغرف: 5

المقابلة رقم (08)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
سوناظراك أرزيو	رئيس مصلحة	9 أساسي (متوسط)	42	الأب
/	ماكثة بالبيت	مهندسة في الاعلام الآلي	28	الأم
/	/	/	2	الابن علاء

- الأصل الجغرافي: الأب: أرزيو، الأم: وهران
- الأقدمية بالسكن: 4 سنوات
- عدد الغرف: 3

المقابلة رقم (09)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
أرزيو	لحام	ابتدائي	57	الأب
أرزيو	موظفة إدارية	9 أساسي (متوسط)	52	الأم
أرزيو	إدارية في إطار عقود ما قبل التشغيل	ليسانس علوم الإعلام والاتصال	26	البنيت (آسيا)
/	بطل	ليسانس علم الاجتماع	24	الابن (أمين)
/	تلميذة	3 ثانوي	18	البنيت (حنان)
/	تلميذ	3 أساسي (متوسط)	16	الابن (ابراهيم)

- الأصل الجغرافي: الأب: سكيكدة (ريفي)، الأم: أرزيو
- الأقدمية بالسكن: 24 سنة
- عدد الغرف: 4

المقابلة رقم (10)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
أرزيو	سباك بشركة حكومية	أساسي (متوسط)	50	الأب
/	ماكثة بالبيت	أمي	48	الأم
/	طالب	سنة أولى جامعي	18	الابن (مصطفى)
/	تلميذة	3 ثانوي	17	البنات (سميرة)
/	تلميذة	3 أساسي (متوسط)	15	البنات (أمينة)
/	تلميذة	خامسة ابتدائي	10	البنات (فاطمة)
/	تلميذ	خامسة ابتدائي	9	الابن (محمد)
/	تلميذ	رابعة ابتدائي	8	الابن (ابراهيم)
/	/	/	4	البنات (شيماء)

- الأصل الجغرافي: الأب: أرزيو، الأم: مستغانم (حضري)
- الأقدمية بالسكن: 5 سنوات 30 سنة بالحي
- عدد الغرف: 2

المقابلة رقم (11)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
/	متقاعد	جامعي	60	الأب
/	ماكثة بالبيت	9 أساسي (متوسط)	47	الأم
أرزيو	إدارية	مهندسة دولة بالهيدروليك	27	البنات (حليمة)
/	تلميذ	3 ثانوي	18	الابن (وليد)
/	تلميذ	2 متوسط	13	الابن (بدر الدين)

- الأصل الجغرافي: تيزي وزو (ريفي)
- الأقدمية بالسكن: 15 سنة
- عدد الغرف: 3

المقابلة رقم (12)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
سونالغاز بمرسى الحجاج	عون صيانة	ابتدائي	54	الأب
/	ماكثة بالبيت	متوسط	39	الأم
أرزيو	إدارية	ليسانس في الأدب العربي	26	البنات (خيرة)
بطيوة	كاتبة	2 ثانوي	24	البنات (خديجة)
بطيوة	عون صيانة	3 متوسط	19	الابن (محمد)

- الأصل الجغرافي: الأب: تيارت (ريفي)، الأم: معسكر
- الأقدمية بالسكن: 23 سنة
- عدد الغرف: 2

المقابلة رقم (13)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
/	ماكثة بالبيت	أمي	70	الأم
أرزيو	عامل مؤهل بشركة	شهادة تعليم أساسي	48	الابن ياسين
/	ماكثة بالبيت	3 ثانوي	36	زوجة الابن
/	تلميذة	3 ثانوي	19	بنت الابن (نسرين)
/	تلميذ	1 ثانوي	14	ابن الابن (عبد الرحمن)
/	تلميذ	3 أساسي (متوسط)	10	ابن الابن (محمد)

* الأم مطلقة

- الأصل الجغرافي: غيليزان (ريفي)
- الأقدمية بالسكن: 30 سنة
- عدد الغرف: 3

المقابلة رقم (14)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
/	ماكثة بالبيت	أمي	72	الأم
أرزيو	تجارة حرة	3 ثانوي	38	الابن (جمال)
أرزيو	عون مكتبي	3 ثانوي	37	زوجة الابن جمال
أرزيو	عامل غير مؤهل بالعقود المؤقتة	متوسط	35	الابن (فيصل)

الأم مطلقة

- الأصل الجغرافي: ندرومة (ريفي)
- الأقدمية بالسكن: 14 سنة
- عدد الغرف: 3

المقابلة رقم (15)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
أرزيو	عامل غير مؤهل بالعقود المؤقتة	أمي	40	الأب
/	ماكثة في البيت	أمي	34	الأم
أرزيو	إدارية	1 ثانوي	24	البنت (كريمة)
مرسى الحجاج	عامل غير مؤهل بالعقود المؤقتة	1 متوسط	21	الابن (عبد القادر)
/	تلميذ	2 متوسط	14	الابن (إلياس)
/	تلميذة	2 ابتدائي	7	البنت (وسام)
/	تلميذة	2 ابتدائي	7	البنت (ونام)

- الأصل الجغرافي: مستغانم (ريفي)
- الأقدمية بالسكن: 23 سنة
- عدد الغرف: 3

المقابلة رقم (16)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
/	متقاعد	ابتدائي	67	الأب
/	ماكثة بالبيت	أمي	63	الأم
/	ماكثة بالبيت	9 أساسي (متوسط)	45	البنات (فتيحة)
سوناطراك (أرزيو)	عون أمن	9 أساسي (متوسط)	40	الابن (عزيز)
/	بطل	9 أساسي (متوسط)	37	الابن (رشيد)
/	بطالة	ليسانس أدب عربي	25	البنات (ربيعة)
/	طالب	ثالثة جامعي علوم اقتصادية	23	الابن (نصر الدين)

- الأصل الجغرافي: تلمسان (ريفي)
- الأقدمية بالسكن: 31 سنة
- عدد الغرف: 3

2. أسر حي 46 مسكن (المساكن الفردية)

المقابلة رقم (17)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
سوناطراك أرزيو	سائق	أمي	48	الأب
/	ماكثة بالبيت	أمي	46	الأم
سوناطراك أرزيو	ضابط بحري	مهندس في الالكترونك	26	الابن (ابراهيم)
أرزيو	إدارية	ليسانس في علم النفس	24	البنات (فتيحة)
/	طالبة	4 جامعي	23	البنات (فوزية)
/	تلميذة	3 ثانوي	18	البنات (أمينة)
/	تلميذ	1 ثانوي	16	الابن (سيدي أحمد)
/	تلميذ	1 ابتدائي	6	الابن (حبيب)

- الأصل الجغرافي: تيارت (حضري)
- الأقدمية بالسكن: 10 سنوات
- عدد الغرف: 11

المقابلة رقم (18)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
أرزيو	لحام بشركة خاصة + منحة التقاعد	أساسي (متوسط)	74	الأب
/	ماكثة بالبيت	أمي	68	الأم
/	ماكثة بالبيت	4 أساسي (متوسط)	49	البنيت (هوارية)
أرزيو	أستاذة بالمتوسطة	ليسانس لغة انجليزية	45	البنيت (خديجة)
/	ماكثة بالبيت	9 أساسي (متوسط)	42	البنيت (ربيعة)
ميناء أرزيو	بحار	2 ثانوي	32	الابن (مختار)
أرزيو	بلدية أرزيو	تقني سامي	27	البنيت (أمينة)
/	تلميذة	9 أساسي (متوسط)	14	بنيت البنيت هوارية (وهيبة)

- الأصل الجغرافي: الأب: تيارت (ريفي)، الأم: أرزيو
- الأقدمية بالسكن: 9 سنوات
- عدد الغرف: 5

المقابلة رقم (19)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
أرزيو	أمين مخزن	أساسي (متوسط)	56	الأب
/	ماكثة بالبيت	6 ابتدائي	45	الأم
بلدية أرزيو	متعدد الخدمات	7 أساسي (متوسط)	28	الابن (محمد)
أرزيو	إدارية في ع. ما قبل التشغيل	ليسانس أدب عربي	24	البنيت (فاطمة)
أرزيو	كاتبة في مدرسة ابتدائية	7 أساسي (متوسط)	19	البنيت (نوال)
/	تلميذة	8 أساسي (متوسط)	14	البنيت (هالة)

- الأصل الجغرافي: تيارت (ريفي)
- الأقدمية بالسكن: 13 سنة
- عدد الغرف: 3

المقابلة رقم (20)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
أرزيو	تاجر خاص	3 ثانوي	38	الأب
المحقق بأرزيو	أستاذة	ليسانس لغة فرنسية	40	الأم
/	تلميذ	أولى ثانوي	15	الابن (وليد)

- الأصل الجغرافي: الأب: عنابة، الأم: أرزيو
- الأقدمية بالسكن: 7 سنوات
- عدد الغرف: 3

المقابلة رقم (21)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
/	ماكثة بالبيت	أمي	60	الأم
أرزيو	عامل غير مؤهل	7 أساسي (متوسط)	42	الابن (قادة)
/	ماكثة بالبيت	6 ابتدائي	33	البنات (مسعودة)
/	ماكثة بالبيت	4 ابتدائي	32	البنات (عائشة)
الجنوب الجزائري	سباك خاص	7 أساسي (متوسط)	31	الابن (لخضر)
/	ماكثة بالبيت	7 أساسي (متوسط)	27	زوجة الابن لخضر
/	/	/	1	بنت الابن لخضر (هاجر)

الأب متوفي

- الأصل الجغرافي: تيارت (ريفي)
- الأقدمية بالسكن: 10 سنوات
- عدد الغرف: 4

المقابلة رقم (22)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
/	متقاعد	أمي	75	الأب
/	ماكثة بالبيت	أمي	60	الأم
وهران	شرطي	3 ثانوي	32	الابن (تامر)
/	ماكثة بالبيت	3 ثانوي	29	البنات (زكية)
جامعة الجزائر	طالب	2 جامعي	26	الابن (محمد)
مكتب خاص بوهران	مهندسة	جامعية	25	البنات (حياة)
/	طالبة	جامعية	22	البنات (أحلام)
/	طالب	جامعي	20	الابن (فاروق)
/	طالب	جامعي	18	الابن (طارق)

- الأصل الجغرافي: تيارت (ريفي)
- الأقدمية بالسكن: 7 سنوات
- عدد الغرف: 9 غرف اثنان منها في طور الانجاز

المقابلة رقم (23)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
/	متقاعد	ابتدائي	60	الأب
/	ماكثة في البيت	ابتدائي	54	الأم
سوناطراك أرزيو	عون أمن	شهادة التعليم المتوسط	33	الابن (محمد)
سوناطراك أرزيو	إداري	ليسانس علم النفس	31	الابن (توفيق)
سوناطراك أرزيو	مهندسة	شهادة جامعية في الهندسة	29	البنات (عائشة)
أرزيو	معلمة	ليسانس أدب عربي	27	البنات (مريم)

- الأصل الجغرافي: الأب: عين الصفراء، الأم: أرزيو
- الأقدمية بالسكن: 10 سنوات و31 سنة بالحي
- عدد الغرف: 7

المقابلة رقم (24)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
بين الدول	بحار (Navigateur)	ابتدائي	51	الأب
في الحي السكني	تاجرة	ابتدائي	41	الأم
أرزيو	حلاقة	9 أساسي (متوسط)	19	البنيت (سهام)
أرزيو	تاجر	7 أساسي (متوسط)	17	الابن (أسامة)
/	تلميذ	4 أساسي (متوسط)	14	الابن (زياد)
/	تلميذ	2 أساسي (متوسط)	12	الابن (ريان)
/	تلميذة	5 ابتدائي	11	البنيت (إكرام)

- الأصل الجغرافي: أرزيو (حضري)
- الأقدمية بالسكن: 10 سنوات و 12 سنة بالحي
- عدد الغرف: 9

المقابلة رقم (25)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
/	متقاعد	شهادة البكالوريا	57	الأب
/	ماكثة بالبيت	أمي	46	الأم
سوناطراك أرزيو	عامل في الكهرباء	الهندسة في الكهرباء	25	الابن (فريد)
ولاية سعيدة	الدرك الوطني	شهادة التعليم المتوسط	22	الابن (حكيم)
/	تلميذ	3 أساسي (متوسط)	16	الابن (محمد)
/	تلميذ	1 أساسي (متوسط)	10	الابن (بلال)

- الأصل الجغرافي: بجاية (ريفي)
- الأقدمية بالسكن: 1 و 22 سنة بحي زبانة بأرزيو
- عدد الغرف: 5

المقابلة رقم (26)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
محل بالفضاء السكني	نجار	ابتدائي	48	الأب
/	متقاعدة	3 ثانوي	47	الأم
شركة أجنبية بالمحقن	مترجم	ليسانس انجليزية	25	الابن (حسين)
/	تلميذ	2 ثانوي	18	الابن (عبد الرحمن)
/	تلميذ	2 أساسي (متوسط)	14	الابن (توفيق)
/	ماكثة بالبيت	9 أساسي (متوسط)	19	زوجة الابن حسين
/	/	/	أقل من شهر	ابن الابن حسين (عبد الصمد)

- الأصل الجغرافي: الأب: سيق، الأم: مستغانم (كبرت في أرزيو)
- الأقدمية بالسكن: 8 سنوات و 15 سنة بأرزيو
- عدد الغرف: 6

المقابلة رقم (27)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
أرزيو	سائق أجرة	ابتدائي	57	الأب
/	معلمة متقاعدة	أساسي (متوسط)	53	الأم
سوناطراك أرزيو	مفتش	جامعي	30	الابن (بن عودة)
سوناطراك أرزيو	تقني سامي	جامعي	28	الابن (محمد)
/	طالب	ثالثة جامعي	23	الابن (عبد الاله)
/	ماكثة بالبيت	ليسانس علم الاجتماع	26	زوجة الابن بن عودة
/	/	/	3	بنت الابن بن عودة (آية)
/	/	/	1	بنت الابن بن عودة (إخلاص)

- الأصل الجغرافي: غيليزان (ريف)
- الأقدمية بالسكن: 7 سنوات
- عدد الغرف: 6

المقابلة رقم (28)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
سوناطراك أرزيو	سائق	9 أساسي (متوسط)	47	الأب
/	ماكثة بالبيت	9 أساسي (متوسط)	38	الأم
/	/	/	4	الابن (محمد منصف)

- الأصل الجغرافي: معسكر (ريف)
- الأقدمية بالسكن: 11 سنة
- عدد الغرف: 3

المقابلة رقم (29)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
غير محدد	بناء	4 أساسي (متوسط)	48	الأب
حي الهضاب بأرزيو	معلمة	3 ثانوي	48	الأم
محكمة أرزيو	ضابط أمن	2 جامعي (علم النفس)	22	البنت (سحر)
/	طالب	2 جامعي (الحقوق)	19	الابن (محمد الأمين)
/	تلميذ	5 ابتدائي	10	الابن (هواري)
/	تلميذة	1 ابتدائي	6	البنت (فوزية)
/	/	/	3	البنت (غزلان)

- الأصل الجغرافي: الأب: تموشنت، الأم: تيارت (كبرت في أرزيو)
- الأقدمية بالسكن: 8 سنوات و 23 سنة بأرزيو
- عدد الغرف: 3

المقابلة رقم (30)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
غير محدد	بناء	أمي	38	الأب
/	ماكثة بالبيت	أمي	30	الأم
/	تلميذة	1 أساسي (متوسط)	12	البنات (أمنية)
/	تلميذ	1 ابتدائي	6	الابن (محمد)
/	/	/	2	البنات (إيمان)
/	/	/	5 أشهر	الابن (عبد الرحمن)

- الأصل الجغرافي: غيليزان (ريفي)

- الأقدمية بالسكن: 10 سنوات

- عدد الغرف: 2

المقابلة رقم (31)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
مؤسسة التقنيات الفضائية بأرزيو	طباخ	6 ابتدائي	51	الأب
/	ماكثة بالبيت	3 ابتدائي	46	الأم
/	بطل	شهادة جامعية في الهندسة	25	الابن (يونس)
/	طالب	1 جامعي	20	الابن (بوعمران)
/	طالب	1 جامعي	18	الابن (عبد القادر)
/	تلميذ	3 ثانوي	17	الابن (محمد)
/	تلميذ	3 ابتدائي	8	الابن (عبد الكريم)

- الأصل الجغرافي: غيليزان (ريفي)

- الأقدمية بالسكن: 17 سنة

- عدد الغرف: 3

المقابلة رقم (32)

مكان العمل	المهنة	المستوى التعليمي	السن	أفراد الأسرة
/	ماكثة بالبيت	أمي	77	الأم
أرزيو	عامل غير مؤهل	8 أساسي (متوسط)	46	الابن (حميدوش)
سوناطراك أرزيو	إيطار	3 جامعي	39	الابن (توفيق)
/	ماكثة بالبيت	9 أساسي (متوسط)	35	البنات (فريدة)
/	ماكثة بالبيت	4 ابتدائي	39	زوجة الابن توفيق
/	تلميذ	4 أساسي (متوسط)	14	ابن الابن توفيق (شكيب)
/	تلميذة	2 ابتدائي	6	بنات الابن توفيق (خديجة)
أرزيو	Clandestin	ابتدائي	46	زوج البنات فريدة
/	/	/	5	بنات البنات فريدة (سكينة)

الأب متوفي

- الأصل الجغرافي: معسكر (ريفي)

- الأقدمية بالسكن: 11 سنة و24 بأرزيو

- عدد الغرف: 7

.III ملحق قائمة الجداول والأشكال

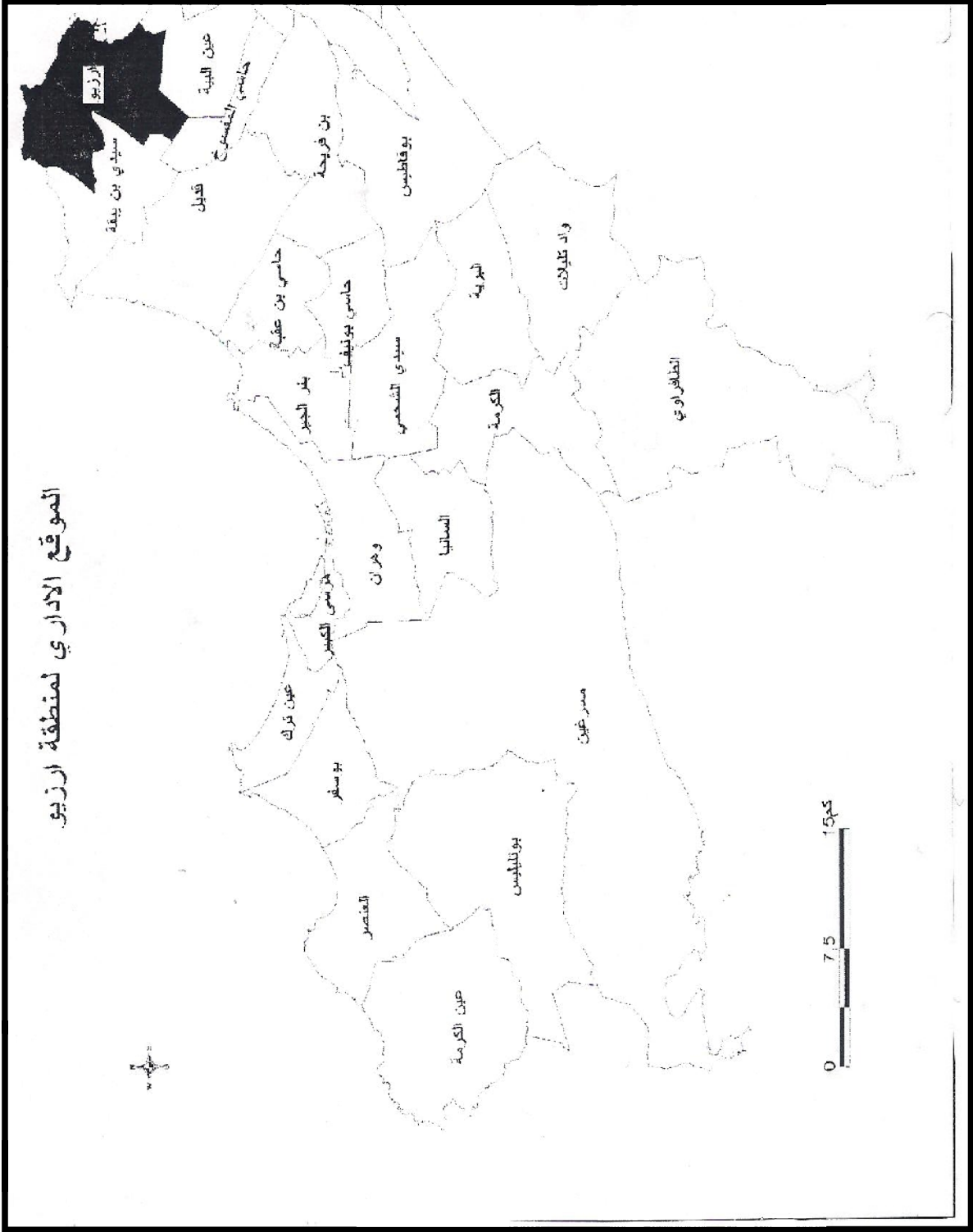
1. قائمة الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
01	اختلاف الروابط الاجتماعية من منظور تونيز	46
02	قياس الارتباط في مجتمع الفولك وفي المجتمع الحضري انطلاقاً من مجموعة من المتغيرات	61
03	أنواع المدن حسب قانوني 2001-20 و 06-2006	81
04	تعداد سكان مدينة أرزيو حسب السنوات	89
05	توزيع سكان حي الهضاب حسب التجمعات السكانية التابعة له	98
06	توزيع فروع التجارة بحى الهضاب	102
07	توزيع أنواع الخدمات بحى الهضاب	103
08	المؤسسات التعليمية في حي الهضاب	105
09	توزيع العينة حسب الأصل الجغرافي	129
10	أسباب تغيير السكن	132
11	نمط الإقامة السابقة لأسر العينة	133
12	مدة إقامة الأسر	133
13	المستوى التعليمي للوالدين	134
14	مهنة الوالدين	135
15	نوع الأسرة	136
16	عدد أفراد الأسرة	137
17	توزيع الوالدين حسب الفئات العمرية	138
18	توزيع السكنات الفردية حسب عدد الطوابق	229
19	حالة الفضاءات السكنية	230
20	توزيع أسر العينة حسب عدد غرف فضاءاتها السكنية	231

2. قائمة الأشكال

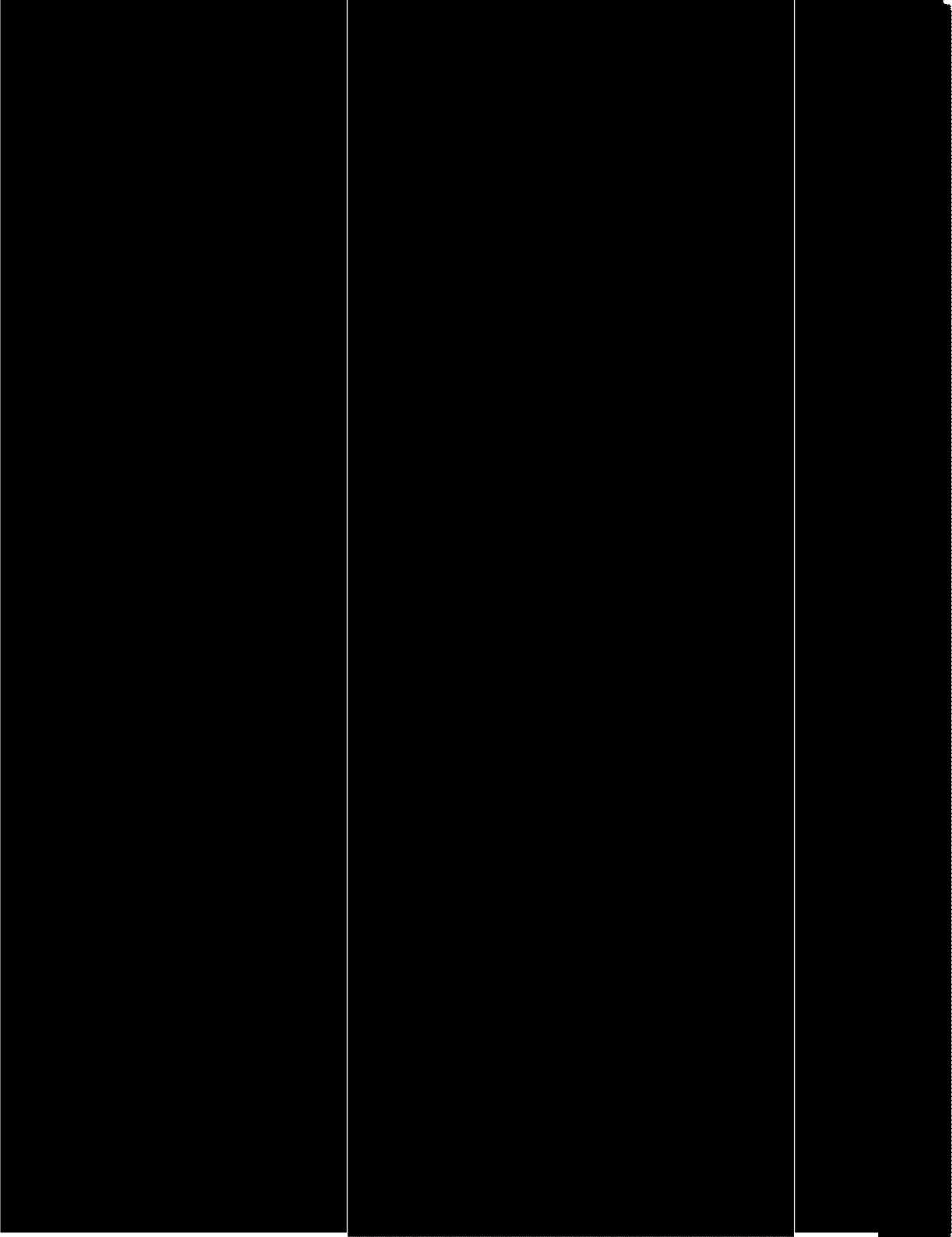
الصفحة	العنوان	الرقم
37	تطور العمران عند ابن خلدون	01
41	البناء التحتي للمجتمع حسب تصور كارل ماركس	02
83	شعار مدينة أرزيو	03
141	كيفية تكون الصورة	04
177	المناطق التفاعلية للساكن	05
248	تخطيط مسجد بدر	06
248	تخطيط الطابق الأرضي وتحتة	07
248	تخطيط الطابق الأول والسطح	08

1. الخريطة رقم (01): الموقع الإداري لمدينة أرزيو



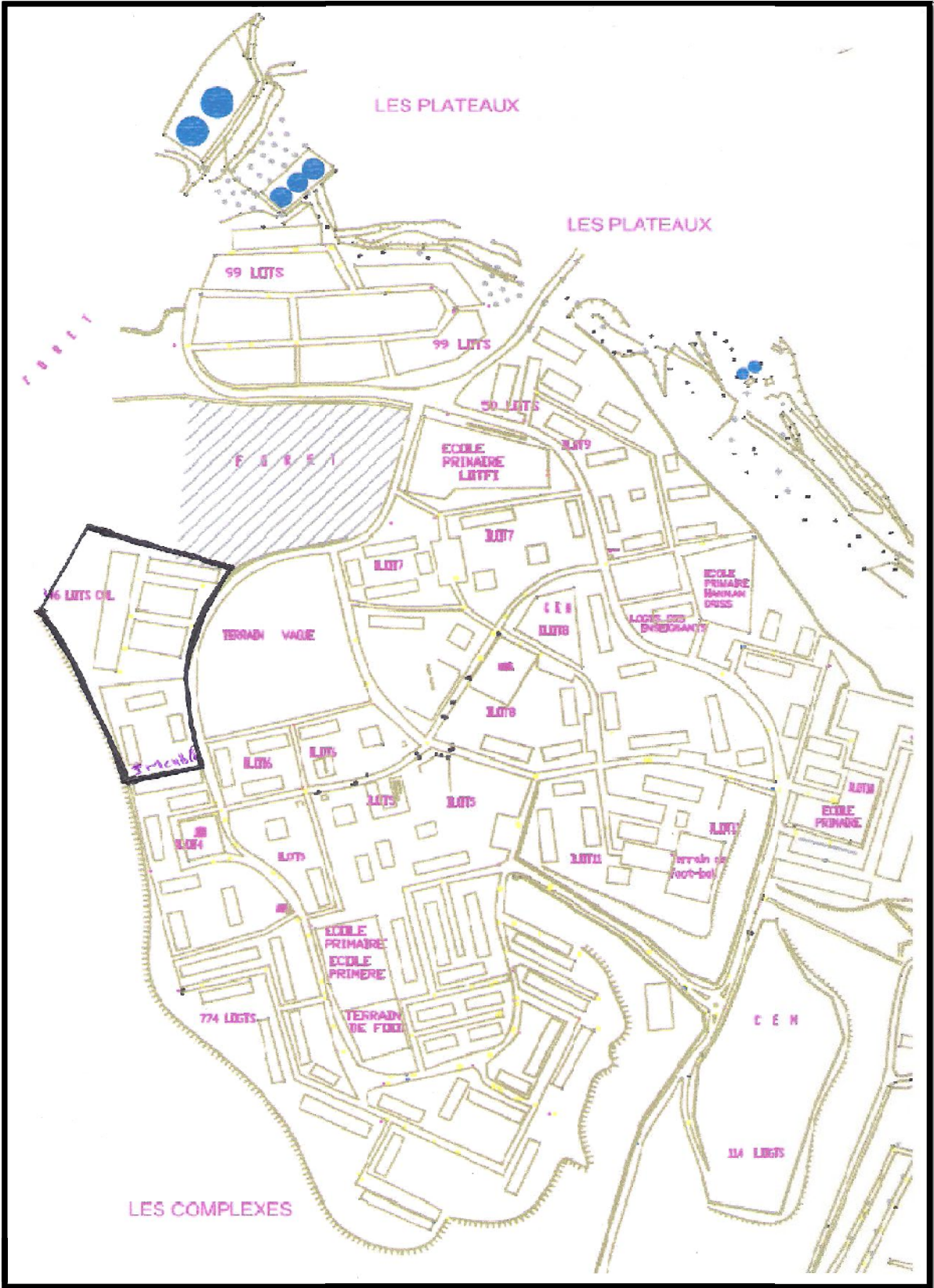
المصدر: مكتب التوجيه والتهيئة العمرانية لبلدية أرزيو

2. الخريطة رقم (02): أحياء مدينة أرزيو



المصدر: مكتب التوجيه والتهيئة العمرانية لبلدية أرزيو

4. الخريطة رقم (04): تحديد مجال الدراسة



المصدر: مكتب التوجيه والتهيئة العمرانية لبلدية أرزيو

.V ملحق الصور

.1 صور عن الحي

- التجمع السكني 1500 مسكن مجال الدراسة



- التجمع السكني 46 مسكن مجال الدراسة



2. صور عن الفضاءات السكنية

- أثاث غرفة الاستقبال الخاص بالمساكن الجماعية



- أثاث غرفة الاستقبال الخاص بالمساكن الفردية



وجود الخزانة Biblioth que في غرفة الاستقبال

- المساكن الجماعية



- المساكن الفردية



حماية الفضاء السكني

- داخل غرفة الاستقبال



لوحة آية الكرسي بين اسمي الله ومحمد رسول الله ﷺ
معلقة على حائط الصالة بمسكن فردي



لوحة أسماء الله الحسنى معلقة على حائط
الصالة بمسكن جماعي

- عتبة الفضاء السكني



خامسة فوق الباب الخارجي لمسكن فردي



خامسة واسم الله عند مدخل الشقة

3. صورة عن الحديقة الموجودة بحي الهضاب القريبة مجاليا من مجتمع الدراسة



4. حديقة حي 1000 مسكن (complexe)

